فی بلاد العسیر

الانتشار
مكتبة الفصیر الحدیثة

علي الله محمد الصیا الی الخلق
الحسین
فواهم
في بلاد العسير
الطبعة الأولى 1370 - 1951

الطبعة الثانية 1388 - 1969

حقوق الطبعة محفوظة
 تصدير

ما لا شك فيه أن سعادة فؤاد بك حمزة رجل من أكرم رجالات المملكة العربية السعودية، وأشدهم غيرة على قوميته، وأبرزهم حمة ومروة وشجاعة.

ولقد خدم سعادته جلالة الملك العظم عبدالمجيد بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود مدة نحو ربع قرن، فكان، ولا يزال، الرجل المخلص في جميع المناصب التي تقلدها في جميع أدوار حياته، والأمين الوفي لجلالته، والحارس على شؤون الخارجية المملكة، وتولى مفاوضات عدة، وصاح اتفاقيات حمة، واضطلع بأعباء ومهمات خاصة. فكسب في جميع ما تولاه ثقة جلالة الملك العظم وتقديره السايم.

عرفته من نحو ثمانية وعشرين عاماً في مواقف شتي وحوادث متعددة، فكان فيها كلها بلا استثناء يهدف إلى الفلاح العام، ويرجع الخير لأهله ووطنه ( وقيل بم الذين يحبون الخير للمجتمع).

وتولى سعادته شؤون الخارجية، إدارة وزارته، ومثل جلالة الملك العظم لدى الجمهوريين التركي والفرنسي، وكذلك أوفدته الحكومة السعودية إلى البلاد المجاورة في بعض شؤونها، فكان السفير المخلص، والممثل الآمن، والسياسي لليك الحكيم.

واختاره جلالة الملك عبد العزيز - حفظه الله - ليكون إلى جواره مستشارًا خاصًا، وعاملاً كبيراً لتصريف شؤون ملكيته الواسعة. وها هو ذا سعادته يضطلع الآن بأعباء هذا المنصب الخطير، فبديل ما وسعه البذل والهمة والجهد، رغبة منه.
في تنفيذ توجيهات ملك البلاد المعلم من جهة، وتحقيق أمني الشعب من جهة أخرى. رغم ما يتعذر عليه من إعياء وضعف.

وهو مع شدة في اللحم، وصلابته فيها يراه صواباً، طيب القلب، ابن العريقة، كريم السجايا، رضي النفس، أوهوجيا للخلق العظيم، ومثالًا حسنًا للشباب والرجلة الحقة.

وصماً اشتهر به الحركة والدأب على العمل، يحب العلم، ويميل إلى الدرس.

وله بحوث قيمة في تاريخ الجزيرة العربية، يدل عليها كتابه النفس: "قلب الجزيرة العربية".

وفي مجلس خاص حدثنا سعادته عن كتابه هذا الذي نقدمه اليوم للكتابة العربية، فإذا هو سفر خالد، وبحث مستفيض، وتحقيق قيم دقيق، لم يسبقه إليه أحد. فأشرتنا عليه بأن يكشف عنه، انتفع به الكتاف والمؤرخون، وأن يقدمه إلى عمار فضل وصفة حبيبة، فأجاب بعد إجماع، واستمع لهذه الرغبة المخلصة، ودفع إليتنا بهذا الكنز الخفيف، وهذه الجوهرة النفيسة. وذلك السفر الضخم الذي نقدمه، تحقفة نادرة إلى كل مخلص أبدى، يحب العرب وبلاد العرب، ويقدر لسعادة المؤلف الفاضل - كما قدنا من قبل - بلغه الشأو، ووصله إلى الغاية، في كل ما يقدم من بحث وتفكير.
عزيزي القارئ،
سبق لدورة أن قدمت لك من قبل الطبعة الثانية لكتاب "قلب جزيرة العرب" وكذلك الطبعة الثانية لكتاب "البلد العربية السعودية" للأديب الراعي فؤاد حمزة. وما أجمل اليوم نقدم لك "في بلاد عسير" وانها سلسلة مكملة لا بد من اطلع على أحدثها عن تثيؤ نفسه للإبلاع على الكتب الأخرى.
وهنا، وقد تُميزنا نشر هذه السلسلة لما لها من أهمية فائقة، فهي كتاب جامع، وهي مرجع ثابت لا بد أن يوجد فيها كل من إراد الإبلاع على كتب نشوة. وتأسيس وتطور المملكة العربية السعودية، وذلك لأن مؤلفها لامكن نكرة في عالم السياسة في كان دعامة من دعائم وزارة الخارجية السعودية والاعمال من اعلامها الكبيرة. عرف اسرار الدولة وشارك في كثير من احداثها وساهم في كثير من المحادثات والمقابلات والمعاهدات، وكان جيد الصلة بالمملك الكبير عبد العزيز آل سعود طيب الله ثروه لأنه كان من رجال حاشيته المقربين كما أنه كان ذا صلة وثيقة بسائر امور البيت الملك وحكام المناطق والأعيان.
وهي كلمة فان كتب فؤاد حمزة تعتبر بحق أداة المراجع التي تتحدث عن الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن العشرين.
وهذه الدار التي اعتادت ان تقدم للقارئ، اجود الكتب وأفضلها لتفخر اليوم بما تقدم راجية ان تكون قد حظيت برضاك وثوابت رسالتها التي التزمر بها وهي غير الأفضل.
وبالتالي لا يسع مكتبة الفجر الحديثة في الرياض الا تقديم جزيل شكرها إلى السادة طالب وعمير، المراجح فؤاد حمزة مؤلف هذا الكتاب لروح الكورية التي ابدوها حين طابنا منعم اعادة طبع هذا الكتاب الفذم، فهم لم يكتفوا بالقبول بل فسوا فوق ذلك بالتبرع بإبراد من هذا الكتاب لضحايا العدوان الصهيوني الفادح على الأردن الشقيق، وهذا ليس بستغرب على إبناء الرجل الكبير الذي نذر حياته لمقدسة القضية العربية في مختلف المجالات السياسية والأدبية والعلمية وكانت له اياذ عضوا لا تزال نذكو فنذكر إمام الله ذكرنا الله
وفقنا الله لما في الجهر والسداد.
الناشر

هذا الكتاب قصة بدأت منذ بضع عشرة سنة، فقد كتبته في أعقاب رحلة قمت بها في بلاد عسير كنت أسجل مشاهداتي خلالها في مذكرات يومية، ثم أضفت إليها المعلومات التفصيلية التي كنت أسقفيها من مصادرها. وكانت أرجو أن تتاح لي الفرصة لنشرها في وقت لم أكن أتوقع أن تطول به الثغة، ولكن الأحداث التي توالت منذ فجر من وضع الكتاب وكثير الأسفار وتوالي عدم الاستقرار حال دون تحقيق مبتعث.

وقد ظلّت مسودات الكتاب رهينة محصهرة حتى تراءى لي مؤخرًا أن نشرها فائدة لمن يهمهم أمر الاطلاع على شؤون منطقة هامة من مناطق المملكة العربية السعودية، وعلى أحوال بلاد ما زالت بكرًا لم تكنسها مؤثرات الحضارة الحديثة. والآن أتقدم بها إلى القراء على الحال الذي كتبت بها دون أي تغيير أو تعديل، على الحال التي ذكرتها بها، حتى تتجلى صورة طبيّة أصلًا لما نلطكم في المخطور في عجولان إبان تلك الرحلة، وعذرني في ذلك أن محاولة تصورها أودبها - رغم مايكن أن يكون له من العواصف - ليس طريقة الكتاب وينير في الصورة الأصلية التي أردت إخراجه عليها.

إلى أرجو أن يتلقى حضرات القراء كتابي هذا بما هو أجمل، وبأيده العون ومنه التوفيق.

فؤاد سمركة
الرياض في عُرفة رجب 1370
١٩٥١
القسم الأول
أهل الورَيان
الفصل الأول

مقدمة الرحلة

الأزمة مع اليمن - مساعدات السفر - خطة العمل - رفاق السفر - عودة على بره

الأزمة مع اليمن

لا يكون كتاب هذا الكتاب يبحث في السياسة أو يشرح أسباب النزاع بين الملك ابن سعود والإمام حيي وإبراهيم والفاتحه وصلح وما جرى خلال ذلك من أحداث جسام بين الحجاز واليمن، وإنما هو كتاب رحلة جغرافية وتاريخية واشتراك. وقد كان السبب في كتابه الأزمة اليمنية - السعودية، الذي أُنشئ وأنشأها عام 1354 وقتح زادها عام 1353. هذه هي العلاقة بين هذا الكتاب وبين الأزمة اليمنية، أحيث أن أوضحا بجعله في مستهل الكلام

الملك عبد العزيز والإمام حيي، حاكم عربيان مسلمان، كلاهما جاهد جهاد الأبطال في سبيل دينه ووطنه، وكلاهما خاض المعركة ونازل القروش والأبطال، فاتبعت له في النهاية ملك طويل عريض، والعامة اللطيفين.

انصل محل الملكين العربيين مباشرة واختلطت مصالحهما على حدود واحدة، باستيلاء الملك ابن سعود على عسير العروة وامتداد جماهیره على عسير تهامة واتصاله بأهل يمن من أيام، وذلك بعد زوال السيطرة العثمانية عن بلاد العرب عام 1918 ميلادية.

تطورت علاقات الملكين خلال عشر سنوات: انقضت على اتصال حدودهما مباشرة تطوراً كان يلاحظ في ثناها وتفاعله عواقل خفية، وأدرك كثيرون من العقائل أنها ستؤدي حتماً إلى النزاع في الحرب، وقد تنبه كثيرون إلى نقاط
الضعف في علاقات الملكين وحاولوا إطالة الوميض السكامي فلم يوفقوا إلى اجتثاثه من أصوله.

كانت الشرارة الأولى عقب احتلال الملك ابن سعود للبحامش، فقد نظرت الوهن والضعف إذ ذاك إلى الإمارة الإبريسية في تهامة، وتقلقت أطرافها بإحتلال الجيوش الشلوكلية لأكثرها وفي مقدمتها الحديدة واللحية فيدي وما صاحب من جهة الجبال وقادت تصل إلى جيزان، بل قد وصلت بالفعل إلى ساماء بقرب أبو عريش، وإذا بالقبيلة السعودية المذبة بالخطر والمذرة للزمانين من الاندفاع وراء أهواؤهم تنقص انقضاض الصاعقة. وكانت القبيلة على شكل معاهدة الحامية السعودية على بلاد الأدارة في ربيع الأول عام 1345.

وكانت الشرارة الثانية في شعبان عام 1350 حينا تقدمت جيوش الإمام يحيى فاحتلت بلاداً ثانياً للمقاطعة الإبريسية التي تعود ابن سعود بحريتها من كل خطر داخلياً كان أم خارجياً. دارت المناوشات بين الاستعدادات الحرية من الجانبين جارية بكل همة ونشاط، وتكتلت المساوي السمعة للحُمد بالنجاح النام بفضل حركة الملك ابن سعود ورغبته في السلام والسكن. جاء حكم ابن سعود على نفسه في قضية جبل العرو مثل من مثل العليا في الشهامة العبرية والحكمة والعبرية، قضى على الفتنة ولكن دون اجتثاث جروثتها.

وكانت مسألة حجران ثالثة الأناني للمؤذج الذي تطأر منه الشرارة الثالثة التي ألمت الضرم وأجتاد الثوران، إذ كان كل من الفريقين يدعي بنجران دون أن يكون مضال لكل أخوة أحدهما. لقد أدى الإمام يحيى للملك ابن سعود مسترباً من اتصال أهل حجران من الياحية بأسرائه في عسير، فأراد ابن سعود أن يعد السرية بشكل مقبول، فأدرك إليه برقية تأولها الإمام يحيى لمصلحته، وقُرأ فيها تنصل ابن سعود من حجران والياحية، فأمر بجنده بالتقدم لاحتلاله بينما كان وقد ابن سعود يدخل حدود اليمن من جهة تهامة للمفاوضة في مشروع حلف عرب عظيم.
فشل الوفد في مهنته، وتم احتلال حجاز، فلجأ أهله إلى ابن سعود يطالبونه بمبايعتهم وأعدوا بهم قسطهم لم تمضي سنتين، ودارت المفاوضات بين الملكين بالبرقيات، وطال الأخبار والرد، وحصل تحرش آخر ابن سعود وأثار حفيظته

ألا وهو احتلال قسم من جبلة في شام، والقبض على رهائن من قبائله على الحدود، فظهر أن الأمر أكبر من أن يخلّ بالمحافزات البقية.

قرار الملكين أن يعقد مؤتمر في أبها للنظر في حل الخلاف، فانتدب الإمام يحيى

ابن محمد السيد عبد الله بن أحمد الوزير – أحد كبار القواد والساسة في اليمن –

ومشير الجيش المتوكلة في نهاية لرمية وفده، ونثر الملك عبد العزيز كفاحته فعهد إلى

مؤلف هذا الكتاب برئاسة الوفد العربي السعودي.

وكان أن توجهت إلى أبها في 15 شوال 1352 (30 يناير 1934)، وأثبت

على أن تكون رحلته مزدوجة الفائدة من الناحيتين: السياسية بالعمل على

إيجاد التفاهم، والأدبية بتدوين مشاهدات الجغرافية وجمع المعلومات التاريخية

والاجتماعية عن أحوال ما أمر به من تلك البلاد، لبكر التي لم يكتب عنها إلا اليسير

وإخراج ذلك للناس في سفر. هذه هي قصة ميلاد كتابي، وتلك هي العلاقة بينه

والأزمة المئوية.

۲— معدات السفر

يشتمل السفر في بلاد العرب إلى ترنيمات خاصة هي من مقتضيات طبيعة البلاد، وفد أفادتك رحلات العديدة ما بين نجد والحجاز والأحساء فوائد لا أذكرها، غير أن كتب هذه الرحلة قادئًا بلادًا في مطرقة تكمل تكوين معلوماتنا عنها كمعلومات

صبيان المدارس، فرأيت أن أسعد للمجهول أكثر من استعدادى المعتاد، لاسيما

لاعتراضي تدوين مشاهدات للأماكن والمسافات والأباد والآبار والموارد القباب

والقرى والأودية، واستقصاء ما هو مجهول عنها، وضع خريطة للطريق يصح أن

يرجع إليها.
أما من الوجهة العلمية فقد أحضرت ما أمكنني مداركه من الآلات البسيطة التي يستعين بها الزوار في رحلاتهم، وأعدت كشقاً وأوراقاً خاصة تسجيل الأعداد والاختلافات المناخية ودرجة الحرارة والبارومتر، كما أعدت مكتبة صغيرة مما طبع من كتب الأقدمين عن بلاد العرب وعدد من الخرائط الأفريقية، وكانت نقيض القليل في نهران وهو القسم المجهول حتى الآن في الجزيرة، وجعل عودتي إلى مكة المكرمة عن طريق كيف السرارة مستعماً بالآبل والخيل على اجتيازها إلى الطائف مازاً ببلدة بين بشر وغامد وزهرون، فآمن بقد جست خلال الديار التي تجهاها في الجزيرة وحققت مواقف مشهورة كالخلاص في بلاد دوس وتوبة وجرش وسوها ولكي حزمت مع الأسئلة - من العودة بالطريق الذي كنت أقصد، فآمنت بالملومات عن البلاد التي زرتها.

أما أدواني العلماء فقد كانت مؤلفة من:

1. بعضاً مطبباً
2. بارومتر
3. ميزان حرارة
4. شريط مساحة
5. جداول وكشوف جغرافية وفينة
6. آلات تصوير من قياسين

وكان عداد السيارة يقوم بمهنة تسجيل المسافات.

3 - خطة العمل

كانت أري أنه ما يسمى العصر القومي في الصومال إلا نقوم - ونحن أبناء البلاد وأهلها - بدرس أحوالها وكتابة جغرافيتها وتأريخها كما يفعل الأفرنج من تماح لهم زيارتها فترة قصيرة فيستان الدنيا كتابة وخطابة عن مشاهدات كثيرا ما تكون سطحة مبسوطة، وناست شديد الخصر على الاستفادة جيد الطاقة من كل أسفارنا فأخذنا بذلك العلم وأرفع عنينا سبعة ووجهنا إليها الأفرنج في غير توسع ولا قصد، فوطفت النفس في رحلت هذه على اعتقال الفرصة السانحة لي والخروج منها بنتائج علمية باررة، فاستشرت أحد أصدقاءي من الأفرنج القائمين في هذه البلاد.
من اعتاد القيم بالرحلات في البادية، ووجوهه أن يستمع بعض معلوماته ويستعين بعض أدواته، ومع أنه كان لا يزال من أصدقائه فإنه كان شحيحًا بعلوماته ضبيحاً بأدواته، وحلف منه أنه غير آبه كثيراً للموضوع، بل بالغير لم يكن على ذلك.
من أن طبقة يستطيع أن يأتي بعت ما يأتي به الأفرنج، كان العلم وفق عليهم.
كل هذه المالكي جملتي مرهف الأذنين حاد العينين، منتبناً عن الكبيرة والصغيرة، محترمة جزئيات الأمور ودقاتها، سايلًا متعلما جامعاً للروايات والأخبار.
مهما ببلك ما تفع العين عليه أو تسمع الأذن به أو تمشه اليد.
واستمعت صديقًا من المهذين لكي يفيدي في أخذ قياسات الاعتراف المفاطسسي ورسم خريطة الطريق، كما استمعت من كل منطقة يمتهنها دليلًا خبيرًا بها.
كانت أجمع أسماء الأماكن والمواقع والآبار والأشجار والأخبار من الأدلة، والخبراء المراقبين أو المصادفين في الطريق، وكانت ظروف مواساة للبحث بدقة.
إذا كان على أن أبحث مع وفد اليمن في مقاطعات الحدود، وهذا لا يمكن إلا بجمع المعلومات الصحيحة المفصلة الدقيقة عنها وعن سكانها وما فيها، الأمر الذي أفادني فقط كبري ما كانت تنصب له في ظروف غير ظروف.
والفعل لم يتسكع على أحد معلوماته، ولم يدخر وسيا في سبيل إطلاع على كلِ ما أريد من أهل الخليفة والدربة ومن رجال الحكومة وأمراء القبائل والموظفين وغيرهم، وكنت أعارض المعلومات بعضها ببعض فيظهر لي صريحاً من هجينها وثبّتها من سبيلها، وذلك فأنى واقع من أن ما أعرضه في هذا الكتاب من المعلومات هو أدق وأصح ما يمكن الحصول عليه.
أما الأرصاد العلمية فإننا كنا نتخذ عداد السيارة أساساً لقياس المسافات، وكنا نعتبر عداد السيارات ليتبين لنا الفرق بينهما، وحينما ظهر لنا أن الفرق بين المدادين جزيئاً جداً قررتنا الاعتناء على أحدهما، وبناء عليه ذلك فقد وجهنا اهتمانا.
إلى تسجيل قراءات الأحرف المفاتشة في المواصلات في مسافات معينة، وكانت القراءات في الأماكن السريعة السهلة أقل منها في الأماكن المنخفضة أو الكبيرة المنحنية. لقد أخذنا مثلا 49 بوصة من بئر القرشة في أطراف ركبة إلى جهة الطائفة إلى آخر بريط في طرف حضن السفينة، والميزة بين الموضعين 91 كيلومتراً.

أخذنا 48 بوصة للأحرف عن بريك إلى الخروجة في مسافة تبلغ 61 كيلومتراً. وأما الاجهادات التي كنا نرصدها فقد كانت دائماً إيجابية طرقتنا، وكنا نعتمد على مشاهدة عبارة أو قلعة للسجول الرصد عليها، غير أننا وجدنا أن عملنا يكون أصعب وأكثراً لتفقدنا السيارة الكبيرة لتخذهما هدفاً للرصد.

وكان الأرصاد في بعض الأحيان كثيرة عند المنحنات، كما نأخذ أرصاداً متعددة من نقطة واحدة إلى إجابات مختلفة عن أضواء طرقتنا. ففي نقطة واحدة، أخذنا أرصادًا في القرشة أخذنا خمسة أرصاد في أجابات مختلفة، وفي مواقع أخرى كانت الأرصاد تتغذب ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب الظروف، وحيل قصدنا من هذا الدقة في تسجيل الواقعة البارزة على الطريق وأطرافه؛ علناً كنابق من رسم خريطة مطبوعة يصبح انتظارنا عليها، وكنا نسجل إلى جانب دفتر الأرصاد شروحاً عن ظاهرات الأرض وطقفها والشجر والمياه والأودية والقرى، وعلى الإجمال كل التفاصيل التي يجب الوقوف عليها.

وكنا نسجل درجة الحرارة ثلاث مرات في اليوم، صبحاً وظهراً ومساء.

وأما (البارومتر) فكانا نسجل كلما تزداد لنا أننا في صعود وارتفاع، وكنا نسجل القراءات بالإنسحاب وقصاساً وبالقدم أيضاً لأننا نعلم أن استفادة الارتفاع

بتعديل قراءات (البارومتر) على درجة الحرارة أثر من قراءة الإرتفاع بالأقدام.

4 - رفاق السفر

أكثر ما يستطيع المثل القائل "الرفق قبل الطريق" على السائح في بلاد العرب;

(1) من المعلوم أن رفاق السفر غيزي رفاق المؤذن، اشتراك عمي في الموكب الشيخ عبد الله بن زاهر قاضي مكة، الأمير سعد، والشيخ عبد الوهاب أبو مهلهية عبد الله، الشيخ دايم، وعبد الوهاب أمير، والشيخ تركي بن ماني أمير، فهد، وزهير.
في البادية، في المخلوق، وقد كنت كذلك، وأدركت سأناها في غير الجزيرة لما اهتممت بالبحث عن الرفيق قبل الطريق.

كنا نجهل ما تأثنينا به الأقدار بعد وصولنا إلى (أبيها) اقترابنا من منطقة الخطر، ولذلك اختبرت رفاقاً من يعتمد عليهم وقت السدة، فكان في مقدمتهم المهندس محمد كنعان خريج الجامعة التركية في إستنبول، وهو شاب العرب الذين شاركوا في أكبر الحركات العربية، وقد كان وجوده معنا مساعدنا على أخذ القداسات وتسجيل الأرصاد ودراسة حال الطريق، فضاً عن أنه كان مصدر أنس وتباطأ بسبب بعض الصفات البهبية فيه. أذكر، وذكر رفاق بكل اعتباط وقائع مسلية كان طبها وفارساً كنعان. لقد افتتح المرحلة ببكينه ظلت وقتاً طويلاً باعتها على الضحك والانبساط. حين ركماً من مكان السكينة كان نصيب كنعان في سيناء الخاصة، فوجد فيها بنادقنا ومسدسنا وبندقية الصيد وقراطس الخرطوش، فانتقد ووجدوها فيها، وأفتقروا للćiك إلى مكان متسع في السبارة التي تنبعنا، مع كوننا المسافرين إلى ساحة الحرب وقد نجحت إلى الاشتراك في المعارك. ولا نعيل أحداً الفارق العرور عن ابتهاجنا بهذا الاقتراح ولمتنا لسكن كنعان سببه. وكان أن وصلنا إلى مكان بقرب السيل الصغير على طريق الطائف، فقد بنى سيرتان، وكنتان ساكنتان في انطبار السبارة الكبيرة لخلال خزان سيراتنا مما تصلبه من وقود، وهاتان قالتا لسكننا: وما رأيك لو كنا في البر وصادفنا صيداً، أو وحشاً كاميراً، أو عدنا، إلا يحسن لنا أن نرحو الصبر والتأني حتى تأخذ سلاحنا من السبارة الكبيرة ونتساعد لما وقعته حسب اقتراحك؟! هذه السكنة وكثير غيرها يدل على روح كنعان الخفيفة وطبيعته الساذجة البريئة.

الشخصية الثانية في الرفاق بعد كنعان: سكرتير الخاص محمد شيخو، وهو ألف الأسوار ورفق المسافر، حصن في كل أسوار في الدواد والخضرة، وأصبحت له ملكة في إعداد معدات السفر وإدارة الرفاق.
وهل هناك نابضان خصوصان خدمتي الشخصية، وهما مكلفاً بكل ما يتعلق
بشخصي فقط.

وهل هناك "الخفوي"، وهو زميل الرفاق وصيّره، يجمعهم أكرهه وأبكره.

وعنده الحلقة الكبيرة ساعات الحَل وآفقات الاستقرار.

وهل هناك أيضاً شخصية عقيد الحلقة الذي هو ميناء رئيس للأتباع، ووظيفته
الإشراف على الظهر والليالي والاحتفال، وإصدار التعليمات إلى رفاقه بالاستعداد للسفر،
أو بالتوقف عنهم، أو بنصب الظهر، وهو هيئة الوصل بين السيارة الصغرى وبين
ما يتبعها من سيارات الرفاق.

أما الطاهي ومعاونه وأدواته فإنه لا يقرن بالخفوي إلا إذا اضافت المعد من
المجموعة والتّابع في طلب الطعام، إذ يسأله السكك إلى قدره، هذا ينفع في النار.
وذلك يوقد الحطب، وغيره يذيع النبيذة ويسخنها، وآخرون يجيبون الماء، ويسخن
في تلك الساعة أتباع الطاهي. أما إذا امتنعت البطون وعافت الأنس الرفاه، ترفع
الرفاق عن الطاهي، وعاد هو إلى وحدته لبيوته فيها إلا معاونه.

أما السائقون ومعاونهم فإنهما يتنبئون في السفر لستهوا وقت الإقامة، إذ
ما يكاد يصل السائق بسياسته إلى الميل أو المرض أو المضحي، وما يكاد يتسرع
قيادة حتى ينبطح على الأرض في ظل سيارته أو في ظل شجرة.

والشخصية الفذة في السفر هي شخصية الدليل أو الخبير، وهو في الغالب بدوّ
من أهل الديار التي تجتاحها، ويختار عادة من البادية، لأنه أوسع خطي، وآبعد
مدى، وأعلى كعباً من الحضر التي تتحاور معلوماته في الحواضر وما جاورها.
وقد استخدموا أدلة كثيرة، فكان فيهم الخفي لروح والنقل للظل والمساء.

بيع معلوماته المبالغ في الوصف والمقل المتقّر.
5 — عود على بدء
لم تتحلى الظروف الفرصة التي أردت، فقد اصطدمت مفاوضاتها بعقبة كارثية لم يكن تدليها، وانقطعت المفاوضات بين الوفدين في (أبها)، فانتقلت إلى يد الملكين من جديد، وفانتها في (أبها) مدة لم تمضها عينًا، فقد جُنستها خلال بلاد عسير وما جاورها من بلاد شهراين، وتفقدنا العقبات الثلاث المشهورة، وأرسلنا المهندس للكشف عن أسبابها وأقر بها تناولًا، لشق طريق منها إلى تهامة لعبور السيارات، واجتمعنا بأعيان البلاد — وقد جمعتهم دعوة الحرب — في المجمع السامي للأمير سعود وللة العبد في بلاد شهراين، واتصلنا بأشخاص ما كان الزمن يسمح بالوصول إليهم، فضلاً عن الاتصال بهم، لولا حالة الحرب وضرورةها ووجود الوقوف على كل شاردة و ودالاً مما يتعلق ببلادهم، نحن معلوماننا ورتبناً وبو بنا عل قدر الأسباب، وأعربنا الأقوال والروايات، إلى أن قمنا بتقوي لم أترك أمرًا هامًا ما قيده، ولا خبراً من أخبار القوم ما دونه، فإن كنت فشلت في إكال رحلة على النحو الذي رسمته لها، فقد وقفت في جعل القسم الذي قمت به من الرحلة ناجحاً موفقًا.
فصل الثاني
ركنة

ال السم الركبة - عمان - آثار الفرشية - سهل ركبة

1 - السم الركبة

غادرنا الطائف عصر يوم الثلاثاء الواقع في 15 شوال سنة 1352 (1 يناير سنة 1934) كنا في ركب سمو الأمير فيصل، فأرادنا أن نسمست أحد الأودية في أرض الجديرية، على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً من الطائف، وناهيك بالسمر في الخلاء تحت أkiem السيء الصافية الزاهية، والسمر بئر النوراء، فنتمسك أحسن صور الليل الركنة، وترسم أجمل المناظر في الصحراء المرتفعة. ولدى الأمير فيصل جزء بالكتبة عامة بالمحتوى النسائي والشعرية العامة، ويخللنه نوع من إنشاد الأشعار يسمى بالرح، وطريقة الراح، أن يتقدم الجنود والشعراء، فرقين فيبقى أحدهم موضوعاً للإنشاد فيه، وعلى شعراء كل فريق أن يردوا بيت شعر، ولا يجوز التكرار للاحتفاظ في التنبيبء، وكل يحاول بروح الناس في شعرائه، فتزيد الأشعار ما بينه إلى إلقاء البيت المنشد على البديهة، ويتطلب رفاق الشاعر يردون البيت حتى يفتح الله على شاعر في الفريق الآخر للرد عليه، وهكذا دواليك.

عاشتم الأمير فيصل في بلاد المعبود والند، وفي الحفلات والولايات الأوربية، وعاشتم في الحجاز وفي نجد، كما عاشتم في بعض تزلته الخروية، وإذا به أمير الجلسان أن تكوند في بلاد الندى، بدويد بين الهند، فاستغفار بين الفرسان حتى أطلقهم للحيز أعطى، وفي هذه الليلة أرسل الأمير نفسه على سجيتهما محاكياً بذلك البداوة الساذجة فكلها أميراً عراقياً، يشارك قومه ماه فهمه.
فيشترك معهم في إيقاد النار وشروق لحم الضأن على طريقة البدو، ويا كل الشواء الناضج على الرماد الحار أو المطبوخ في جلد مفون بالرماد. من أوراد نشاط البرز، وطلاقة الممشي الحر من الخال، والقفر، فعليه جلس الأمير فيصل، ففيه الفضانة العقلية والجسدية، ولكن أن نحن الآن مما نحن مقبلون عليه؟ ودعا الأمير في آخر السهرة، وسررت بنا سياراتنا توافق في ضوء القمر وكانت الليلة عاومة، وكان الهواء عليلا، وكل ما في الليل من رفق وهدوء، وعذوبة يبعث على الاغتباط، فوصلنا حوالي منتصف الليل إلى آبار القرشية في طرف ركبة من جهة الطائف، حيث اعتزمنا تمضية ما تبقى من الليل، لكي نتمكن من القيام بواجهنا العامل الذي أخذنا على عاتقنا في وضح النهار.

2 - عكاظ

قد يخال القارئ أنني أقصد نسبية مجلس الأمير فيصل عكاظاً، والواقع أنني أقصد عكاظاً آخر، أقصد عكاظاً الصحيح الذي لا يوجد من يعرف العرية دون أن يكون قد سمع بكاظاً وسوقه.

لابد من أن تكون موضوع مكتاب عن عكاظ، فتلك مقام آخر (1) غير أنني في مطلع رحلتي - عرفت عنه أخصاً موضى على وقت غير قصير لم أوقف إليه. كنت أبحث عن عكاظ وموقعه، وأجتمع المتواتر وانعقد المواقع التي ورد ذكرها في أخباره، وكنت أعلم أن موقع السوق مختلف فيه، وأنه بجوار «كالة» بينها وبين الطائف، وأ بعد ذلك غرب بينها وبين قن المنازل، وأنه جرب بقربه حرب الفجر أيام الحرجة والأيام، ويرب، وأن في أطرافه البسيطة، والفنية وغيرها من المواضع، ويرغم كل محاولتي لم أستطع تمييز أكثر هذه الأماكن على وجه التحقيق، ولكنني اكتشفت خسر شرب ليلة سمرى في مجلس الأمير فيصل، والملك البيان:

(1) وضعت المؤلف رسالة عن «كاظا» وتحقيق موضوعه لتجنب للآن.
بين الطائف وذات عرق جبال وفسيب وسهم تقسم المياه إلى خطين مأللين،
فلخط الماء الغربي يجتمع مياهه في أودية السبل الصغير ووادي المرحم (قرن
النازل) والكلفو والسيل الكبير، وأما الخط الماء الشرقي فإنه يصرف مياه السفوح
والهضاب الشرقية.

تعرف الأرض المستوية المتينة من جوار بلدة أم الحمد إلى الزبارة بأرض
المدّرة، وتجمع الشارب ومجاري السبول في الجلدة في وادي كبير هو وادي شرب
الوارد ذكره في قصة القمح وعكاظ. ويعتدّ وادي شرب من الربوة إلى قرب
الأطَّيْر ماراً بالضعى الصالح والعرق والبمقوع ويجتراً ضلع الغليظ وضلع السكالية
إلى القرية، ثم تتورّب مياهه في سهل ركبة في مكان اسمه الخاش.

وركبة تتبول كثيراً من مياه الأودية القادمة من جهة الطائف، فإنها غير
وادي شرب الذي يعد من أعظم أودية هذه الجهة والذي تصب فيه المياه المتجمعة
في سبل القيم وأم الحمض والربوة والملجرة، هناك وادي الفرج ووادي لآية
غيرها.

أفادى هذا الاكتشاف فائدة عظيمة في إقناع بمكان عكاظ الصحيح، وكرت
من قبل قد لم تست أطراف الجلدة في أي حال والراعي عن موقعه، وشرعت في
تكوين فكرة سليمة له، فجاء خبر شرب فاطعناً جازماً بصحة الفكرة وقاضياً على
كل شك فيها.

كانت أذهب قبل اكتشاف الحال إلى أن التسهيل الواقع بقرب جبل القايس
بين السبل وذات عرق هو المكان الذي يعمل انطباعه على عكاظ أكير من غيره.
وكانوا الروايات متزائدة بأن مكان عكاظ هو المخل المروى بضم القهار عند
أعلى مجاري السبل الصغير على بعد 35 كيلومتراً من الطائف.

وكان أقرأ في كتب الأدب والجغرافيا عن تعرفات عكاظ المختلفة، ما يفيد
أنه سوق بصحرا، عندده صخرات ملسامة من جبالها المنتفق وهو لبني نصر والعبيلة،
والآن تعرف باسم السبيلاء، وكل هذه الأوصاف تنساق بكل صراحة للدلالة على المكان الواقف في طرف ركبة الجنوبي الشرقي بين أولي شرب والأخضر والترج وبين جبل المروى والخصا، ليس بعيد عن بلدة الاختيفر، فهنا، اكتشاف الحديث مؤداً لصحة ما ذهبته إليه، وإلى أرجو أن تنتهي إلى الظروف فرصة لإخراج رسالته عن عكاظ على أنها تكون اساساً جهداً لموقف سرقه بينه عليه في المستقبل.

3 - في آبار القرشية

تبت القرشية عن الطائف 55 كيلو متراً. وهي آبار في مجرى شبيب شرب قبل أن يغيب في ركبة عند الخاشي، تقع إلى الجنوب الغربي من ركبة، وتغيب عشيرة إلى شامها، والمسافة بينها قصيرة، والمسافة من مكة المكرمة إلى الخورة لا يبط آثار القرشية بل يرتاح عشيرة ومنها إلى ركبة ف هي برساً، وأما المسافر من الطائف إلى الخورة فلا بد له قط الدخول في ركبة - من التزود بالماء من القرشية. إذا لم يصادف بئراً آخر قبل الرجوع على بعد 91 كيلو متراً منها.

كانت درجة الحرارة حينها وصلت القرشية ليلاً 20 عشرين، بل اقتنا عند الفجر هبطت إلى عشر.

مشين من القرشية حوالي الساعة الثامنة صباحاً، وأركينا معنا الدليل الشبياني ليدلي إلينا بمواعيده عن ركبة، وهي دير لعطني كنا هو معلم، وقتنا الاحتفالات المختلفة من القرشية تتبين موقعها بالدقة فإذا هي واقعة في مكان مشرف على عدة جبال ماردة في أطراف ركبة هي:

1 - والير. 2 - الديوان. 3 - الخليل. 4 - الكلاية. ثم آمنا سهل ركبة المنبسط.

كان الشبياني خنف الروح دقيق اللاحظة، رفع عقيرته - عقب تحرك السيارة - منشأً أغنية بديعة في مدح السيارة ومطارشة بالداول والفرق بين سرعة الاثنين.
ركبت في موتٍ، يوضى بجفاته، يمضى النضج في النضج، يغ营运ه، يضيقه.

مامعة عيسى النفي يمن له سادة، وإذا رأى كيه يحترس بالخيل،
واكب إلى مايفذ، العروض غير من رأس الدموع، القسطان
البدو كالبياض قد يكون أليعا وقد يكون شروداً، وقد يكون ظريفاً حاضر
البديهة خفيفة، الليل أو يكون كسائر الدوامة عراة حفاة.
ويسترك البدو في غزوة الغزوة من القوى والحنك من الجهد، والطمع الشديد، وكمرة السول
والاستراح دون أن يمكن البدو خاطبه من أخذ أخباره وكشف أسراره، وقد
اجتماعه في صاحب أوصاف البدو العامة، ولكنه كان من القسم المقبول المستناغ.
أما من حيث المعلومات عن أحوال ديرته فكان سبوباً عصره، وأصبح
مصره، عرف بالعربية، رقعة رقعة، ومها من طفولته شبرًا شبراً، وجاس
مفاوضها، وسر فضولها، و%mأرها، ورأى ليلها ونهارها، وجريب صيفها وشتاءها،
وعر طلوع الشجر والفواكه، وعرف على الإشغال كله اتصال بجاهيته اليومية
سأله عن أمره ماستطعت حلة منذ سنوات، فحل لي الإشكال بكلمة،
وكشف الغطس بدون أقل عناء. كتب أخطاء بين شجر السيّال والسيّر والطاّلع،
وكبّها من فصيلة «الأكاسيا» البرية، وتنسبها جذوعها وموقعاً وأطعماً وأوراقها
وأزهارها نكبةً يعيّبةً، فما سأله عن القوارير بينها أجاب على البديهة، «تفرُق
بشوكاً، ينفوش الكيمّ دقيق، وشوك اليسير أكبر قليلاً وشوك الطالّة أكبّرها».
بروكته يَثني الشهابي، ورزاق الله علماً يا راعي الجيلة، لقد خلّت لمعضة عانتمها
كثيراً، وفشيّت في معرفة كنها، فسكتت في نظري سيد العارفين وإمام النبانيين.

- سهل ركبة

ركبة اسم يطلق على سهل فسيح من الأرض المبسطة يبلغ طوله زهاء مائة

(1) سيرة (2) يقين (3) الدليل: سهولة الدابة (4) الذي (5) يكمله
(6) عمود الفداء في السيرة.
كميلو وعرضا أقل من ذلك بقليل، وهي محصورة بين هضاب ومرتفعات جبال الحاجز عند المبوث والترويضات من الجنوب، وخصوصاً ما يتعلق به من الجبال النجمية من الجنوب إلى الشمال من جهة الشرق، والجسر المنارة مجرى البس من جهة الغرب، وأما من جهة الشمال فإنها تقع عند الهضاب الواقعة بين يريم والجليلة والدويك، ودحروج وسبيس والأشغنان وجبال الموية.

وركبة من أهم المراوي لقبيلة عتيبة، ويكثر فيها العشب والشجر، وأم شجرها السمرة وفيها أيضاً الطاح والواحات المشرح، غير أن الأول أعدها وأكثرها. وأما أعشابها فالمرداد والخصاب والعيون والقصي والثمار والخلطة والفط. وشهدنا قليلًا من نبات الحنظل والسنا والشرق.

وكثير الشبي الأسبه في ركبة، ولكنه شرع في هجرة منذ إدخال طرقه صديه بالسيارات. وقد كان من قبل يمر من الجبال إلى السهل، فانقطعت الآية الآن وأصبح قاره من السهل إلى الجبل حذراً من السيارات. ومع أن ما صيد منه خلال السنوات الأخيرة بلغ الافاد مما زالت قطاعاته كبيرة جداً.

وبياء ركبة قليلة، وليس فيها بئر واحدة، رغم خصبة أرضها وإحاطة الجبال المرتفعة بمنطقةها، والآبار توجد في أطرافها من سائر الجهات، وأهم هذه الآبار:

١ - عثيرة، ٢ - القرشية، ٣ - سامودة، ٤ - بريم، ٥ - صيارة، ٦ - حراضة، ٧ - البديعة.

ومع أن الجبال محيفة ركبة من سائر جنوبها كما مر بك، فإن من توسطها لا يشاهده إلا إذا مترايباً لا يعلو أثر مرتفع كالسائر في الم لا يرى إلا السهاب والسلا، وكذلك فإنها محيفة ويخشى من الغيبة فيها ما لم يكن الإنسان عارفاً بداخلها وخارجاً.

ذكرنا أن جبل حسن (١) يقع إلى الشرق من ركبة ويجدها من القيقب الشرقية الواقعة إلى جباث عرق سبيع ووادي الدواسر، وكان هناك سلسلة من الهضاب

١) بروى في الحديث: (من رأى حدّاً فقد أمّه)
القليلة الارتفاع تقع بين ركبة وحضن، وتعرف باسم البرقان نظراً لبضافتها واختلاف لونها عن لون حضن الأسود.
وقد سمي لنا الدليل عدداً غير قليل من الأبار والجبال ذات الأشكال العجيبة المخروطية أو المروية أو السمنة. وتتغذى ركبة من جهة الشمال على طريق الداهب إلى بريم عند أطر النوار على بعد 23 كيلومتراً من القرشية. وأما الجبال التي يمر بها المسار بعد أطر النوار فهي دخروج الأين ثم النمیلاء ثم دخروج الأيسر لوقوعه عن يسار الطريق ثم عدانا وعامة ثم سيداً ويدخل بعد ذلك في منطقة حضن وما جاوزها، وهو ما متصفحه في موضع آخر.
حينها مشينا من القرشية كانت الأرض أرض العراد والسمك، وبعد مسير 36 كيلومتراً قل العراد والسمك وكثير الخطاب والمجلة، وبعد خمسة كيلومترات أخرى عاد السمر والعراد وخلطه شجر الوط، وكما توجهنا شملاً يذكر لنا قم جبل حضن السوساء مستعراً من الجنوب إلى الشمال، وبينهما وبين ركبة البرقان، فإذا سارت السيارة ستة كيلومترات بعد أطر النوار أي 58 كيلومتراً من القرشية بدأت أرض أرض جبال من الحصبة السوساء، بينها ذيب، وكون هنا بدأ الأخدار قليلاً، ثم نصادر صخوراً ابتدائية تشبه الصخور الروسية، ثم حصاية مرة أخرى لماسافة بضعة كيلومترات حتى ندخل بين الجبال حيث يكون دخروج الأيسر على بعد حوالي 400 متر عن الطريق. وتفر الطريق في نقطة بين جبل البرما الذي هو منتهي جبل حضن من الشمال وبين جبل البيلة. وبعد سير ستة كيلومترات تصبح الطريق محصور بين الجبال التي ذكرناها من قبل وهي النمیلاء، على أبين وعامة على اليسار ويسيد إلى الوراء. وبعد سير ستة كيلومترات أخرى في أرض متحولة من رحمة إلى حصاية إلى حرة إلى رملية، تتغير استقامة الطريق من الاتجاه الشمالي الشرقي إلى الشرق متساماً، ثم يمتد إلى الجنوب الشرقي بعد أن تدور حول خط جبل البرما يفصل إلى أبار بريم الثلاث.
الفصل الثالث
ديار البقوم وسيب
الطريق إلى الخرما - البقوم - وادي تربة ووادي سيب - قبيلة سيب

1 - الطريق إلى أخرما

تعد الخرما عن آبار يريم 25 كيلومتراً، وتسير الطريق في استقامة شمالية حتى تصل حرة الريان بعد 25 كيلومتراً تقريباً، وليست هي من الخرما العظيمة، بل هي عبارة عن جبلين من الحجازة السوداء بينهما خندق، ويل進め طول الطريق وسط الحرة حوالي الستة كيلومترات.

ثم همتد الطريق بعدد الحرة، وتسير في أرض سهلية متواة ذات فاع صلب الظهار رخو الريان مسافة 16 كيلومتراً، ثم يعترضها واد مشهور يسمى "وادي القطن"، وهو الخدي الفاصل بين ديرة البقوم أي حصن وقابعه ودیرة سيب، ويعد عن الريان 35 كيلومتراً، والوادي الذي ذكره مجمع المياه المحدودة من حصن الشهاد، وقص فيه شعبان كثير، ثم يتم سواقة بعيدة إلى أن يغور بقرب جبل الأشفيان. وعلى بعد 35 كيلومترا من وادي قطن تصل الطريق إلى نقطة جفع، وحينها يكون المسافر في منتصفه يشاهد إلى المين حرة الكعبة وهي قسم من البقوم.

بعد أن قطعنا بريم، أصبحت خبرة دليلنا محدودة، فهو يقاوى عتيبي، والأرض من البريم إلى الخرما ملك للبقوم وسيب، وهم أعداء عتيبي وكأننا مهم قوماً (1). ولم يكن يستنى هذا الدليل قبل حكم ابن سعود أن ينبع من بمواشي هذه الديرة، ولذلك بدناه بغيره في الخرما.

(1) قوم: أعناه
الب يقوم

ينتسب الب يقوم إلى الأزد، وهم بادية وحاضرة - أهل ثقة وواس. جبلهم المبع حضن، ومركزهم بلدة «ترية» والقرى التابعة لها. وخارِبتهِم يبلغون الألف أو يزيدون، غير أنهم صعدوا لجيشه من عنبة وسمم وقحطان وثبَّوا على حرهم;
وهم إلى عنبة أميل وأقرب، وتنقسم القبيلة إلى خمس بدان: 1 - المرازيق، 2 - المورة، 3 - الكلابية، 4 - الرواج، 5 - القوامل.

ومن البقوم حاضرة استقرت في بعض بلدان نجد مثل قرية القصيب التي يسكنها آل زاحم، ومثل عائلات آل سويد واي عبد الله، واي رمز وأي عوجان. 
فلما إن البقوم كانوا أعداء سباع وكادوا ينزلون على المرازيق والموارد، وسكن ابن سعود أفلاً بين قلته ووحد كلمهم. فلما تنازع أهل الحرم على قصف في العلمية المكرمة وقف البقوم أهل تربة إلى جانبهم وحاروا معهم جنباً إلى جنب. والحركة الشهيرة بين الإخوان وقوات الأشراف إنها وقعت في تربة التي هي مركز البقوم. ولما للبقوم إمارة قائمة بذاتها مثل سباع، بل إن أميرهم يعينه ابن سعود من رجاله، وسناي على طرف من أخبارهم في موضع قريب.

3 - وادي تربة

وادي تربة أو وادي سباع هو أحد الأودية الرئيسية في الأتسع التي تتجمع فيها مياه الشبعان والسيول المتكونة من الأمطار التي تسفل على النفاون الشرقية سلسة جبال السراة ضمن حدود المملكة العربية السعودية وأقربها إلى الشمال (1).

وينشأ هذا الوادي من أطراف جبل حضن الجنوبية وما جاوره من السلاسل والمضاب، ويرسير في طول البقوم مسافة طويلة حيث تقع على جانبيه بلدان البقوم.

(1) الأودية السماوية احتبارا من الشمال إلى الجنوب هي: 1 - وادي تربة، 2 - وادي ربة، 3 - وادي بيشة، 4 - وادي ثابت، 5 - وادي حوية، 6 - وادي نجران، وزيد ذكر هذه الأودية مفصلاً في مختارات أقسام الكتب.
التي أعدها ترقب المهمرة بواقعها الحربية عام 1919 بين الإخوان والأشراف ساندكره في موضعه القريب. وحينها يصل الوادى إلى المكان المسمى «الغريب» على بعد 6 ساعات من الخرما، تكون حدود البقوم من جهة الجنوب الغربي قد انتهت، وتبدأ حينذاك حدود سبع عند المروة الجاورة للغريب، كما تبدأ هذه الحدود من الناحية الأخرى عند وادي قطان المزار ذكره. وهذه أسماء القرى الهمامة والموارد الشهيرة الواقعة على أطراف الوادى اعتباراً من دخوله ديرة سبع:

1 - الغريب.
2 - القرین: وهي عين ماء وقعت بجوارها معركة حامية بين الإخوان والشريف شاكر.
3 - حوفان: وهو مجمع مياه ونخيل وقصور.
4 - الخرما: وهي أكبر بلدان سبوع على الوادى، وتقع على ضفته الغربية، وتتألف البلدة من قسمين: أولها الخرما القديمة أو القصر العتيق، وثانيهما هجرة خالد بن لؤي التي أنشأها في الحرب العامة.
5 - الدَّبَّبة: ماء ونخيل.
6 - الدَّغَّة: على ضفة الوادي اليمنى.
7 - السَّلَّتَة: على الضفة السريرى.
8 - الوطاة.
9 - أبو عجمية.
10 - الجنو، هو ماء لا يخليل فيه، وقعت فيه معركة عظيمة بين الإخوان والشريف شاكر.
11 - السَّف، والخناف، والقنصلية، وكلها مياه على الوادى ولا يخليل فيها. وينتهي الوادى في عرق سبع ويغمر في رماله، ويمكن اجتياز المسافة من الغريب في أعلى حدود سبوععلى الوادى إلى العرق في أربعة أيام على المطية. ويمكن تقسيم طول الوادى من عالو إلى مصب به بمسافة مائة وعشرة كيلومترات.
قبيلة سبيع

تقيم قبيلة سبيع في الوادي المعروف باسمها (وادي ترعة). وفي وادي ترعة، وفي أطراف حِرْة سبيع وعرق سبيع، وهي من أهم القبائل في هذه الجهة، وها قسم آخر يقيم في العارض المخصوب بادية نجد، كما أن كثيرين من سبيع قد تخفروا وسكنوا قري نجد.

ويحيط بقبيلة سبيع في ديمرها: قبيلة عتبة من الشمال والشمال الغربي، والبقوم من الغرب والجرب الغربي، وقبائل الحجاز وبيضة وغامد وزهران وأكَلَب من الجنوب، والدوامس وقحطان من الشرق.

ويعتدن عن دير عتبة صوفي، وادي قطان عند امْتِرْفَة وَخُوَّم الرَّجَح وَشَيْب.

يخنَّش من جهة الشمال، وما الأَيْسَرَى الواقع بقرب خشم عرق سبيع من الشرق، ويعتدن عن دير قبائل بشة أرض الذهب التي تبعد عن رئة مسافة 15 كيلومتراً إلى الجنوب.

ومركز سبيع بلدان هاثمان: الخَرَما في الشمال، ورَاتبة في الجنوب. والقبيلة

فروع وأقسام متعددة تذكرها فيها إلى:

أولاً — الذين في الخَرَما من سبيع:

القَبِيلة، في السَلَمَيْن

الْجَبِتَيْن، في الخَرَما

بنوكور، في الخَرَما

الَقَرِينِيَات، في الخَرَما

ثانيًا — الذين في رئة من سبيع

(1) أما الذين في نجد من سبيع فهم:

أولاً — بنو عمرو ومنهم (2) الحضران وأقسامهم الممئة والجبور والنبضة والعرانات.

(2) الصعبة وأقسامهم الجنائن وآلل علي وآلل عزة.

ثانيًا — بنو عاص ومنهم الفردة والعيادات والصيحة والقدوة ونحوه.
ولكل فريق من هؤلاء كبير، غير أن الذين في الخرظا يتبعون أميراً من الأشراف المباشل هو ابن لؤي، والذين في رنية يتبعون شريعاً آخر من المباشل. أيضاً هو ابن صامئ.

وقد كان السبعان - قبل حكم ابن سعود وامتداد حركة الإخوان إليها - معادين لجميع جرائبهم من الروقة وبرقة من عتبة والدوام وقحطان وأقارب والبقوم، ولكن حركة التدين شملتهم قبل غيروهم، فتأخزوا مع الباقم، وقادموا عتبة التي كان أكثرها موالياً للأشراف في مكة المكرمة، ووقعها بينهم وفائع عظيمة سنذكرها في موضعها إن شاء الله.
الفصل الرابع

الزنا والادعاء

الإشراق والإخوان - مقدمات الزنا - الوقائع قبل الزنا - معركة الزنا - وقائع ووقائع

1 - الإشراق والإخوان

يطلق على النزاع الذي قام في أعقاب الحرب العامة بأعمال وبسيع وغيرهم من أهل نجد وعند حكومة الأشراق في الحجاز اسم "النزاع بين الإشراق والإخوان". بالرغم من أن وسائل التخلف في الجاهلين كثيرة من الأشراق العادل: الملك حسين وحكومته من ناحية الحجاز، وال الشريف سالم بن رستاق وآبائه من سبيل والبقوم من ناحية نجد. وقد تطور هذا النزاع من النزاع محلي إلى خلاف شديد بين الإخوان والاشراق، ثم إلى حرب شعواء بين نجد والحجاز كان من نتيجة إقامة العائلة المسنحة في حكم الحجاز وانضمام الحجاز إلى المملكة العربية السعودية. نشأ النزاع عن محاولة الشريف حسين بن علي أمير إمارة العربية أن يبسط سلطته وتفاوض على بلاد عربية وحرب عام 1910 على أثر توقيعه شراكة مكة، وعن اصطدامات بالسياحة الجديدة التي بثها ابن سعود في عهده نجد وفي معاشه، بنشرته تعاليم الإسلام الصحيح، وقضاءه على الخروقات والأوامر المبسطة على أفكار الناس وحلمهم من أجلى، يمكن إرجاع أسباب النزاع الحقيقية إلى عاملين: جوهرين: الأول ديني، والآخر سياسي.

أما العامل الذي فهو أن السكان والبقوم كانوا قد أطاعوا داعي التوحيد أيام آل سعود الأولين، ونشأت بينهم وبين أهل نجد صلات ود، لم تذهبها الأيام بعد أن عصفت الأزاء بحكومة آل سعود الأولى. فقام عبد العزيز بن سعود بدعوته السلفية قبل الحرب العامة بضع سنوات حتى أباحها عدد قليل من هاتين
السياق، وكان من نتيجة ذلك تولد أسباب الاحتكاك مع جيرانهم المحافظين على
جاهليتهم، ونشأء حزازات ومطاعم أدت إلى اكتساب الأمر شكلًا سببيًا خطيرًا
بين مكة والرياض كما هو معقول. والحقيقة أن يصح تبنيهم مدى تأثير كل من
العاملين أو تبنيهم المتقدم منها. فمحاولة الأشراف توسيع حدودهم من الحجاز إلى قلب
نجد عام 1910 كان العامل السياسي الأول والأخير فياً وقع، ثم ظهر صعوبة
باشر الدعوة الدينية الخاصة في نجد وإقبال البادية على اعتناق هذه الدعوة وامتداد
نفوذها إلى قبائل الحجاز كان العامل السياسي الذي خشى الأشراف شره
وحاولوا صده ووقفه.

أشرف الأقدامون في التساهل في تحديد الحجاز ونجد، وأين مبتاً كل منهما
وأين منتهته، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح القصر في إمكان أي حاكم قوي أن يدّعي
تعميق هذا القصر أو ذلك من البلاد للحجاز أو نجد. وبرز في الحديث الشريف
أن حدود الحجاز تتبنى حينًا يشاهد جبل حصن، وعلى هذا التقدير يمكن اعتبار
عصرة وأطرافها حُداً طبيعةً فاصلاً للحجاز عن نجد، غير أن الشريف حسين لم يقنع
بذلك، فادّعى تفكيك عهدة وحروب للحجاز على أمل الوصول من وراء ذلك إلى
توسيع دائرة نفوذه وسلطةه على القصر ونجد، ووضعه محاولة هذه في موقف التحدى
نجد ولأميرها على السواء، وقد تفاعل الشريف حسين بما أصابه من مجاب أوصله
في هجومه على نجد عام 1910 حتى القاعيًّة وخُفف عند نفوذ القدر، فشرع بعيدًا
عبدوه لبسط نفوذه الكامل الشامل. ودأب البقوم وسبيه وثيقة بين نجد والحجاز
فاذن ليبدأ بها وللذات مفتاح النصر والظفر.

رجوع الشريف حسين إلى التاريخ فوجد في بعض ما تلهه عليه الاعتقاد
بأن في استطاعته الاستيلاء على بلاد البقوم وسبيه، دون أن يحسب لمعظم الأسري
حاسبها، فاصطدم بإرادته الأهالي أنفسهم ومصالح جوهرية للقاعيًّة بسبيهم، فثار
الحجاز واشتد البمج، ولم نحن قرائه من أمير الخروما ولا علاقة مكة التاريخية
بالأشراف المتبادل فتيلة.
2 - مقدمات تربة

اطلعت على رسالة بالإنجليزية وضعها المكتب العربي بالقاهرة عام 1919 لإطلاق الحكومة البريطانية على مقدمات تربة وتفصيل حوادثها وقت اندلاع الأزمة، فرأيت أن أمرد خلاصتها فيها يلي:

1 - في 24 أكتوبر 1918 ذكر الملك حسين للسكولونيل وليسن المعتمد البريطاني بحجة أن أُمراء الخربة من الأشراف كانوا تابعين لنفسها وكأنها يعينون من قبل الشريف، وأنه (أي الحسين) عزل أربعة أو خمسة منهم، وأنه بعد وفاة منصور بن لؤي والد خالد تلى أخاه عوضًا عنه، ولكنهم بعد سنتين أصيب بمرض عضال قضى عليه، فعين خالد بن منصور بن لؤي وكيل للأمير.

2 - في ديسمبر 1917 ذكر الأمير عبد الله السكولونيل كورنويليس أنه - في الحقيقة - لم يحاول أحد من أشراف مكة بعد الشريف عبد الله بن محمد بن عون (الموفى 1877) أن يسيطر على بلاد عتبة إلى أن تولى والده الحسين شرافة مكة. وذكر أيضًا أن مجازفة والده كانت سببًا في استياء ابن سعود ومحرسه. وقد كتب الحسين لابن سعود بأن عتبة وحرّباً تابعاً للحجاز، فلم يوافق ابن سعود على ذلك، غير أنه وافق على ذلك وعلى دفع ضربة عتبة للمحجاز أيضاً بموافقة معاهدة 1910 حين غزا الحسين بجدة.

3 - وفي يناير 1918 جرى حدث بين السكولونيل هوغارت والملك حسين بجدة، كان رأي الملك حسين فيه خلاف رأى الأمير عبد الله، فذكر أن معاهدة 1910 أصبحت ساقطة لا قيمة لها. زاد على ذلك أن حقيقة الواقع هي كون الأمير سعد بن عبد الرحمن تعود بأن تعزي حرب وعتبة وسبيع وطابور من دفع الراكب لابن سعود وأي لاله رشيد، وأنه تطابق الخريدة لمدن القسم لاختيار أميرها وأن يدفع للحجاز مبلغ 3000 ريال في السنة، وأنه رغم هذا الشرط فإن المبلغ لم يدفع قطعاً، وذكر الملك أنه اعترف لابن سعود بحكمه على عتبية حينها يكونون في بلاده.
4 — وفي فبراير سنة 1917 ذكر الأمير فيصل (ملك فلسطين) للكولونيل لورنس أنه منذ نحو خمس سنوات شرع ابن سعود في خططه العدائية تجاه مكة، فاستولى على جانب ببعض البقوم وسبيع وهدي الطائف، فأضطر الشريف إلى إتخاذ تدابير جزيرة، فقرر ابن سعود أخاه سعود إنشاء المسائل، فلم ينطلق على أن يكون وادي الدواسر إلى النقطة التي يصبح اسمه فيها وادي رنية تابعًا لابن سعود، وأن تكون أودية الخمرة وبيشة ورنية للشريف، واعترفت الشريف بإدارة ابن سعود على قحطان، كما اعترفت ابن سعود بإدارة الشريف على عتبة (1). وفي عام 1913 عاد الشهاب لإبن سعود فأضطر الشريف إلى إرسال ولده عبد الله إلى ديار عتبة فبلغ經

6 — وفي 29 مارس 1919 كتب الشريف حسين إلى المعتمد البريطاني بجدة كتابًا برقمه 11-716، ورد فيه: «نحن نوضح لكم أننا بذكانتنا الرؤية فقط في الخريطة التي وضعها لوتسن، أطلق إرائه قصته عن المملكة العربية الهامشية، لم نكن نقدر مطلقًا أن الخمر وتراب وربية وبيشة والدواسر غير تابعة للعاصمة (عذرية مكة) لأنه حتى هذه الساعة تكون الذين نعين أمرها، ونجهل زكاتهم ووجهادهم يرسل إلينا، وأن الذي عينت خادماً على الخمر وعزلت الشريف أحمد بن سلطان من بيشة، وعطفته إلى خالد» (2).

6 — أما رأي ابن سعود الذي أدلله الشريف حسين والحكومة البريطانية فهي أنه لا يوجد أساس لمذيعات الشريف حسين بشأن ترابة الخمر، فضلاً عن المذيعات بشأن ديار عتبة في جد، وأن حدود الحجاز من جهة الشرق تتسم بقرب وادي الدقيق (غنية علما بالحديث الشريف وبالتعامل الجاري بين العرب، وأنه لم يعلم فعلًا بأن الشريف أي حق على نجد أو قبائلها، وأنه لا يوجد ما يذكر سباسته

---

(1) لا شك أن الذي قال الكلام عن لسان الملك فيصل كان يجهل أوضاع الأودية المذكورة.
(2) في هذا الكتاب مطلب صعب جداً بشأن وادي الدواسر لإيامه بأمل نجد.
(3)
التحرية ضد أهل الخرما وأهل الوديان على الإجلال لاعتقلا ولا تاريخًا، ولا من حيث الدين، وإن أهل الوديان يصيبون من أهل نجد، وأن إرادتهم وميلهم هما الأساس في حل الخلاف، ولا يوجد بينهم من يبد الشريف أو حكمته.

وقد عجزت أساليب السياسة والتحكيم عن حل الإشكال، فأهل الخرما وأتباعهم لم يقبلوا الشريف ولا حكمته وطلبو الإمداد والنجد من الإمام بن سعود في الرياض ومن كافة الإخوان في نجد، وحكومة مكة أصرت على خلع "خالد" وضم بلاده للحجاز.

فلم يكن بد — والحالة هذه — من نشوب القتال واستعار هذه بين الفريقين.

3 - الوقائع قبل ترعة

لم يعلن أهل (الخرما) خلع نير حكم الشريف في مكة إلا عقب إعلان الحرب العالمية وقيام الشريف حسين بالنثافة العبرية. وقد استمر الشريف خالد بن لوى أمير الخرما في حركات الحرب الأولى حول المدينة، ولكنه كان يرى نفسه مضطراً إلى مجازة أهل ديرته فيهم عليه من اتباع أهل نجد والسير على خطتهم، وكان يرى رأياً مخالفاً لرأى الأشراف فيما يتعلق ببعض المسائل الاجتماعية. وقد ذكرنا في الخرما أنه لم يكن موافقاً على قصر الصلاة بدأ إعلان الجهاد وغير ذلك من النسجيات.

عاد "خالد" من عند الأشراف في الحجاز إلى ديرته، فوجد الخلاف على أشدته، بين أنصار الفئتين من جماعة، غير أنه رأى السكة راجعة بجانب أهل نجد، فترأس الحركة الجديدة وانضم إليها واجه بها، ثم سار إلى الرياض وأعلن خضوعه وولاَه، وطلب "طلبو" ليكون مرشدًا لأهل الخرما في شئونهم الدينية، وقاضيًا يفصل في منازعتهم، فأجاب إلى طلبه، وسلم إليه لوًا من ألوة الجهاد. وبعد دعوته إلى الخرما أنشأ هجرته التي ذكرناها فيه تقدم من البحث، وأصبح منذ ذلك الحين عاصيًا لحكومة مكة ثارًا عليها، ووجه على الحكومة أن تؤدها. غير أن الشريف حسين لم يحاول ذلك في مطلع الأمر، ولم يرسل عمّالة لجامع الزكاة كالمثاد.
وفي أوائل عام 1918 أرسل الشريف حسين عامله للزيارة من مبع، فما كان من خالد بن لوى إلا أن اعتقلهم ومنعهم من القيام بعمليتهم، ثمة جمع قوة من الإخوان طور بها العناصر المناخية له من أهل الخمراء، وبذلك بدأ النزاع بينه وبين مكة.

وفي شهر مايو من ذلك العام كتب الملك حسين إلى الحكومة البريطانية ملتقاً نظرها إلى أعمال ابن سعود ومداخته مع القبائل التي كانت تخضع للحجاز من قدم الزمان، وملتولاً لها اعتزامه إنشاء قوة تأديبية إلى الخمراء، وقد أنذى بالفعل قوة مؤلفة من 1000 مقاتل بقيادة الشريف حمود بن زيد، فانتقل بها الإخوان في 30 شعبان سنة 1336 هـ (مايو 1918) في حوزة، وهزموها وشنتوا عليها.

أعلن الملك حسين في جريدة (القبلة) أن القوة بلغت عددها الذي رسم لهما ولكنه بالرغم من ذلك أمدها في شهر صيفي بنجدة عسكرية فنية ومعها عدد من الداعم والرشاشات، ولا يعلم في الخارج شيء عما جرى للقوة الأولى ولا للنجدة. والحقيقة أن النجدة وقعت في كمين نصب لها الإخوان في جِّبار في 17 رمضان سنة 1336 هـ.

فقد على أكثرها، وقد بلغت الوقائع قبل معركة زدبة حوالي عشر كان النفوذ فيها داننا حلية الإخوان. انشدنا بعض أهل الخمراء شعراً طويلاً جديراً بمضمته (ملحمة) للواقائع وتفاصيلها جاء فيها:

فؤاد (١) وحوزة (٢) وجنو (٣) مصارع، وجيش الأسس ليس جبار للكافرون...

و بهذا بيان الوقائع حسباً إملاً على أهل الخمراء: أولاً: وقعة حوزة الساقية للذكر في 25 شعبان سنة 1336 هـ (مايو 1918).

فائد الإخوان فيها خالد بن لوى، وقائد جند الشريف حمود بن زيد.

ثانيًا: وقعة جبار في 17 رمضان سنة 1336 (يونيو 1918) القائدان كما

(١) و (٢) و (٣) أسماء أماكن...
في الموقعة الأولى، ولكن جند الشريف يتزاون بسلاح الدافع والرشاشات.

ثالثًا: وقعة الحُمْؤُ، في 9 ذي الحجة سنة 1339 ه (أغسطس 1918).

وذلك أنه على أمر انكسار قوات الشريف جعفر محمد مرتين كما تقدم، صدر الأمر للشريف شاكر بن زيد أخيه بأن يتقدم لاحتلال الحمز وديعة غزوة بصفته أميراً على كافنة CONTRA، فنهض الشريف شاكر وعسكر في مَرَّان إلى الشبل الغربي من الحُمْؤُ، وشرع في إتاحة خواطره على سبع وأهل الحمز. ووفق إلى تأليف غزوة من المَقْلَة برية الشَّيبَوش، ولكنها مُعَيَّنة ما يمينه من قوات بدوية وحضرية، وخصوص مدفوعته ورشته، ووصل آبار الحمز على بعد 35 كيلومتراً إلى الشبل الشرقي من الحُمْؤُ، وكانت قوة الأخوان مؤلفة من 1500 رجل من مقاتلة أهل الحمز ووادي سبع و500 مقاتل من أهل المَقْلَة و50 من أهل الزَّينِ. وأما قوات الشريف شاكر فإنها كانت مؤلفة من ألف جندي نظامي و4 مدافع و6 رشاشات، ومن غزو العتبان الموالين للشرفاء وغزو أهل الطائف من قبائل به سعد وهذيل وسفيان وغيرهم.

فبِحِيط أن أهل الحمز كانوا يقدرون جميع قوات الشريف شاكر بستة آلاف مقاتل. بدأ الأخوان المعركة بهجومهم للليل للعلوم، وصاحبهم القوم «هَجَادًا» من الفجر المبكر، واصطحبوا معهم في معركة حامية الوطيس دارت الدائرة فيها على جند الشريف شاكر، فقتربت جندها فاصلًا إلى مران على ميل. وكانت حجة الأمير شاكر في انسكاره أن كثيراً من الرواية وبرقة اختار إلى جانب الأخوان قبل أن تدور المعركة وتركوه مع القوة النظامية وغزو تُقَبَّف وسعود وهَدِّيل من أهل الطائف.

ولم يكن له قبل بقائه هجوم الأخوان البديع.

وهجمت الحوادث بعد الحَمْؤَ بقعة أشهر متفاوتة هجمات من سرايا الأخوان على القوان التي كانت تنقل الأزراق والديثيرة إلى معسكر الأمير شاكر. وكان الأمير عبد الله بن الحسن محاضراً الدين، فوراد القدوة بنفسه إلى الحُمْؤُ وغير أن ضرورات الحرب أن يجعله إلى الغريب خوفاً من رد الفعل والانتكاس.
4 - تربة

(فرتبة) بلدة البيتوم كما ذكرنا، وهي واقعة على الوادي المعروف باسمها الذي يصبح اسمه بعد وصوله إلى الفريض - وادي سبيع، وهي أصغر من الجزيرة، وأقل سكاناً وأهمية، إذ كان مركز التقل السياسي في الزراع بين الإخوان والأشراف مستقراً في الخرما، غير أن شهرة تربة بعد الموقعة الشهيرة التي دارت رحاها فيها في شعبان سنة 1377 (1919) قد طغت على الخرما وكسنتها.

دارت الوقائع التي سردناها في النبذة السابقة خلال الحرب العامة، حين كانت القوات العربية الحجازية محاصرة للأتراك في المدينة المنورة، وكان القائد بأسرى الحصار حضره صاحب السمو الأمير عبد الله بن الحسين (ملك شرق الأردن حالاً)، فأراد أن يخفف قواته عن الخرما، وينهى أمرها عن القتال. وبدأت القتال في الخرما. غير أن الخرما من أن ينتمي خريباً باشا فصيلة غيابه وقتها. وقص القتال الحجازية للمدينة يقوم بحركة خروج قد تمت بعد أطراف مكة اضطره إلى الترتيب على مضض.

استعاد الأمير عبد الله حريته في العمل ضد أهل الخرما، بعد استلام خريباً باشا في المدينة في يناير سنة 1919، وخطا الخطوة الأولى بتوتيرته المدينة، ورفاعة القوة الحضرية من جنود الحجاز بمدافعينها ورشاهائها، وظهورها القتال البدوية، وسار من المدينة على الطريق الشرقي، وعسكر في أوائل إبريل في قشيرة.

وقد اختفت الرواة في عدد قوات القتال الحجازية التي كانت تحت قيادته، فعبدهم يبالغ فيها ويعمل عليها. وما يزيد على الضدع من ذلك زعم أن عددها لا يتجاوز المئات. أما ضباط الاستخبارات الإنجليزية حينهم فقدرون القوة الحضرية بما لا يزيد عن 60 ضابطاً و770 صف وضباط وجندى و100 مدفع و20 رشاشاً، والواقع أنهم يفوقون هذا العدد.
وما إن بلغ خبر حركة الأمير عبد الله من المدينة مسامع ابن سعود حتى احتيج على ذلك وأنذر خصمه بما يجره عمل الأمير من النتائج الخطيرة، وأنه مضطر لمقابلة حركة الملك حسين والأمير عبد الله بِمثليها.

بدأ الأمير أعماله العسكرية بإنشاء العصابات لتأديب القبائل المتمردة، فقابل الأخوان أعلامه بِمثليها وشرعوا في شن الغارة على القبائل الموارية له. وكانت الحديثة الأولى في الدُعْمَيْجَة في أوائل مايو 1919، إذ هجم الإخوان على بعض العدان ونهبهم، فأخذ الأمير سرية تقتني أنهم لم تفز ملحوفات بهم بلظهرت بُغزو آخر من الإخوان كان قاصداً الهجوم على نحف سريي يدعى مدرَّى. وفي تلك الآونة أيضًا هجمت سرب من سرايا الأمير على فريق من الإخوان في أخميم وقامت عليه.

نفذ الأمير بقواته من معسكر وُصِب في البديع في صفح خصْن، وتوجَّه منها إلى أرْبَة. وفي 31 مايو 1919 أعلن احتلاله وترقب بِمعركة دامسعتينة ونصف ساعة، وأنه - بعد أن جمع قواته - شرع في الاستعداد للتقدم على الحكومة، ثم خاطب قيادة قبائل سبيع والبحم وأسرم بتقدم الطاعة واللوظيف وهدمهم في حالة عدم الطاعة إلى القبيلة. غير أن الأمر لم يدم طويلاً، إذ كان الإخوان يعانون معداتهم لمقاحلة معسكر الأمير في ذلك اليوم نفسه.

وكان ابن سعود على علم بتدبير حكومة مكة، وكان - بوسيلة جواسيسه - على اتصال وثيق بما يجري في خِيم الأمير عبد الله في عشيرة، ولذلك فإنه لم يؤخذ على غيزة حينما سمع بحركة جيش الأمير من غزيرة في طريقها إلى وادي سبيع بعد اجتياز الأمير بالده الحسين والشامور معه في الخطة، بل شرع في الاستعداد للحرب بأن أنقذ بعض قوات الإخوان من هجرة الطائفة وسواها من هجر عتيبة لتكون إلى جانب أهل الخروما، كما جهز قوات أهل الغار تحت إمرة وسُر بها غربًا وعسكر في الساحة الشمالية، خرج الخروما على بعد أكثر من مائة كيلومتر عنها، وأصدر أمره إلى الإخوان بأن لا يکونوا نادرين في القتال ولا مهاجرين بل يظلوا صائرين مدافعين.
ولا تكن تربة هدف الأمير الأساسي بل كان يستعد لضرب الإخوان في الحزام، ولذا فإنه ما كان يتبنى من مسألة تربة حتى شرع في الاستعداد للتقدم إلى الحزام، ولكن الإخوان كانوا أسقبي إلى بأنه لم يتركوه له مجالاً لوصولهم، إذ لم نلبغهم أثناء هجومه على تربة كانوا في موقع اسمه القرون، وهو ماء على وادي تربة بينها وبين الحزام، فلم يلبثوا إلا ساعدوا ثم شرعوا في المسرح بعد غروب شمس يوم 25 مايو 1919 (35 شعبان 1337) فوصلوا تربة بعد بضع ساعات دون عناية الديمر، دير الإخوان، فهم يخزونها شياً شرياً ويعرقون مسلماً وجلباً وحزمة وشمبها وتخنيدها ومزارعها وبيوتها وقصورها، فلم يحتاجوا إلى كبيرة عناء لمعرفة ما يجب عليهم عمله حين مباغتة جند الأمير بهجوم مفاجئ.

رتب الإخوان أقسامهم رتبًا وفرقًا، وتولى كل فريق أمر فريق معين من جند الأمير الرئيسي والبدوي، وكانت جواسيس الإخوان وعيونهم قد عرفت مواقع الجنود ومنازلهم وعدد من فيها بالتدريب، واستعانوا بالرماة في هجومهم الذي اشتدوا به والذى يلبى الرعب في قلوب خصومهم، وحلوا حملة صادة مكبرين مثاليين.

ولم يكن الأمير متوقعاً هجومًا سريعاً كهذا، وظن أن احتلاله للربة قد أثار الرعب في قلوب الإخوان وأحلامهم، بل تنبؤهم لا يثيرون على الوقوف في وجهه فضلاً عن الهجوم عليه. ولذلك نام نائم جندهو، وهو خالي الدروض مطمئن البال.

وأفاد الجيش كما أفاد الأمن على أصوات الإخوان مبارين مكبرين، وقد عقد الدروع سرادة فوقهم، فنجوا عن استجماع قواتهم الفقيرة، وفر كثيرون تاركين أسلحتهم وبنادقهم دون أن يلومنهم على شيء، وتمكن الأمن من إمتصاص فرسه له قربة منه، وعاد أدراجهم من الطريق التي جاء منها منذ أيام، ولم يقف إلا عند الأفقين.

تتمحى معركة تربة من أشد المعارك الحربية الفاصلة في تاريخ جزيرة العرب الحديثة. وستظل ذكرها عابرة بالأداب كذا ذكر اسم تربة والإخوان، إذ قد
تزرت فيها قوة الأشراف شرب مراق، وقتل كثيرون من أفراد الجند النظامي كما قتل كثيرون من زعم الضباط الذين اهتكروا في الثورة العربية وفي حصار قرى باشا بالمدينة المنورة. وما زالت آثار نهر الأمير بدوي للآن مراها من يثور ترهبًا. وهنالك من أهل ترهب من يأخذ المتقارج إلى تلك الساحة في طن الوادى وأطرافه، فيديلنا على موضوع خيمة الأمير الخاصة وموضوع سرادة الكبير وخيام أركان حربه ومدافعه.

وقد شاهد المرء في الميدان بقايا تلك المعركة من جحاهم وأشلاء، فلا يسعه إلا إظهار الأسف على ما كان والترحم على من قضى.

وطارد الإخوان فلول الجيش الهائلي ولكنهم لم يتعرضوا طولا، وإنما هاجم فريق منهم في غرب مايو محترفًا خيال الذي كان الشريف شرف بن راحف فائده. ومع أن الإخوان لم ينكومن منه، فإن الشريف انسحب إلى الخيام يكتون بجانب الأمير عبد الله الذي بذل همه لجمع فلول جبهة لتصدى عدادة الإخوان لموكرو في مهاجة مسكونه في عشيرة أو بالتقدم إلى الطائف.

خاف الملك حسين كما خاف الإنجليز من تقدم الإخوان إلى الطائف الذي لم يكن لدى الأشراف فيه ما يكفي لصد عادتهم عن تدجيلهم لقوات الأشراف في ترهب. والواقع أنه لم يكن في استطاعة الحكومة المحتلة الدفاع عن عاصمتها مكة.

فدوسر الإنجليز بكافة الوسائل السليمة لحل ابن سعود على التوقف، فوافق كاهماً.

أراد الملك حسين والأمير عبد الله أن يجعللا من ترهب والحرمس مقدمة للأستياء على بلاد سبع كلاها وعلى بلاد عربية وربما على بلد آخر، ولكن إرادة الله شاءت أن تكون مقدمة أهل عرش المنشرين في الحجاز وشمه إلى ملك ابن سعود كما هو معلوم.

ليس في ترهب والحررس وربما من الخلاقين ما يكفي أن يطعن فيه، وليس من بأس في نظر الظروف أن تكون تابعة لأمير هاشمي أو أمير تهدي، ولكنها هي حكمة الله شاءت أن يكون منها سبب لتوحيد أقطار عديدة من الأقطار العربية تحت ظل
ملك واحد، فتحياً حياة واحدة، ويكون من اتحادها عزر وعظمة، ومبداً وحدة
عامة شاملة بإذن الله .

5 - وقائع وواقائع

بعد معركة تربة، اشتدت العداوة بين الإخوان والقبائل الموالية للآشراف في
الحجاز من خُضّ تقرب عشيّة والطائف، وكان القسم الأكبر من عرب
المجوم والدفاع واقعًا على عاتق أهل تربة والخوم من سبيع والبقوم نظرًا لقرب ديارهم
وكبهم أول من قام بالدعوة في غرب نجد، فكانت الوقائع وتمددت السرايا من
الجانبين على غير حدود، وكان للآشراف خفران في كلها والأخضر، ولكن
الإخوان كانوا يتعدونهم إلى جوار الطائف فيصولون ويجولون، وينهبون ويقتلون،
ويد حكومة الشريف قاصرة علىهم.

فمن الوقائع الهامة وقعة قريش على الأخضر في أواخر عام 1337 (1919)،
فقد أغار الإخوان على قبيلة قريش وأحلافها، واستقروا كثيرًا من الحال والمال،
وعادوا إلى ديارهم سالمين.

وفي عام 1340 وقعت وقعة الخرقان، وفيها قتل عبد الحسن بن خلاد
ابن لوئي.

وأم الوقائع على الاطلاق هي التي وقعت في مطلع صفر 1343 (1924) حينًا
زحف الإخوان تحت إمرة خالد بن لوئي على رأس جماعة أهل تربة والخوم من سبيع
والبقوم، وأحلافهم من عتيبة (بركة والروفة) بقيادة سلطان بن اباد كبر هجره
القطع، وتم توقيدا من الخوما إلى كلاخ تم الأخضر، حيث جرت وقعة كبيرة لم
تحل دون إحكامهم بالطائف وحصاره، ثم الاستيلاء عليه وضمه إلى أملاك
ابن سعود.
سار الفائعون من أهل الوديان بعد الطائف إلى الهدى، وتقربوا إلى الزيمة، فسكك المكرمة، ودخلوها محمرتين ملبين. فأصبح النادر العاصي فاوية ظافرا، والشريف الطريف أصبح أميراً حاكماً. وهذا من عبر الزمان وتقلباته.

لو علم الشريف حسين بن عبد الله بن لؤي سيكون سبباً لثلِّ عرشه لما عينه أميراً على الخرما. ولو أطلع على لوح القدر لما أقدم على ما أقدم عليه من مناولة أهل الخرما ومحاولة الاستيلاء عليهم بالقوة.

ولكن (قل الله مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء).
الفصل الثامن
وادي رئيده

1 - المسير من الخمراء

كان مسيرنا في أوقات قلقة غير عادية، إذ كنا نشاهد في طريقنا كتباء المجاهدين سائر المهندس، فنشأنا حين تمر بها عن أخبارها. أما في الخمراء فقد قابلنا غزو عرب ذو عينية بقيادة الأمير عر بن ربيان. كان سير الغزوة بطيئًا بسبب إبلهم وخليهم، أما الإبل فكانت تقضي ضعف الوقت اللازمة لاجتياز المسافات بسبب ضمها ونشرها السكك على جانبي الطريق، وأما الخيل لجنبة فكانت على وكب الوضع، فليس يمكن بد من السير على مهل.

نقابلنا مع الأمير عر وأبناء عمه، ونباحنا في الوقت مع ألين، وكانت ذهنية المحاربين غريبة في بيتها، وهي تدل على شيء، كنا جميعًا نلمسه في علاقاتنا مع جارتنا الشقيقة حكومة ألين، ذلك الشيء هو السياسة المفتوحة بوضوح وسياسة المطل من جانب ألين، وقد قاس الإخوان بسبب ذلك مشقات كثيرة، فإنهم سيقومون إلى الحدود عدة حوارات، ولكنهم كانوا يرجعون في كل مرة بدون نتائج، وما يكادون يصلون إلى أوطانهم حتى يتضادون منادي الفزو وداعي الحرب أن عدوا إلى الحدود اليابانية. فشمو هذه الحال، ورأوا أن لا بد من حل المشكلة حلا نهائياً، إما بالصلح الشريف المرسي وإما بالحرب، وليس ذلك عن رغبة في الحرب من حيث هي، بل عن نذيرة من ترك الأمور على غوار بها، فضطر الحكمونتان في كل وقت وحين إلى إنفاذ السرايا والبعثات. ومن أجل ذلك قال ابن ربيان: "إن لم يكن الصلح الذي تقدمونه صلحاً أساسياً دائمًا فإننا أدعو لكم بالفشل في مهمكم".
تركنا ابن ربيعان وجمعته، ومسمينا من الجانب الشرقي للوادي على أمل اجتيازه إلى الجانب الشرقي، فتركت سيارة الانتقال في رماله، ولم يتمكن الرفاق بمعونة أهل القرية من إخراجها إلا بعد جهد دام ست ساعات تقريباً. ألم الأنباء لمساعدتها هذه الفرصة لأدومن معلومات عن الخمر ووادي سبيع، واتمام إلى بعض شيوخ الخمر.

وهو يروى لوقائع الإخوان والأشراف ممن ذكرت في الفصل السابق.

كان القدر عند الصباح شديدًا جدًا، فقد سجل مقياس الحرارة 46 درجة فيERMيت، وكانت ملاحظة البارومتر ما يقرب من 500 قدم، والريح كانت تكتسح بشدة وتأنف الوجه بصعوبة، فوجد الرفاق في إخراج السيارة الغارقة في الرمل مسيلة للشفط والنشاط، غير أن حاسمة لرفقهم الجديد «الملع» كان ضعيفًا، والحق يقول إنه كان خيرًا بديله كل الخبرة، ولكن حينها اجتازناها إلى حدود رشيد ظهرت عليه علامات الرغبة في إعطاء المعلومات صحيحة كانت أم خاطئة، ولم تكن له خفة دليل اليوم السابق ولا دلالة.

كانت خطط عدم السير لبث إلا مضارًا، كأنتمكن من مشاهدة معلم الطريق في ضوء النهار. ولذلك فإن تأخرنا في السير عن الخمر حتمًا عليتنا المبيت قبل أن نبلغ ربية، مع أن المسافة بينهما لا تزيد على 14 كيلومترًا، وانتصف فيها طريقنا التي سلكنا وما على أطرافها من المعلم البارزة.

2 - صفة الطريق

المسافر من الخمر إلى رنية لا يتأثر مرة سبيع المشهورة، ولا يتأثر سبيع الرميل وهو مشهور أيضًا. أما طريق القوافل والنشا، فإنها تخترق المنحنى من جنوبها إلى شمالها.

كانت استقامة سيراً من الخمر إلى رنية استقامة الجنوب مع ميل ضعيف بيد الأطراف إلى ناحية الشرق، واحدها يبارى المساير، تحيل الخمر يياري سلسلة من الهضاب القليلة الارتفاع والمتبعة على ضفة الوادي الشرقي برجه غير قصيرة إلى
أن يصل مقطع شعبٍ في أرض ران وهو من الشمبان الصفراء التي تعيش في وادي سبيع. وتتغير طبيعة الأرض من سهلة ناعمة إلى سهلة حبصلة إلى رملية إلى فاع رخوة. وقد نثرت عليها حجارَة من بقايا الحرة السوداء النحاسة، لجعلها شبيهة بأرض الحرَّة إلا أنها ليست منها. وتقع حرة سبيع على يمين المسافر من الخرَّة إلى رنية.

و بعد نحو عشرة كيلومترات تبدأ أرض تسمى «الشقيق» إلى مسافة خمسة كيلومترات، ثم تأتي أرض تختلف عنها اسمها أرض «النشاشة»، وتختلف عن سابقتها بأنها رخوة ناعمة قد كسرس سطحها بالببطاح والحبصلة. ثم تأتي أرض «الحارة» وطولها تسع كيلومترات، تشبه الحرَّة في شكلها وحجارتها وسواحلها.

وتأتي بعد ذلك أرض «أم المح» ونهاها يشاهد إلى جهة الغرب بقرب الأفق.

ضمانها ما: الأسيَّانَ، تم تنزيع الأراضي بأسمائها المختلفة على الوجه الآتي:

<table>
<thead>
<tr>
<th>اسم الأرض</th>
<th>كيلومتر</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>دجلة المصاعبة</td>
<td>3</td>
</tr>
<tr>
<td>أرض شبيب البذرِّى، وقربها ضلاعا العسكر</td>
<td>6</td>
</tr>
<tr>
<td>إلى الشرق ضلع عنيدة، ثم جبل «تين»</td>
<td>37.5</td>
</tr>
<tr>
<td>أرض المعاصر، وقربها ضلع الجيمة إلى الشرق</td>
<td>8</td>
</tr>
<tr>
<td>أرض «شعب الناصفة» وقربها ضلاعا أبر السنون وضبع</td>
<td>17</td>
</tr>
<tr>
<td>واليعامِم</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>أرض الشجرة</td>
<td>15</td>
</tr>
<tr>
<td>أرض سَرْدُوج، ويشاهده منها إلى الجنوب الشرقي من ضلع جبيل مرفوع كالسنان اسمه غرامول</td>
<td>5</td>
</tr>
<tr>
<td>أرض «ذيلان»</td>
<td>وتقع جبال اليعامِم إلى شرقها</td>
</tr>
</tbody>
</table>

في الغرب
وأما يجب الالتفات إليه أن الأرض في هذه الجهات تسمى بأسماء الضلائع والهضاب التي تجاورها. فالكل جبل أو هضبة اسم معلوم، ويشبه يصف مياه الأمطار المتساقطة، وأرض عضوية تتم بقدر امتداد الهضبة أو الجبل أو سلسلة الجبال. بعد أرض «المراة» تبدأ أرض تعرف بأرض «شعبة الجزيرة» يقرب ربع من الصحراء قائمة وسط السهل، وهذه الأرض نشبة المرها في تكوينها. ثم تأتي إلى أرض «الأقر»، وبعد مسافات 15 كيلومتراً تدخل الطريق بين منطقة جبلية وتصبح الهضاب على الجانبين، ولكن الفرصة تستم من التناقص إلى أن تصبح صغيرة جداً حيث تصافح الطريق جبل نقيب. وتم وصل المسافر فضيًّا على أنه أصبح قرب رنية. ومن هنا تشاهد جبال مختلفة تعرف باسم «الزويرضاء»، والعديد من الكهوف وروك منيرة.

3- رئيَّسة

لكل قريّة أو بلاد علامة تدل على الاقتراب منها. فالميسار من مكة إلى الرياض يعلم أنه قد أقرّ من الموهّف حينما يصل الحافلة، ومن الدفئة حينما يشاهد النهود، ومن القاعِية إذا شاهد ذريع وهمداً. وأما القادم إلى رنية فإنّه يرى أمامه من بعيد منظوراً جميّاً جداً هو أقرب ما يكون إلى منظر بلدة عظيمة ذات قلعة وأبراج وآذان ومساجد، ولكنها في الواقع مناظر الجبال والنقل التي تظهر في الأفق بأشكال بحرية تتغذى عليها البصرات النهائية، لتمشى على أرض البصر دخل عظم في رؤية المنظر وكأسه ذلك المشكل المغرى الخصب.

ويطلق أهل هذه البلاد على أماكن فيها أسماء غريبة مستهدهجة يخيل السكان من تسميتها بالصراحات التي يستمتعها أهلها. ويكثر في هذه ال الجهات استعمال جملة (طيب الاسم)، يكون بها عضو التالي. وهناك قري في وادي شهيران يجوار سوق خمس مشيط اسمها (طيب الاسم) ويسكنها أهلها (كيسان). أما في رنية
فهناك كذا ذكرنا (غمرول) وهنالك (ذكر الخمعي) و (ررك منيرة) وهنالك (الزيرى) و (طب الاسم) يذكر مكون الأسماء بالألفاظ المستهجنة ذكوراً وإناثاً بدون أي تكلف أو خجل.

لتسمية «... الخمعي وررك منيرة» قصة يتناقلونها في رفاعة بدون استحيا:

كانت امرأة من رفاعة ترعى غنمها بقرب الجبل الواقع إلى جنوب الريف، وكانت هزيلة قليلاً الحمام واللحم، فسمت على الله أن يمنحها الصحة والعافية، بحيث يصبح كفلاً كجبل القريب منها. فأطلق على الجبل اسم «وررك منيرة» صاحبة القصة.

وكان بقرها رجل من خصمه، لا يمنع ذكرًا كجبل المستقيم كاسنان، ووافق بقرب الورك فأطلق على هذا الجبل裝 الحداد الشامخ اسم «... الخمعي».

دون حياء.

تتق رفاعة وأخرى البلدة الكبيرة في رفاعة على أطراف الوادى المروف باسمها، والذى ينحدر من جهة الغرب والجنوب متجهاً إلى الشمال الشرقي. وتحيط الجبال بالبلدة - من بعيد - من جميع الجهات، حتى إن القادمون من الشمال يضطر إلى وُجُوع جبهات عديدة بين الجبال إلى أن يصل الريف.

والجبل أمام قصر الأمير بن صالص - شريف من العبادل - يرى جبل «السُّدُودة» أمامه من جهة الشمال، وجبلي الورك والخمعي من الجنوب والشمال الشرقي، وسلاسل المُنْصَب إلى الشمال الغربي، والترافيش والسوادة والهدان من الغرب.

وقصر ابن صالص بنى على ربوة مشرفة على الوادي والسهل المحيط به في منطقة متوسطة بين أسفل الوادي وعلوه. وتمى البلدة التي فيها القصر (الحَزَم) وبقربها بلدة (الزوقة) التي هي السوق.

بناه ليلنتانا عند حبل الزَّيِزاء، وكانت الليلة باردة، فلبنا الرفاق إلى كهف طبيعي.

نصبوا الخيم عند مدخله.
4 - وادي رئيْنَة

كان يجب أن يطلق اسم (وادي سبيع) على (وادي رئية) لأنه ملك لبيبر من مبيته في بلاد غامد إلى مصبه في رْغْوة، على حين أن الوداء المعروف باسم وادي سبيع هو القسم الأخير من امتداد وادي تمبة بعد دخوله في حدود بلاد سبيع. كما مر في قص سابق.

يتالف وادي رئية من مجموعة من البحيرات تنشأ في بلاد غامد في السراة الحجازية وهو أحد الأودية السنة التي ذكرناها في الفصل الأول. وينتهيه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وكان يظن أنه ينتهي في وادي الدواسر، والواقع أن ينتهي في عرض الدواسر ولا يتصل بالوداء نفسه.

وتقوم على أطراف الوداء المزارع وحدائق النخيل والقصور والقرى إلى مسافات بعيدة، ولكن أكثر الزعتران فيه يبدأ من حين دخوله في بلاد سبيع، والقرى الواقعة على الوداء متقاربة متصالحة، يرى الإنسان إحداهما من الأخرى، إلا أن أعظمها وأهمها ما كان واقعاً عند منتصفه حيث يأخذ الشعيب أقصى اتساعه وحينها تكون الأراضي الواقعة على أطرافه أخصب وأصلح للزراعة والقلاية. على الوداء عند ماء (ثُرَاد) في ديرة غامد. ومن مبيته إلى حين دخوله في أراضي سبيع هو خط من القرى، ولكن لا ينصل من مياه أحدها (ثُرَاد) ثم (المقين) وهو ماء وَيْهَل. لنفداد وَيْهَل الشَّوْرَة، وهو ماء لغامد تجاوره مزارع، وهذه هي أحياء الوداء والقرى الواقعة على الوداء بعد دخوله في أرض قبيحة سبيع:

الصورية، الأَصْيَدة، على أبي ملَيح، الملاح. كلها مياه لبيع، وقد يكون بقربها مزارع وعَتَاري.

المفتيسة: ماء، وبقربه نخيل ينسل الشواور من شمران وبيع.

المَسْرَاة: ماء، وفيه نخيل وقصور.

الفنَّاجة: مزارع ومياه، ولا نخيل فيها.
الأملح: وهو أول العمران في وادي رانية من جهة الجنوب الشرقى، وهو ملتقى طريق القوافل بين الخرج ورنية وبيثة.

المحف: قرية ونخيل.

الطريقة: قرية ونخيل.

النهر: تتألف من خمس قرى متلاصقة ومزارع شتوية هي: اللوي، قرة، الظيبة، حويِّد، مقابل.

كويند: قرية ونخيل.

ملهى: قرية ونخيل.

الحزم: وهي بلدة الحكم، وفيها قصر ابن صام.

الروضة: وهي السوق الأسبوعية.

الديكة: قرية ونخيل.

السوارية.

العمر: وهي قرية ونخيل للشمشات من سبيع، وهي آخر العمران من جهة الشمال الشرقى.

وبعد هذه القرى توجد مياه جارفة وسعيدة وهي: الرقيم، المنعى، رِّعْوة، جريد.

في بلاد البواسير، وما الوعدي والطعام حيث يختفي في عرق وادي البواسير عند هيئة الخنمية.

ويتذب في وادي رانية من أهل ين شعب البَخْرَة، ومن الجهة الشرقى شعب.

اعتبار عند الأملح وشيع قرة عند بلاد الضرَم.

معيشة أهل رانية بسيطة هادئة. لهم زراع بالطبع، وأهم زراعتهم النخيل والحبوب،

وهم يعدُّون من��هة وجمال. وعندما ذوى في صناعة النسيج الصوفى الخاص بالخريجة والهديات. وهم وأبناء عموتهم في الخرجاّ متوقّف ضد أعدائهم الكثيرين في كل
أطرافهم، ولكنهم في رئة أبعد من غيرهم عن الفتن والحروب. وقد رأينا في المنازعة التي قامت بين الأشراف والإخوان أن سبب من أهل الخرمة وجيالهم من البقوم قد خلوا القسط الأكبر منها، أما أهل رنية فكانوا يفزعون وقت الحاجة فقط.

ويقع معظم العمران على الجانب الشمالي الغربي للواءد، والاحتياز من جانب إلى آخر يستلزم قطع المغارة الرملية في بطن اليواء أو بالقرب منه، وكثيراً ما تفرز السيارات - بالأخص القليلة منها - في رمالها ولا يمكن إخراجه إلا بعد عناء شديد، وهذا هو السبب في أن أكثر السيارات تفضل السير مع الضفة الشامية الغربية إلى مسافة بضعة كيلومترات غربا حتى تدور من جوار قرى الصحراء الأبدية في علقة اليواء، ومع ذلك لا يسلم من التعرض.

حينما رجعنا من أبيها، كانت الأمطار عادة والرمال مياسكة، فسلكنا بطين الشعيب أمام قرية الحرم، واخترقتنا المسافة اختصاراً، فوجدنا الطرق بين الطريقين عزها يتجاوز بضعة عشر كيلومتراً.

ما يوسف له أن حالة هذه البلاد الاجتماعية ككلاة سائر البلدان المنعزلة عن العمران، لا تفكر في غير معيشتها الصعبة اليومية، ولا تستند لها أمال أو أمانة بعيدة. يستغلون الأرض بعد حرضاً، ويرعون النخيل، ويتورون لقاء الله في الآخرة. ومن هنا نشأ عدم اهتمامهم بالتحف والتجديد.

ونساء هذه البلاد في مصايدن مثل نساء بلد الطائف، وإن كن إلى البداوة أقرب، ويشير السافر بالطرق بين أحوال النساء في هذه الجهة حيث يصبين السكر بمجرد وصوله إلى بلاد «خرب» في منتصف بلاد شهراون، ومنصف النساء وأزياءهن في موضع إن شاء الله.

والسافة من الخرمة إلى قصر ابن صالم في قرية الحرم 147 كيلومتراً، وحينها بنا في الززراء كانت درجة الحرارة 30 بمقياس فهرنهايت، وهبطت في الصباح المبكر إلى 48 درجة.
封锁的峡谷

瓦迪 بيشة

على طريق بيشة - وادي بيشة وأقدامه - روافد بيشة - قبائل بيشة - في بيشة

1 - على طريق بيشة

سرنا من رذوبة ضحي يوم الجمة الواقع في 17 شوال (2 فبراير سنة 1934) بعد أن أخذنا كمية سياراتنا من البزينة، في طريق طويلة إلى جهة مرتفع الوادي حتى وصلنا قري الصرمس، وهنا كان علينا اجتياز الجزيرة الشريب الرملية، ونلتقي الطريق على الصمم ثم نسباب جنوبًا على لواء مسيرة خفيفة تصل إلى الشمال إلى الجنوب، وفيها قنات وضباب مرتفعة تسمى على الترتيب: "ساحة العيون - القارة، والدينار - والجبل. وإلى بسار المسافر سهل متسارع إلى جهة قرية الوفرة وما وراءها من جبال المسالخ. وهضبة الجماعة تقع بين «... الخنمن» وورك موية، وبعد الطعم عن الصمم 30 كيلومترا إلى الجنوب. والأرض التي تختبرها الطريق كما التلال والرضمة أسماء لا أريد أن أكتب القارئ بيدك، بل أكتبني بذكري اللهم الباز منها وسAccessible خصائص كبيرة (طيب الاسم) الذي يتألف من حضيتين تسمى إذاً «حفار» والآخر «شقر».

وأدت اجتياز الجبل بمسافة بضعة كيلومترات يشاهد المرء أمامه وعلى يساره (شرق) عرفان من النخل البيضاء هو عرق (حنجران) الذي يبدأ في مكان اسمه "الخنمن" وهو مشتقة من الاسم الرمل والصلاب الاسود. ويرافق العرق الطريق مسافة أربعة كيلومترات، ثم يقطع بطريق "الحيمة" وهو هضبة سوداء تفصل الرمل عن السهل وتمنعه من الاتساق على الطريق، وهذه الهضبة فريدة في سوىها الفاخر الذي لا يشبه في شيء مما يجاورها.
وجبنا يصل السافر إلى بئر الجاهلية يكون قد قطع من رمية مسافة 67 كيلومتراً
كان رقيتنا هذا اليوم رجلاً من أهل الصحراء خُبْرَاً بالأرض عارفاً بأسماء الجبال
والأنهية، فلم يترك شاردة ولا واردة. وقد ذكر لنا طرفان من قصص أهل هذه البلاد
منها ما هو من قصص الزهر وأي زيد الهلال والسلطان حسن، ومنها ما هو مقتبس
ومنسوب إلى أبطال محاصرين.
وجبنا سنرا من بئر الجاهلية اجتذبتنا بضعة كيلومترات من الأرض السهلة الخاطئة
بجبل من بعيد، وهي أمراض أكثر فيها قبلها، فصادفتنا ثلاثة طالبين دارًا بهما حتى
اصطداماً أخذاً. وقض علينا دليلنا طرحاً صيد البدو للقضاء، قال: إن البدوي
الساهر يأتي على لجنة المضادة له برفق حتى لا يضر الحقان بريقه فيستنكراها
وبقر متنه، فإذا تلقته الطبي إلى وراءه ليماهدهم هناك من يطارد، وفي البذور
في مكانه كأنه جاد مستقر، فطمئن الطبي ويشعر في الرعب، فيتردد الصياح البذور
إذ ذاك مسافة أخرى، فإن انتهى له الطبي توقف كأنه جاد لا يتحرك، وهمدنا ذلك
حتى يصبح على مسافة رمية منه فيرمه ببني قلبه. والبدوي مقتنع مختط لا يعرف
في إطلاق الرصاص على طريقته.
مشينا من أرض السهل إلى أرض العريض وطلوها سبعة كيلومترات، ثم دخلنا
أرض "حب" وطلوها كيلومتران، ثم أرض الشمط، وثم أرض الخاوي حيث
ضع "منيظير" الذي رأيناه بجواره للغداء.
سرنا بعد البداء كيلومترات قليلة فوصلنا أرض "حالة العباس"، ونقم إلى عينها
ضع صفير وإلى بيضاها خشوم بني رَفْتان، والفاصلة بين الضمان البيني والسري
حوالي كيلومتر نصف.
تدخل الطريق بعد ذلك في أرض النعام ثم أرض الحبيل، وهنا تضيق الفرصة
بين الجبال، فنصيح الطريق هي مسيل الوادي المسى بالسوادة إلى مسافة سبعة
كيلومترات ثم تصل إلى هضاب بني رفائل، وترى وراءها سلسلة جبال عظيمة
تسعى "الجفر"، ثم نصل الطريق إلى أرض صعبة تشبه أرض الحرارة وتمتد مسافة
ستة كيلومترات.
ذكرت أن دلالة كان تزنيتاً خيارةً، فكنى نلتقط منه أقوالا ندل على خفة
الروح وتصوير الوقائع بالأمثلة، حينا اقتربنا من بيشة قال الدليل إنها بيشتان: بيشة
الحم هي علّا الوادي في بلاد قحطان وشيران، وبيشة التخل المروفة في كتاب
العرب باسم بيشة عبتان. ويدعم البدو بغنى بيشة يقولون: "لا مو بيشة بيشة
لستا العشيرة" يقصدون بذلك كثرة خبرات وادي بيشة وخصمه ونهاه.
وأخيرنا الدليل أن ديرة سبع تنتهي عند ضمان بني رفان في أرض الدهاب،
وتبدأ من هنا ديرة أكل من قبائل بيشة.
ثم الطريق في أراضي النَّفحة وطن دَي حُن وآرَض الشَّديدة التي يشاهد
منها جبل "جُمُور" وهو الدليل الذي يهدي به في الوصول إلى بيشة، وجعل
جمور هذا كثير الشبه بجبيل النور في أعلى مكة من حيث سكناه وارتفاعه وبروزه
عن الجبال المجاورة له.
وكلما قربنا من جمور تبدت طبيعة الأرض المليئة بأرض الحونة، ثم يزيد
هذا الاختلاف حين تتبث أمامنا السهول الخليوية على شجر الحمض والزعتر وشجر
آخر أكثر من الغطس ما كنت شاهدته اسمه "نتصب". وهذه الأرض على كثرة
شجعها وعَرْة كثيرة الجفر والأقواس الرملية والتضارب، ومنها يشاهد النخيل في وادي
بيشة في مطلع نهاره عظيم.
حينيا يقرب المُسافر من الوادي يكون قريبًا من تخل البحيرة في أسفل وادي
بيشة، وتقام المسافة التيقطعها من رئة 188 كيلومتراً.
وبعد قرب البحيرة بمسافة نصف كيلومتر تقريباً بدأ السير بباحيا الودى الذي
يبلغ عرضه في هذا المكان أكثر من نصف كيلومتر، ويتم متعني الرحل الواقع
على ضفتيه مسافة أخرى بحيث يمكن اعتبار مجرى الوادي قرابة كيلومترتين، إلا أن
هذا لا يفتيه الماء، إلا نادراً حيث يحلول السيل عظيماً جداً، والغالب أن الوادي يقسم هنا إلى مجريين شمالي وجنوبي. وهذا هو السبب في كونه غير مريح.

وصلنا قصر الحكومة في قرية الروشن مركز بيشة بعد مسيرة 172 كيلومترا من رنية.

2- وادي بيشة

ربما كان وادي بيشة أكبر الأودية السنة وأطولها، فإنه ينبع من سفوح سراة عبيدة من قحطان إلى الشرق الجنوبي من جبال عسير، ثم يجمع فيه أكثر مياه جبال عسير وشهران وقحطان. فتذاكرما بذلك وادي آخر يصف من مياه تلك البلاد وهو وادي تليث.

يبدأ وادي بيشة كما ذكرنا من سراة عبيدة ورفيقته، وكانت تقام عند مبدهة قرية عظيمة لم يبق منها إلا أطلال وخرائب، هي بلدة جرنش الورد ذكرها في كثير من كتب العرب، ثم يقطع هذا الوادي حدود بلاد قحطان حيث يكون اسمه "بيشة ابن سلم" أحد زعماء قحطان، ويدخل في درة قبيلة شهران، ويمر من مكان تقوم على أطرافه قرى شهران ومنها خمس مشيط، وبعد أن يتجزأها تقبل تصب فيها أودية فوعيدة غير أنها غامضة في الكثرة والأهمية، ومنها وادي "تنجدة" ووادي "أبها" اسمة "خيبي"، وسبى عندن ال (أي بعد انصباب وادي أبي فيه) "وادي ابن هشبل" أو وادي "شهران". أما بعد أن يتجزأ وادي بيشة بلاد شهران التابعة لابن مشيط وشهران التابعة لابن هشبل عند ملكان السمي "واعر" المعتبر في الواقع أول وادي بيشة، فبُستى الوادي "بيشة النحل" أو "بيشة عبطان" المعروفة في كتب العرب.

(1) ذكر الأمير سعيد بن مشيط أن وادي بيشة يقسم ثلاثة أقسام: بيشة ابن سلم، وبيشة ابن مشيط، وبيشة النحل.
فالقسم المرتفع من الوادي إلى جهة منبعه لا يمكن زراعة النخيل فيه، بل إن سكان تلك الأطراف يعتمدون في حياتهم على زراعة الحبوب، ولذلك سمى "بيشة القمح" كما أسلفنا. واعتبارًا من واعريكون الإقليم معتدلا وصالحًا لزراعة النخيل في مسأة الوادي عند "بشي النخيل"، وسنذكر تفاصيل الأودية والشامب التي تصب في أعلى الوادي حين تفصيلنا لبلاد شهران وبلاد عسير وقحطان، وسنكتفي هنا بذكر بيشة النخيل.

تقوم على أطراف الوادي اعتبارًا من واعريكون إحدى وعشرون قرية يتراوح عدد سكانها بين أربعين وخمسين ألف نسمة. وهذه أسماء القرى متبعين في ذكرها بجري الوادي من أعلى إلى مصبه:

1 - واعريكون
2 - الحبانية
3 - الرحمية
4 - الدحى
5 - الباقرة
6 - نمران، وهي محل سوق الخماط
7 - الروشن، وهي مركز الحكومة ومقر الأمير و محل سوق الأر بعاء
8 - النفيضة
9 - أبا الشوك
10 - الصبيح
11 - الحيتة
12 - الحرة
13 - الدحور
14 - الباقرة
15 - السقيفة
16 - الدوار
17 - الرقية
18 - التقعيم
19 - الخمسة
20 - الشقيفة
21 - الجذينة، وهي منتهى العمران والنخيل.

ويتدي الوادي في مسيره إلى أن يلتقي بوادي رنية في "رغوة"، وينغرم معاً في "المهل" عند "طاعن".
ويبلغ امتداد الوادي اعتباراً من "واعر" إلى "الجبنية" مسافة يومن ونصف
على المطية أي ما يزيد على مائة كيلومتر، وتبلغ المسافة من قرية "الروشن" في بيشة
إلى "خيس مشيط" ۴۰۰ كيلومتراً، ومن الخمس إلى بلاد ابن سالم في علو الوادي
حوالي خمسين كيلومتراً. أما المسافة من "الروشن" إلى "الجبنية" فإنها تزيد على
الخمسين كيلومتراً.
فكون طول الوادي من مجهبه إلى مصبه ۵۰۰ كيلومترا في العمران، وربما امتد
أكبر من مائة كيلومتر أخرى في الرمال، فيكون مجموع طوله في هذه الحالة أكثر من
۴۰۰ كيلومتراً، وهو طول عظيم جداً كما يرى والبداية يقولون: إنه يمتد من الشفة
إلى السفف(1).

3- روافد بيشة

إن أذكر هنا من روافد بيشة إلا ما كان مصبه بعد "واعر"، وهذه الأودية
التي ترد الودى ذات أهمية غير قليلة، فهي قرى عامة بالسكان وكانت لبعضها
شهرة عظيمة في التاريخ، ومع أنى كنت ملتثفاً إلى زيارتها فإن الظروف لم تمكن
لتسمح بذلك مع الأسف.
أولاً: وادي ترْجَ: وصب في بيشة عند نخيل الجبة وفي الوادي نخيل ومزارع
كثيرة، وأهلها شديد البأس تفتت بهم الشاعر ابن مقبل حينما قال(2):
جلوحاً بها الشم المباح كأنهم أسود بتج أو أسود عقوداً
وقال الحمزة العامري(3) في خصب ترج وعنه ترجمه:
وكان النخيل من بطن ترج وهي حوم حساسة للطماح
وقال أحمد بن عيسى الربداوي في أرجوزة الحج:

(1) الشفة أعلاى الجبال، والسفف يكتبون به عن النخيل.
(2) محلة جزيرة العرب للهندساني ص ۴۴۱
(3) محلة جزيرة العرب للهندساني ص ۴۱۵
(4) محلة جزيرة العرب للهندساني ص ۴۷۵
ما زال ذلك حالاً وحالاً تغيّى ظلال الله وأهل
حتى أنت ترجاً على أهالي وبيشة النخل بلا اغفال
أما قرى وادي ترج اعتباراً من مبتعه في سراة الحجاز إلى مصبه في وادي بيشة
عند تغير الحمّة فهي:
(١) القرية (٢) جماح (٣) البهم (٤) جوران (٥)
القرات
(٦) العربيه (٧) الحازى (٨) البدر. والأخيران قرب الحيمة.
نانياً: وادي تبالة. ويصب في وادي بيشة عند قرية الصبيح التي ذكرناها
بين قرى الوادي، والواقف أن الوادي المشار إليه يتغير اسمه قبل مصبه في وادي بيشة،
فهو وادي تبالة في أعلاه ووادي شمالي عند مصبه.
وادي تبالة هذا ملك لقبيلة المزَّر من << خضر >> وقيل إنهم من << شمران >>.
وقد ورد ذكر الوادي كثيراً في كتب العرب وأراجيسهم. وقد قال فيه طوفاني:
رأي مصرياً منها بودى تبالة فكان عليه الزاد كالمفر أو أمر
وذكره عبد الله بن عبد الرحمن الأرناؤبي في كتبه التي يذكر فيها افتراق الأردين
فكذلك خيار الناس قدم، وأجعلهم رجلاً بعيداً
واكثرهم شباباً في كِلِّ كأس تبالة الشهب الورد
وررد ذكر تبالة مع ترج وبيشة وهرجابة وقرى حوران وسواها في قصيدة
الجازة العامري، كما وردت في أرجوزة الحماية (٣) لأحمد بن عيسى الوداعي.
لاحظنا أن بعض الشعراء ذكر أسد ترج وأسد عفوان وأسد تبالة. وقد يبادر
إلى الذهن أنه كانت هناك أسداً من الأردن، والواقع أنه لا أسد فيها.
ذكر المدائني (٤) تحت عنوان: مواضع الأسد في هذه الجزيرة المضروب بها
المثال، قال:

(١) صفة جزيرة العرب لالمدائني ص ١٧٣
(٢) د. د. د. ص ٢٠٦ - ٢٠٧
(٣) د. د. د. ص ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٠٨
(٤) د. د. د. ص ١٣٧
أسد نبالة وأسد تُرج وتُرج وبيشة وأسد عُنوذ. فأما نبالة وتُرج وبيشة فهى من أعراض نجد، ولا يكون بها أسد ولم يكن، وإنما تُرج العبد أسد يُثني واليبدو فيه الهام، فيقولون بيشة بنجع الباب، وهي مواضع الأسد وبيشة عبتان فهى بكس الباب، وقيل بل أرادوا بيشة نجد، وأن روع هذه الأعراض من أعلى السرابة منها ما ينحدر إلى نجد ومنها ما ينحدر إلى نهامة، فإما أندمر إلى نهامة فالأسد فيه وهذا الجوار نسبوه هذه الأعراض، وربما قد تلع منها الواحد إلى أرض نجد قاطعاً من بلدة فماث فيها، فعلً أول من نسب الأسد إلى هذه المواضع عند الواحد والزوج في بعض هذه الأودية».

وينسب إلى نبالة بيت «دُوَّا الخصبة» وهو من الأصنام التي كانت العرب تُعتَمُها في جاهاليها.

وهي وعمة على طريق الحج من صنعاء إلى مكة، وفيها أباب عذبة ذكرها شعراء العرب وكتبهم، وسكتها في زماننا الحاضر بلاد فقيرة، وفيها من القرى 11 قرية منها: أربع لفرقة الصميمين من ختم قبل أن يتنير اسم الوادي، ويصبح «وادي البنية» وهي: (1) السو (2) الحضبة (3) وسط (4) النوز. وسمع في وادي البنية وهي: (1) الجبارين (2) التندة (3) الحرب (4) خريب السوق (5) يصر (6) الفوزية (7) الشقين.

وأما سكان الوادي فهم كما ذكرنا من ختم، ويقسمون أربعة أقسام: (1) الفصغيين (2) الدبلدين (3) بنو خماس (4) بنو واس.

ثالثاً: وادي هرجاب من الأودية العظيمة في بلاد شهان، وينبع من أعلى السراية فيضي مياه الأعشار في قسم كبير من بلاد شهان. ويقطنه طريق بيشة إلى

(1) وادي بيش في هامة عسير.
(2) انظر معركتها في كتاب تاريخ مكة للأزرق، طبعة مكة بطبع الأستاذ رشدي ملحص.
خمس مشيط في موسمين: الأول على بعد 37 كيلومتراً من بيشة، والثاني بعد ارتقاء الجبل قرب خير على بعد 133 كيلومتراً من بيشة. ويصب هراجب في وادي بيشة قرب الحيفة، وليس على أطراف هذا الوادي سوى قريتين في السهل القريب من منبج، وها قريتا الخضراء والعابر. رابعًا: وادي بطنعة، وهو يصب في وادي بيشة فوق واعر تقيل، ومنبعه من بلاد غامد.

4 - قبائل بيشة

في بيشة عدد من القبائل المتحالفة تذكرها فيها بلي:
أولا: قبيلة أ. كَلْب. ويلغ عدد محاربها نحو ألف رجل وينقسم إلى بنيتين:
الأول: عاشر. ونحى من الأقسام خمسة: المزارعة، الجَبَّة، الجزبة، آل منبع، ابن عبان.
والثاني: المَخْلَف. ونحى من الأقسام أربعة: بنو هزير، آل سحرة، بنو سعد، الجياهين.

ثانيا: قبيلة شهاران. هؤلاء عم قسم من شهاران الذين ينتشلهم على أطراف
وادي بيشة من منبج إلى مصعب، وهم كثير وعدد عددها، وأقسامهم ستة:
بنو وعاب، بنو مَنْبة، المَخَلَف، الزَّمْتَين، الحِنَانيَة، آل السَّنَد.
وبمناسبة ذكر شهاران لا يرى بأسًا من ذكر أقسامها الرئيسية النفسية التالية:
١) آل زَمْتَين. وكثيرهم: ابن مشيط وأبو ملحة
(٢) آل غَر. ٣) ناهْس. وفتيه خمس بدان: بنو علي، للزارة، بنو صغير، آل الْذَّبِّ، حور.

(4) كُوتُن.
(5) بنو يِجَاد.
(6) بنو واهب.
(7) آل سرحان.
(8) بنورشحة.
(9) آل بنيع.

ويتبع شهراً في الشف: بنو مالك (أبو فيك), والقرع, وابن جابر, والمسني. كما يتبعهم في نهاية فرع الجهرة.

أما القرى التابعة لـ شهراً فسندكرها في موضع آخر.

ثالثاً: قبيلة ملحثة فرقة من وادي رَج, وتقسم قسمين:


رابعاً: قبيلة خشم. فم أهل قرى ومزارع, ويقسمون إلى فرق أسمائها:

بنو ميمون, بنو عبده (أحب دمة, أهل باشوت, آل سرحان, المزارعة, السلام.

ومن خشم أقسام في تهامة هي: المنتشر, العوامر, بنو سهم.

كنت دونت هذه المعلومات عن خشم في رحلتي إلى "أْبَا", وكانت هذه القبيلة تابعة آنذل لإمارة بيشة, ولكنها أنشئت منذ نحو مئات إلى إمارة سراً الحجاز المجاورة بجاند وزجراً, فكتب أميراً تركي بن ماضي عن أقسامها مايأتي:

الخصر من "خشم":

(1) مم من الشالواء. وتوجد قبيلة أخرى باسم ملحثة ذكرناها في كتابنا "قلب جزيرة العرب" ص ١٣٨, وبعضهم ينتمون إلى الـ٤٠٣.
61
(1) بنو ميمون
(2) أهل الفوقة
(3) أهل الهبطية.

وأما البدادية فيهم:
(1) بنو داس
(2) الفزع.

خامساً: قبيلة بالقرن. هم أهل قرى ما عدا الصبب من دخيم فإنهم على البداوة، وأقسامها ستة: دخيم، آل مشيب، بنو رزق، آل سليان، آل الجد، آل كوير.

سادساً: قبيلة شوران. منها فرق تقيم في سهامة، غير أن لها أقساماً في ديار

بيشة هي: العبوس، سباح، آل مبارك.

6 - في بيشة

أقننا في بيشة يومًا وبعض اليوم، وتجولنا في أطرافها، وزرعنا بعض أعيانها، ودرسنا أحوالها، وجمالنا ما يلزمها من معلومات وأرصاد عنها. وبيشة - بموتها الطبيعية وخصب ترابها وتتنوع إقيمتها وكونها متوسطة بين عسير والحجاز والمداوير ونجد - ذات أهمية من الناحيين الاستراتيجية والمواصلات. وقد كانت دائماً مركزاً هاماً للحشد العسكري الذي يساق من نجد إلى جهات عسير واليمن. وقد لعبت دوراً عظيماً في بلاد شهرين وعسير أوائل زحف حركة الإخوان من ينبع. وكان النفوذ الأول الذي توجه بقيادة الأمير «ابن مساعد» لفتح عسير مؤلفاً من أهل بيشة علاوة على أهل نجد.

وبلغ سكان وادي بيشة نحو ستين ألفاً. والجباخ الفروض عليهم في الدرجة الأولى يبلغ 1500 مقاتل.

وأما درجة الحرارة يوم مرونا منها فكانت 74 درجة فهرنهايت و 70 درجة فهرنهايت عصرًا و
درجة فهي نهت صباحاً، وتتشد درجة الحرارة في أيام الصيف افتداداً عظياً، ولا
ذلك لما كانت زراعة النخيل فيها موفقية ناجحة. وقد قلّت مياه الآبار بسبب عدم
فيضان الوادي منذ سنوات. أما السدود التي تكفر فيها الأمطار ويجري فيها الوادي
تبدأ لذلك فإنها تكون سنين خير وبركة.
والصناعات في بيئة يدائية، وما هي إلا دين الجلد وصنع سرج الخيل والأبل
وئسج النسيج الصوفي الجاف الخشن، مما يستعمل في صنع الأسطلة أو الأرجل.
والبيوت في بيئة تؤلف عادة من طبقتين، وتحاكى أسوارها منتصفاً أرواب كبيرة
تسع لدخول الجبال بأحجامها. وقد شاهدنا بعض البيوت الكبيرة ذات الجدران
المرتفعة تحتوي سقفاً كوى لتصريف الدخان، إذ أن النار توقد وسط البيوت
للتدفئة وعمل الخضرة والشام.
أما طراز المباني في بيئة فقد تحولت تجولاً محصولاً واختيارات عما تهدئته في الحجاز
وفي بادية الطائف. ومع أن العادات قريبة من عادات أهل تجد غير أنها لاتتفق معها
تماماً، كما أنها لا تشبه عادات عسير وشیران التي ستوضحها في الفصول الآتية.
شرب الشاي والقهوة ثم تقديم المجهر يتحترق فيه عود القديم أو خشبة الإذخر
التي تكثر في البرية تارة عامرة شاملاً، ويزيد أهل بيشة على ذلك تقدم الدواشف
من الثروات، وهو للضيوف المستلزم. وهذا التفرد في العادات ناشئ على الأكبر من
وقوع بيشة على طريق القوافل الرئيسية التاريخية في جزيرة العرب، فهي ملتقي هذه
الطرق أو المحاذاة للمنج من أمين وحضرموت وعمان ووادي الدواسر وعسير والحجاز
وغيره. وفي القديم عرفت بيشة بأنها المعبر الذي دخل منه الشعب إلى مكة عام النيل. وتعود بالقرب من بيشة كتابة باللغة المزة القديمة لشبه السكينية
التموينية على صخرة في ربع الزوالا بقرب النيل بحجاز بينها وبين السهل الصغير
على طريق الطائف للجبال. وقد جرت العادة بنسبة دور الجليد الحبيبي بدر
النيل، لأن الطويل والجليد ممّا يعجز عن سلوك طريق السراة فتركتها إلى الغرب
وتسير في الطريق الشرقي السهل الذي يمر من بيشة.
ترؤدنا من "بشتة" بالبنزين اللازم لنا ذاتنا، وهي اللحظة الأخيرة قبل خيصر مشيط. وقدم لنا الأمير دبلأ من رجاله من شهريان، خيصر بالطريق والأرض والجبال والقبائل، لراقتنا إلى الجميس.

قبل سيرنا وقعت لرفقنا المهندس "كنعان" قصة مسلية، ما أتى نلقيها بها إلى يومنا هذا: اشتري كنعان كلوة النبيذة. وأهل بيشة لا يرثون كبير عناية في طهو الخريف، وكانت النتيجة أن تناول كنعان قطعة من النبيذة لا يجوز أكلها نظاً منه أنها الكلوة، فسكتت فرصة للرفاق يتسلون فيها بمشا كنة كنعان وتميره.
الفصل السابع

بلاد شرانت

في طريق المي separat - بلاد خبر - بين خير وتندحة - وادي تندحة - خيس مشيط
الأسواق الأسبوعية - وادي الوادي - السفور والزواج

1 - في طريق خيس مشيط

غادرنا قصر الروشن، دار الحكومة في بيشة، صباح يوم السبت الواقع في 18
شوال 1354 (3 فبراير 1934) ، ونستقي سوق « بتران » عن بيننا ، واجهنا نحو
الجنوب تنهب بناء السيارات الأرض نهيةٍ. وبعد مسيرة ثلاثة كيلومترات وصلنا إلى
بضع أسماء « قرن الحديد » سرنا معه كيلومترتين آخرتين ، وكنا نشاهد من وراءه
جبال الشهيلة » . نحن دخلنا في أرض اسمها « المنكن » تطل عليها « أبرز المقداد »
وفي مؤخرته ضلع « الحيرة البيضاء » فانحرأ. وأرض « المنكن » هذه سهلة مريبة
تبناها الجبال من شرقها وغربها ، وعرضها حوالي ثلاثة كيلومترات ، وسرنا فيها
من الشمال إلى الجنوب مسافة 14 كيلومتراً. وكنا اتجهنا إلى الجنوب ضاقت
بنا الفرجة بين الجبال وتشتت بما يكثر فيها من الشجر ، حتى نصل إلى ضليمات
صغيرة تتسع بعدها الأرض مرة أخرى وتقوم إلى بينها (غربها) سلسة « بات »
ومن دونها « جرياش » ومن وراءها « غرابة ». يكون إلى جهة الشرق في الأفق
« اللب » و« القرى » وهضاب « بن منبة ».

وبعد اجتيازنا لأرض المي دخلنا أرض « الجبو » ، نباتها السمر ، وطينتها
رخوة رخصة ، تفرز فيها السيارات ، يبترب قبها وادي « هرجاب » عند جبل « ميرياش »
الذي يقوم كالحارس الرقيب على الوادي العظيم.

وبعد أرض الجبوب تأتي أرض « الجزوة » التي يطلقها « ميرياش » من
إلى بعد حوالي كيلومترين ونصف متر.
ويشاهد المسافر من وسط أرض الغرَّة سلسلة من الجبال إلى جهة الغرب تعرف باسم «الشراة»، وهي السلسلة الموازية لسراة الحجاز وعسير المرتفعة. والجبال في هذه المنطقة كثيرة، بذل دليلنا جهده لنسبتها لنا وتعريفنا بحدودها من مبتداها إلى منتهياها، غير أنى لن أعجب القاري بذكرها هنا.

وبعد مسيرة ثلاثة كيلومترات من رنوم تبدأ أرض جديدة، سمها الدليل باسم "شبه"، وهي جزء واد محصور بين جبال الشراة من الغرب وذيلان وهضاب مختلفة من الشرق، وبعد أن نسير فيها مسافة كيلومترين نصل إلى الشهير المسمي باسمها وترافقه على صفتيه مسافة غير قصيرة، وقد شهدت أرض صهي هذه طريق مكة الطائف من حيث وعورتها وكونها في واد يرتفع فلـ: تقدمنا فيه، إلى أن نصل بعد مسيرة خمسة كيلومترات إلى عقبة نزفاها ونتحول منها إلى أرض مستوية مساحة كيلومتر واحد، ثم نتعلي عقبة أخرى. ويتغرق قطع أرض صهي من أولها إلى آخرها مسيرة عشرة كيلومترات، حيث نفارق شهيب صهي ونستقر في واد آخر اسمه "واسع البناء"، وهو ذو رمل أبيض خال من الحجارة والصخور. وتشبه الأرض هنا طبيعة الأرض الواقعة بين السيل والربيع الكبير (ذات عرق) على طريق مكة - الطائف.

ندخل بعد ذلك أرض "جلالة"، وهي سيب رفيع، بقربه تلال وركام صخرية كالحرار، وبدآن نسير فيها خمسة كيلومترات نصل إلى مكان يسمى "هضبة البتر" التي يمر بقربها شهيب جلالة، وبدآن مسيرة كيلومترين ونصف متر عن الشهير للذكر نصل إلى بئر غزيفة المياه، عمقها سبعة أمتار، تجاورها صخور ملساء، تنتها على نقش كثيرة، قد يحالفها المر كتلة هيبوغرافية أو جيورفية، غير أنها في الواقع أوهام الإبل وأوهام أخرى لامعنى لها، وهذه البئر اسمها "بئر ابن سرار".
ومنذ كيلومترين من البتر قطعت شعيبا اسمه "التلاع"، ثم ندخل في أرض "الحديبة" التي تبدأ على بعد مسافة ستة كيلومترات من البتر، وهي أرض محاطة بجبال حجرية مملوءة اسمها "الصمع" وهي بُنيت مشاهدة لأرض "الجندلية" و"الجندلية" بين "أرعي" و"أم الحمض" على طريق الطائف. وتشاهد من هذه الأرض حضاب متعددة مثل: نمرة، وحائط، ونوة، الواقعة قرب قرية: العاير، على وادي "هرجاب". وتري أيضاً أبار المياه، ورفعة، والحصير، وسقان، والصندرب. ذات اللون الأبيض الناصع الذي يميزها سواء حولها من حضاب ومرتفعات، وتمتد أرض الحديبة إلى مسافة 13 كيلومتراً.

وبعد ذلك أرض "السرين"، السوداء اللون، التي تمتد إلى مسافة ثمانية كيلومترات.

ثم تأتي بعد ذلك "الكينة" وهي أرض وواد مشهور في كتب العرب، فيرسي السيارة فيه من أسفل إلى جهة منبهرة عشرين كيلومتراً في مسارات وممرات تحيط بها الجبال من كل جانب، وتقوم على أطراف وادي كينة جبال مشهورة مثل ضلع "قرن الوشيل" وضلع "ربة" و"أبه سرير". والمبر في الوادي يكون معموراً، نصل إلى ضوء بين منه، لأن الطريق صعب، وضروب بين منه ضع صغير، أما بعَق على بين الصاعد على الطريق، ويتمد إلى مسافة كيلومتر، وحين مفارقة الضروب نصل إلى عقبة صعبة المرتفع عصره، ولكنكما رفيعاً بدون أي حادث، وقوالونا السير من جهة الجنوبية الغربية إلى "وادي قرن الوشيل"، فنضطر إلى ارتفاع عقبة ثانية، ثم بعد كيلومتر آخر عقبة ثالثة غير أنها أقل اخارداً من الأولى.

دخلنا بعد ذلك أرض "الخليل" التي بلغ ارتفاعها أعمق ما وصلنا إليه حتى الآن في الرحلة، إذ سجل البارومتر هنا غلوًا قدره 7100 قدم. واما أرض الخليل فإنها سهلة كثيرة العشب والرعي، قد يتغذى بها واهل من شهبان حمى لواشيبهم، وتقوم إلى شرقها سلسلة "الحصاة". وقد شاهدنا في هذه المنطقة رولا من الطبي
طاردناها فلأت إلى الجبال الصخرية فلتمكنت منها. وأذكر أن لنا في عودتنا شاهدنا فيها نوعًا من المعبر الابتدائي صناع بعضها. ومن ثم أخذنا الخلل ساقطة 19 كيلومتراً ثم نبدأ بالتوصيل ساقطة كيلومترتين حيث تطلب على جميع وادي «هرجاب» الذي قطعنا قسمه الأسفل في الصباح. وكانت الشمس قد قاربت النهار، والسوارم الصغيرة لم تكن قد حلت بنا، فقررنا البيت في هذا المكان.

حياة البرية لذيذة مبهجة، لاسيما متى كان المسافر مستعدًا لها أو متعدًا إليها. وكانت ميتشنتا في سننها الحال سارة، على وtüبة واحدة من التنزيف والتخطيط، غير أننا - بسبب ميتشنتا ثلاث ليالي في النهر والرود وبيئة - لم تمكن من الاستمتاع بحياة البرية المفيدة للإلهام. ميتشنتا في «هرجاب» نصب الرفاق للحامية، وتلقياً البديل في مشترى ذهbie لناشئهم، وانتشرتا كثيرة بجمع الخطاب استعدادًا لهذه الليلة الباردة المفيدة، وسرنا إلى ساعة متاخرة من الليل مع ضيوف جمهُوم نار القرى، فكلنا نسمع أحاديث الصحراء والبادية والمنجدة والهجازي، وامتزجت النفس وطيب السحر، فهرب الرفاق إلى جذوع أشجار ضخمة فافتصلوها وجروها.

مئتين بذلك فئة الأمف فصل ليلة الرحلة في أرض "الجديدة"

أفقنا في الصباح نشطين أقوىًا، فوفدنا متاعنا، وانسابت لنا سيارتنا تاركة وادي «هرجاب» إلى الشط الغربي حتى دخلنا أرض "الحصاة" التي تفصل بين بحرى «هرجاب» وبحرى وادي «أطر» الذي يصب في هرجاب أيضاً.

وبعد مسافة 15 كيلومترا من هرجاب تفرق وادي أطر وندخل في أرض الغرب وهي سهلة في مبتدائها، وترفع إلى الغرب منها بفصل "السباق". وهم يلاحظ أن شعيب "نهر" يصب في وادي "المصرع" الذي يصب بدوره في وادي "الثلم". ونسنار في أرض الأمف مسافة طويلة، تقطع تاراً شعيب مصر، أو الشعاب الصغيرة التي تصب فيه، ولا تكاد تنتهي من أرض الأمف حتى تشاهد في الأفق إلى جهاز الإسوار خليل بلاد خيري وقصورها.
بلاد خيرير

حينما سمعت بخيرير نهبت من النسبية، لأنني كنت أرجئ أن هنالك خيراً غير خيرير المشهورة بوقعها التاريخية في صدر الإسلام، والواقعة إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة، ولكن خيرير شهراً قد تكون أكبر من بلاد خيرير المدينة، وأعلن هواة وأعزب ماء. وأرض خيرير هذه فيها رجوم وركام من الصخور السوداء، وفيها شعاب وأودية كبيرة، إلا أن أكبرها شعيب السليل، وأعظم منه شعيب خيرير الذي يرفد شعيب السيرق الآلاف الذكر.

وتقوم بالقرب من خيرير عدة جبال أعوام جبل شائع (1) إلى الجنوب الشرقي منها. وجمع مياه الأمطار التي تسخّل عليه وعلى جواهره في الوادي الذي يجتمع فيه. في أول بيوت وادي خيرير مع وادي الشيق القائم من جهة الجنوب، وبعدهن ينافس الوادان خيرير ينفصل بهما السيرق، ويطلق اسمه هفداً إلى أن يصل في وادي فين بنين يصب في وادي تثليث الذي سنصبه ونذكر روافدها في موضع آخر من هذا الكتاب.

أما بلاد خيرير فإن أهلوها من شهراً، إما من مكرد وإما من بنين واهب، وهي عدة قرى متعددة على طريق وادي خيرير والشيق والسيرق، والبيوت هنا (وتسمى الفدورة) مبنية بالبلاط، وهي كأحواش واسعة، في أحد أطراف البيت الذي يشبه البرج، ويتلف على الغالب من طبقتين، يستعمل الأدنى أيام الأمطار في فصل الشتاء، ويفرض المواسير من بر وعاج ومعلق، ويستعمل الأعلى في فصل الصيف لنزق الماء، ولكن العرض الرئيسي منه أن يستخدم للحرب ومواجهة العدو ومكافحته.

ومما يضيف له أن اندماج الأمن في هذه البلاد قبل ولاية الملك عبد العزيز آل سعود جعل السلامة النهائية لأهل هذه البلاد وما جاورها، ولذلك تزعم راحم

(1) سنة جزيرة العرب للهداء.
قد جهزوا بيوتهم بوسائل الدفاع، وكذلك فعلاً بمزارعهم التي يبنون فيها الفصبات
الشبيبة والمذار فيهما عفاريق أرمى المدر وصده.
أما القرى في وادي خيبر فهي:
(1) رُغْوَة: في أعلى الودى، أكثراها مزارع للحبوب، فيها قليل من النخيل.
(2) البردان: فتبنا جد رُغْوَة، وأهلها من جُمُود من شربران.
(3) القفاش: وهي للصوح أيضا.
(4) خيبر: وهي لآل خُزام من بنى واهب، وهي أخضر من العبار، وفيها نحن عشرين قصراً.
(5) واسط: وقصورها عشرة.
(6) العبار: وهي غبرالوَلي، واسمها الحقيق غبار بن يجاد، وفيها عشرون قصراً.
(7) الحامض: وفيها نخيل، وقصورها عشرة.
(8) القفاش: فيها عشرة قصور.
(9) المبارش: أكير من النسبة.
(10) الحنفة.
(11) الفوز: وهي بلاد لابن دلقم.
(12) البغث.
(13) الحرفين: وفيها عشرة قصور.
وأم زراعاتهم البر والشعير والدرة والنخيل.

***

ومما يلاحظ أنني لم أشاهد هناك بعد خيبر من جهة الخيم وعسير، فسكاءها
الحدود التي ينتمى عندها زرع النخيل.
3- بين خير وplatzada

بعد مسیر بضع مئات من الأستان عن قصور خير، اجتزنا سهري الوادى، وسرنا
محاذين لجبل «شاع» الذي أصبح الآن عن يسارنا على بعد قليل منه، وكنا كلنا
نقدنا في السير اقترابنا من الجبل حتى السير على سفحه، وأصبح السلسلة تمتدًا إلى جهة
البين حتى مسافة ثلاثة كيلومترات تقريبًا، وهناك نبدأ سلسلة من الجبال الرمادية
تسمى «سلسلة الشميط».

أما أرض الوادي فإنها من النراب الأسود الناعم، ويكتر فيهما شجر العراد،
وبعد مسیرة عشرة كيلومترات تضيق أرض الوادي، وتبدأ السلسلة الدقيقة والبرسي
بالاقتراب حتى يبلغ البعد بينهما أقل من 500 متر، وعندنذا نصل إلى سهري وادي
السيل الذي يصب في خير، وفي هذا المكان يقطع جبل «شاع»، وبدأ المسیر
على سفح سلسلة جبلية واقعة على بين الطريق.

تضيق الجبال المخنوق على الطريق وتنفرج عنه مرة أخرى، وهي تنساب على
جانب وادي السيل أو على أحد جانبيه أو قاطعه له، ولنكن نتعرج مصدة مع علز
الوادي إلى مسافة بضعة كيلومترات، حتى تبلغ ارتفاعًا سجيله البازوب مقدار
770 قدمًا.

نتعو من أرض جبلية إلى أرض رملية، ولكننا نعود بعد كيلومترين إلى
المنطقة الجبلية حيث ترق عقبة يكون الارتفاع عندها 800 قدم، وتسمى الأرض
التي وصفناها بأرض السيل نظراً لأن السيل يصنع مياهها وينساب فيها. ونسير بعد
هذة العقبة قليلاً فنجعل عقبة أخرى دونها في الارتفاع، ومنها تبدأ أرض اسمها
«هضب الأشواط» وفوقها ضلع منفرد اسمه «قرن». ومن هنا تنتظر استئتمة
الطريق فتصبح مائية إلى الجنوب الغربي تماماً، ونترك «قرن» على ميمنا بعد أن
نكون سائرين في استئتمته، وتصبح استئتمة الطريق جنوبية تماماً.
نتجاعز بعد ذلك شعبيًا على بعد نحو كيلومتر واحد من قرن اسمه «تشيبب تقيف» ثم نوق عقبة يكون الارتفاع فيها 810 قدم. وحينها نتجاعز كيلومترين آخرين نصل إلى أعلى الهداب القابلة لنا ويتكون الارتفاع عندنا قد بلغ 440 قدم. وبالملاحظة أن هذه الهداب هي الخط الفاصل لقسم المياه، فإننا بعد أن بلغنا أعلاها شرعنا في الاتجاه إلى جهة الغرب حيث تتصدى المياه إلى جهة وادي تندحة. وبعد مسيرة نحو كيلومترين قطعنا شعبيًا صغيرًا ثم قطعنا مرة أخرى بعد نصف كيلومتر في مكان تكثر فيه المساحات وبعض شجيرات النخيل والدوم. ثم باتنا الطريق بين رجوم وركام صخري يعبر المرور من بينها وتسير السيار كأنها محور مع وادي نابلين من الصحراء الأصفر. وهذه القطعة من الطريق من أش ثورأبنا، وقد اجتازنا بين هذه الصخور والركام الصخري معيقاً يكاد يرهبنا عرض السيارة بكثير نطوله يزيد عن مائة متراً، ولكبنا ما نكاد نطرأ هذا المضيق العسير ونرى أعلى العقب من الجهة الجنوبية الشرقية حتى نشاهد منظرًا عجياً في الوادي المبسط أوامنا، هو منظر وادي تندحة وقراه الخضراء.

4 - وادي تندحة

يصبح وادي تندحة من أعم رواواد وادي بيشة حينا يكون اسمه وادي شبران أو بيشة ابن مشيط، وهو يصفي السفوح الغربية للهداب والمالك التي تفصل بين مجرى وادي بيشة مجرى تنابل، وقد رأينا أن الشبان التي اجتازناها في طريقنا كانت منتجة إما إلى ناحية وادي بيشة (أنط وكتنة وهرجانا وتدحة) أو إلها إلى ناحية وادي تنابل (وادي الساليل والمسيرات وخبير)، وعلى ذلك فإن وادي تندحة هو الوادي الثاني الذي يرقد وادي بيشة.

يمتى الوادي من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي في منحنات وتضاريس شديدة الميل إلى أن يصب في وادي شبران في مكان اسمه «الغراب» بقرب بلاد
أي هشبل، وبلغ طوله من منبعه إلى مصبه حوالي 52 كيلومتراً، ويكون مجرى
ضيقاً شديد الإكثار في بعض المواسم، كما أن ينخفض ويترسب في مواضع أخرى،
ويشاهد على أطرافه أرض خضراء جميلة جداً.
وحينها قطعناها وجدناها في جراح المياه جارياً، وقد أخبرونا بأن ماءها لا ينقطع
إلا في أشد السنوات قيظاً بخلاف سائر الأودية التي اجتازناها. نعم إن كثيراً من هذه
الأودية توجد فيها «غيبات» أي مواضع عميقة ينبع ماء الوادي منها ويؤلف بركة
منوعة واسعة ثم يغور مرا أخرى تحت الأرض فإن نشب عليه قيلأ ظهر الماء، وجري
وأكثر عبارات أودية عسير وجبال نهامة عسير فيها من هذه الفيول ذات المياه الملوثة
والهواء الكثيرة والجراثيم والآثار المرزغية.
وتقوم على أطراف الوادي قرى عامة ترى إحداها من الأخرى رأى العين.
وهي صفة لم أشاهدها إلا في أودية عسير ولاد شهير وقحطان. وقد ذكر في بعض
الذين سافروا طريق السراة من الطائف إلى اليمن أن السافر لا يفارق نظره القري
والقصور في انتقاله من مكان إلى آخر.
أما قرى الوادي تندفع اعتباراً من منبعه إلى مصبه فهي:
(1) أهل الدرب
(2) المعجبر
(3) ابن ساماء
(4) المزارة
(5) آل الحجاج
(6) آل مستنصر
(7) آل البرم...
ولأهل هذا الوادي سوق يوم الأحد، يجتمعون فيه مع كثير من أهل
القرى المجاورة لوديهم، ويتبادلون فيه بعض السلم والأمنة. وهذه العادة أي عادة
الأسواق الدورية والبيانية، فكان من الواضح أن السوق من الحجاز إلى البلدان، حتى إن القبيلة الواحدة قد يكون لها أسواق على آخر أيام الأسبوع تنطلق فيها منسوق إلى آخرها ومن حين إلى آخر.

ولم نتنته إلى النهاية إلا ريثما جمعنا ما أردنا من معلومات وأرائنا، وسنا مسافة ستة كيلومترات، فانجرف الباب أمامنا، ووصلنا إلى شبيبة الأرض المتعادلة بالشريحة بعد سبعا كيلومترات تقريباً، ثم مشينا قليلاً فأشارنا من أعلى الهضاب على بجرى وادي الخميس "خيسم شميط".

5- خيم شميط

كانت في ذهني صورة للخميس لم أُجدها مطابقة للإصل حينا بلغتها سمعت بأخبار منذ سنوات، ونصورتها مدينة كبيرة فضيلة الأرحام، واحة العمران معتمدة الإقليم، لأنها كانت مرسماً للعسكريات كما حصل التفتيش إلى جهة الحدود البحري أو إلى جهة تهامة، فيها وصلتهم يوم الغ_mex المثمر، لم يوجدها معتمدة الهواء قامة في سهل مبسط تبعد عنه الجبال مسافات كافية، ولكن لم أُجدها المدينة العظمى، المدينة التي رسمها الخيال في ذاك الوقت.

لمسما أشارنا على وادي الخميس من الهضاب الشرقية أصل يوم الأحد الواقع في 19 شوال 1352 (4 فبراير 1934) كان أول ما نفت نظرية الخبيطة المنتشرة في أطراف الودى وفي جبال السهل المبسط، وحركة الجيش وتنقلات جند الإخوان، وما بلالهم للعسكرات من حركات عسكرية أو قوافل مؤن وذخائر أو سيارات غادية راحة، كما استمعت انتباه شكل جديد للبيوت لم أشاهده من قبل. وقد انساب الودى في السهل كالنبعان ينثري من حارة القيعان، وقد رصدت جبال الوداء بالقرب المتصلة حتى كأنها تشبه قرية واحدة ذات حلل متنوع.

هنا وهكذا.
أما بلدة الخمس فقرية اسمها الحقيقى «الدرب»، وسمى الخمس لأن السوق الأسبوعى ينعقد فيها يوم الخمس. ويضاف السوق إلى أمير شهيران، ابن ميشيل من آل رشيد، فقيل للقرية «سوق خمس ميشيل»، ويضع اسمها الأصلي «الدرب».
فلا بد من إلهام.

بعد وصول إلى الخمس، فهم السر في اختيارها وقراً للمعسكرات الحربية، وذلك أن «أبها» وإن كانت أكبر منها وأقرب إلى الحدود الإسبانية وتغامة فإنها محصورة بين الجبال، ولا يوجد فيها الفيلا لرعي الإبل، وكذلك ليس فيها مصنع للكراتش، كبير، ووجدت أن على وقعة يعدم اختيار الإقامة في مخيم نصب على أطراف الوادي على سكني بيوت القرية وقصورها.

بيوت القرية، بل بيوت سائر القرى في بلاد شهيران، مثبتة، حينما أشرت من أعلاه الخمس على المسكر والقرى المجاورة له. رأيت من أمر البيوت عمبا! البيوت في هذه البلاد تنمو قصوراً أو حوراً، وهي في الواقع كذلك. جدار مرتفع يحيط بمساحة واسعة من الأرض يحسب قدرة صاحب البيت وسعته. وقد قامت في طرف منه، أو أكثر أبراج بعضها منزول لمعارق وسماح للدفاع وقت الحصار. وقد قام في جانب آخر برج مربع هرمي، الشكل تقريباً، فأعادته مخصصةً، ثم ابقت كلاً ارتفاع الطبقات إلى أن تأتي بحرف عليه مسحون؛ يجعل للقصر منظرًا جليلاً، ويظهر القصر بجماله كبناء، فرعون على الوجود الحديث. ولهذا ضرورة لأن يكون شرف شخص متوسط الجسد. أما طبقات القصر فقد تكون الثمانية أو ثلاثين أحياناً وتكوين أربعاً في النادر. ومวดات البناء بأكملها وطنية محض. التانى، يصنع من سكر الوادي، والسقوف وجميع الأسواق الخشبية في القصر تصنع من خشب الأثل المحلي موجود بكثرة. وقد شهدت عُمانيًا في أزج الباب القصر المسجدة مع شكلها البري، فإنها مخصصة في أسفل العصر ثم تضح كلاً ضمت مساحة البناء في الطباق العليا حتى تصبح دون المتر عرضاً في الطاقة الأخيرة.
ويتجلّى في شكل اللؤلؤ هذا فرق آخر لمسار طرفًا خلفًا منه في بيئة، وهو
الأهتمام بزينة المنازل من داخلها؟ فإن أكثر الجدران وأرضية الدرف وأدراج السلم
تلون بالأصباغ البائسة المخللة غالبًا، ولكن أجمل الأصباغ التي رأيتها هي اللون
الأحمر الفاتح الذي يؤخذ من عصارة البرسيم. شاهدت النساء يطلين بيئتين
من الداخل بهذه الأصباغ المبهجة، وذوقت في طرقتين متبتعتين في هذا الفن،
رأيت إنتاج قوام بصورة.
تنقي الكمية من القراب الروبي، وتزجّب كمية قليلة من النش السحوب (التين
أو ما يشبهه) وترش بالمساء، إلى أن تتتشرب تشريباً متندلاً، ثم تدقك السكتة دعكًا
قوياً، وترش على الأماكن المصوحة إصلاحها وتسوى بالأيدي (ولاحظ أن لم
أشاهد في شهرين، أو غسيل، أو حتى في العرس، من جمع آلات «الأسطر» لتسوية
الطيب) بل إن المال يستعين على الآلات المدينة، أو الخفيفة بأکفدهم، ثم
تتصبى بملعمة معدنية إلى أن تخف فنظير مصغرة برائحة، عندئذ تأتي النساء بالبرسيم
يزرون به الأرض الطينية بقوة مواضيع على عرش在哪 غير قصيرة، ثم يملأين الأصباغ
الأخرى من أحمر، أو أرجوان، أو أسود، أو أسود، أو كيلٍ، يخلطون بها
رسومًا هندسية، على قدر اجتهادهم في التنظيم، وإذا بالسكان بيئي بألوانه
الراوية، جيل فشاك لبرسيم، ولكنه غير تليف الرائحة ما لم يتعودوا،
لأن راحة البرسيم المدهوس تملأ جو الفرحة وتضيف الفداء على ما كنها.
والعارة بالطين ليست قائمة على قاعدة هندسية منتظمة، فقد يكون طول الفرحة
أكبر من عرضها، وقد يكون السقف مرتفعًا في جانب أو أكثر منه في الجانب الآخر،
وقد يكون الجدار مטייל أو بارزًا أكثر من ميل الجدار الآخر أو بروزه. والأواب
والنوافذ ليست متساوية، والهم أن هذا ينتمي للسكي نظرة المقيم فيه، وينفيه البند والحر
وعواصف الطبيعة. أما الهندسة وجمال الفن فإنها للنائس قائمان على حسب معهود
أهلي هذه البلاد واستعمالهم له. وحسب هذه البيوت أنها خزّ لصاحبة نقية عدوان
أخيه الإنسان، وتضمن له الدفاع عن نفسه وماله وعياه، وهذا كل ما يلزم.
تُسمى البيوت بالقصور أو الحصون، وتُسمى الح常にّة، وطنًا أو قرية، وقد تُسمى باسم معين لهما، ولكنها تُعرف باسم ما كُنِيَّا، فيقال قرية آل الحارث وقرية آل منصور وهكذا، وليست البيوت على السواء من حيث الشكل والبناء، فقيل لها جامع للأوصاف السابقة، وكثيراً يُؤلف من البيوت واطئة متواضعة ضيقة. ولاحظ أنهم يسمون النافذة "كسارة". والسفير يسمونه: التقطيب، يقولون: "قطّب الكسارة" يعني أغلب النافذة. ويسمون الموقد: حلا. والمطبخ: ملحة، وكثير مثل هذا من الاصطلاحات الخاصة.

يفضل كثير من مناخ "الخمس" على مناخ "أجا"، وскّن المزعم في الخمس كثر عطش وشدتها، فإنها تبدأ أطراف البنا، وتئلم هبو، بشيد من الضحك إلى ما بعد العصر، وأحياناً تندم إلى الليل، وربما كان مناخ الخمس قريب إلى مناخ الطائف في أواخر الصيف، ولكن لياضه باردة جداً. وقد سجل مقياس الحرارة درجات مختلفة، وأصغر درجة بلغها أيام إقامتنا فيها كانت يوم 22 شوال سنة 1354 (7 فبراير 1934) أربعين درجة فهرنهايت. أما ارتفاع "الخمس" عن سطح البحر فهو 736 قدم.

6- الأسواق الأسبوعية

شهدت يوم السوق في هذه القرية، وهكذا ذكرت يوم الخمس، ووجدت أن أكثر القرى المجاورة يستعدون له أسبوعياً، ويحضرون إليه ببضاعتهم من جميع الجهات، ومن بلدان قطران، وربما زمرودة، ومن بلاد عسير، كما أن الشهيرة يحضرها بانتظام. وينعقد السوق اعتباراً من ضاحية يوم الخمس في بقعة متسعة واقعة بين القرية ومركز المجيد. وليس هناك محارر أو مبانٍ لوضع البضائع وعرضها فيها، بل إن الأموال لايتطلب أكتر من بضعة أعود تفزر على أبعاد متناسبة وتغطي بقطعة من القلعة أو الخيش في خطوط متوازية أو متوازية يجلس أصحابها في ظلالها، فيسطرون
بضافتهم أمامهم ويرضونها على المازة. والذين لا ينتمون من نصب خيمة كهذه يكونن برقة من الأرض في العراء يسبط فيها سلعتهم. وهكذا موضوع داخلان في السوق برمته بعدما عنه: أحدهما لبيع الحطب والخشب من بسمم وقصب وخلافهما، والآخر لبيع السائحة والمشيحة.

نُذ إن في-density بعض المخازن الدائمة للبيع والشراء اليومى، إلا أن الأهمية العظمى للسوق الأسبوعي، نظراً لكثرة العارضين والمشترين فيه. وقد تجولت في السوق الأسبوعي، كا تجولت في السوق الدائى وسط القرية، فوجدت أن الأهمية للوام منهما. وقد شاهدت جميع السهل التي تلزم لأهل القرى والبادية من ماكل، أو مشرب، أو ملبس، أو أدوات منزلية، فلاحت أن حاجات الطعام والملبس أكثرين من غيرها.

***

ويوم السوق هو يوم العيد الأسبوعي في المنطقة منذما هو يوم البيع والشراء، وهو فوق ذلك يوم المغامرة والمحاكاة، وإبلاغ إعلانات الحكومة للناس، ويوم تأديب المجرمين، وغير ذلك من الأعمال التي تمرض الناس في معاشهم، وعلى الإجمال هو يوم جمع تقضي فيه الحواجز، وتفشي في المنازل والمشاكل، لذلك نجد القبائل كثيرة الاهتمام بأسواقها، مدافعة عنها، عاملة جيدة على إعداد المواصلات منها، وإقصائها عن كل مايشين سمعة أهلها، أو يمضف حركتها.

وقد وضعت إحصاء لهذه الأسواق في الجهات الواقفة بين الائمنتان(1) والحدود البادية فوجدتها تزيد عن مائة سوق. وهذه أسماء بعض أسواق شهران وعسير وقحطان وما جاورها مع ذكر مواعيد انعقادها:

---

(1) الطائف نفسه يسميه أهل المنطقة من بادية تنين وال끼ان ودهيل والسوق، وأما الطائف فينتمي لمنطقة بكمالها.
<table>
<thead>
<tr>
<th>يوم افتتاح السوق</th>
<th>القبيسة</th>
<th>اسم السوق</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>الخميس</td>
<td>شهران</td>
<td>سوق الدربي ابن مشيط</td>
</tr>
<tr>
<td>الاثنين</td>
<td>عسير</td>
<td>» كلثوم أبيها (1)</td>
</tr>
<tr>
<td>الثلاثاء</td>
<td>شهران</td>
<td>» ابن حوض</td>
</tr>
<tr>
<td>الخميس</td>
<td>عسير</td>
<td>» بنين زام من بني مالك</td>
</tr>
<tr>
<td>الأحد</td>
<td>قحطان</td>
<td>» ابن سالم</td>
</tr>
<tr>
<td>»</td>
<td></td>
<td>» عبيدة</td>
</tr>
<tr>
<td>»</td>
<td></td>
<td>» رفيدة ابن عامر</td>
</tr>
<tr>
<td>»</td>
<td></td>
<td>» أم زهران من ربيعة وفيدة</td>
</tr>
<tr>
<td>الاثنين</td>
<td>عسير</td>
<td>» الحرجة</td>
</tr>
<tr>
<td>ериал</td>
<td>قحطان</td>
<td>» ظهنان</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمعة</td>
<td></td>
<td>» صلب</td>
</tr>
<tr>
<td>السبت</td>
<td></td>
<td>» الفوار بين</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمعة</td>
<td></td>
<td>» آل خريم</td>
</tr>
<tr>
<td>الاثنين</td>
<td></td>
<td>» ابن مطر</td>
</tr>
<tr>
<td>الجمعة</td>
<td></td>
<td>» الشبين</td>
</tr>
<tr>
<td>احد</td>
<td></td>
<td>» كسان</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(1) يسمى أهل المملكة العربية السعودية يوم الثلاثاء، نثلوث، يوم الأربعاء، والربوع.
7 - قرى الوادي

ذكرنا في تقدّم من الفصول أن هذا الوادي الذي أطلقت عليه في هذا القسم اسم "وادي خريش مشيط" أو "بيتة ابن مشيط" ينبع من ديره "آل السميرة"، وهم قسم من "رفيدة قحطان" التي أمرها ابن هيثم في مكان يقرب جداً من خرابات جرح الوارد ذكرها في كتاب العرب في أعقاب مرتفعات عسير التي يسميها أهلها "السقف" أي الجبال بالقرب من مسح "غتيبة" الذي يحسب حداً فاصلاً لتقسيم اليناء الغربية والشرقية والجنوبية أيضاً.

أولاً: تقوم على أطراف الوادي حينها يكون في دار قبيلة رفيدة قحطان القري الآلية:

(1) آل الزهر (7) آل الرميح (13) آل نادر.
(2) المصبخ (8) ليوان (14) الخوف.
(3) القرحاء (9) آل الدماحي (15) عفرة.
(4) الرشيقة (10) آل السواد (16) آل عزينة.
(5) الدربين (11) آل المظبا (17) آل غر.
(6) عرب (12) آل عمرة.

ثانياً: وحينها يصل إلى بلاد ابن سالم من عبيدة قحطان تقوم على أطرافها الديانية:

(1) آل قريش (6) القضعان (11) آل قريش.
(2) الرمية (7) آل عصبة (12) آل ثابت.
(3) آل كنبية (8) آل كهدام (13) آل قرعة.
(4) آل حيدة (9) آل هليل (14) آل بن عام.
(5) آل حيدة من الحف (10) آل جيرة (15) آل سايان.

(1) إن قرى رفيدة وأقسامها بناها أكبر بكثير مما هو هنا، ولم أذكر في هذا البحث إلا ما كان واقعاً على الوادي من القري وهي قريه "جارية" و "مخطاب". أما قرى فابلة ألفه ووفاقة ورحبه والعلم، آل مستقبلي فقد تركتهم إلى طرفة أخرى.
ثالثًا: أما في بلاد شهراً فعلى وادي بيشة بن مشيط القرى الآتية:

1. مسحول
2. الرونة
3. نمان
4. آل هميدة
5. الرقية
6. دهان سكن الأمير بن مشيط
7. معلوم
8. السفاح، وهي منتجع الوادي
9. آل عزير
10. الدرب، وفيه السوق الأسقفي

رابعًا: وحين يصل الوادي إلى بلاد ابن هشبل من بين مجد من شهراً تقوم علية القرى الآتية:

1. المعامل
2. الفريدة
3. شفان
4. الشمثة
5. آل طاط
6. قصر
7. بنتين بن تغلبة

أما الزراعة الرئيسية في هذه القرى فإنها الحبوب (البر الثيران والذرة أبو نعوم) وأفواه ودحش. أما الخضر والفلاكة فإنها عنابة أهل بلاد شهراً بها قليلة جدًا. والعيشة من حيث هي بداية بسيطة، بحيث إن سكانها يعتمدون في ما كله على محصولاتهم الوطنية.

س. الصرف والزواج

من الأمور الجيدة بإعظام النظر في أهل هذه البلاد سفور نسائها واختلاطهم بالرجال، ولا فرق بين أن يكون الرجال من الأقارب أبناء البلد أو الغرباء والأجانب،
ويشترك النساء في أحاديث الرجال في مجالسهم، مما كان نوعها، سواء أكان
أبكراً أم نابعاً.
والاختلاف بين الجنسين قد تكون له مميزات بين الأقارب، وآلياً بين
الأجانب فقد كان من الدروى التي أهابت الأمير "سعود" إلى وضع حد له وتحريم
اختلاط الجنسين في المجالس أو في السوق.
وما المهور فإنها رخصة جداً، وليس أدل على ذلك من معرفة أن المهور بين
أبناء المعلم لا يتزاوج الخمسة إلى العشرة ريالات، وألياً بين أبناء القبيلة الواحدة أو بينها
بين القبائل المتصلة بها سنة المهور فقد يبلغ المهور من عشرين إلى ثلاثين ريالاً.
غير أن كثرة الزواج بجانب أدت إلى رفع المهور إلى مائة ومائتين وأحياناً إلى
أربعة ريال.
ولا يتم أهل هذه البلاد بالسكنة في النسب... حقيقة فإن عائلات الأرامل
والأعيان لا تزوج بناتها لتغير الكفء، ولكنّها شاهدت حوادث كثيرة قد
أغفلت فيها شروط النسب والسكينة، وكان الاهتمام بالكثير الغالي والزواج الكريم.
وكم أن يقع نظر الرجل على ابنته حساسة، بفتأ إليها في السوق أو على البحر
ويجدنها في أمر الزواج. ويمكنه أن يقول لها: "أنا ميدك"، فإن كانت راضية
عنه تجهبه بأنها "ميدة" وبدلاء على وليدها أو وليدها الذي يشبه أمها، ويتم الاتفاق
سرقاً. وهناك حوادث قد تجبر فيها المرأة طالبها بأنها "ليس ميد" أي لا رغبة
لها في الزواج.
ووالناس يتقنون أعمال المنزل، فضلاً عن الاحتفال وسقاية الماشية ونقل الماء
إلى المنزل والبيع في الأسواق. بينما من حاصلات الحيوان أو الزرع، باستطاعة سهولة
في الأسواق الأسبوعية. غير أن الأمير "سعود" منع من ذلك درعاً للمفسد بين
أفراد الجند.

(1) ميد، كلمة لم تأمل أساسها، وقد تكون مرفعة عن ودي، وبمعنى الرغبة في الأمر
وقصد إجراءه.
تعثر النساء شموخهن، وسرعان خصلة من الشعر فوق الجبين ويبقعنها،
فتبعد عليهن أشكال ذوات الأزياء الحديثة، لا سيما عندما يلبسن الثوب القفاض
الذي يشبه "موضة الكلوش" الطويل بين السيدات للمدختنات. وسواء الحظ لم
أجمع بإيقان النساء للخياطة، فإن هذه الصناعة مثل كثير غيرها وقف على السادة
الرجال. ولذلك فإن ثياب المروء تتبداع من الخراز التجارية مفصّلة جاهزة أو تمثّل
الخياط فيفصلها ويصحبها على هندام المرأة. ويتنطق النساء بأحزمة من الجلد
حول خصورهن، فيتجلّين في لبسهن أورّيات على الطراز الحديث!

وسأذكر في الفصول التالية طرفاً من بعض المواد المتبعة في الأعراس والولائم
وزيارة الأصحاب في "عصر"، فأقتصر هنا على هذا القدر.
القسم الثاني
عبير السراة
الفصل الأول

بلاد عسير

قدمة

"عسير" اسم جغرافي، اصطلاح حديث جداً، يعود تاريخ استعماله إلى حوالي مائة وخمسين عاماً، ولكنه كاسم قبيلة أو حلف من القبائل، اصطلاح غالياً في القدم، والأصل في الاصطلاح الجغرافي هو إطلاق اسم القبيلة على البلاد التي تسكنها، فيقال ببلاد عسير أو ديرة عسير، ويقصدون بذلك أوطان القبيلة الشهيرة التي تمكن أعلى السروات، وعلى الأخص سراة الأرد، ثم أحلمت النسبة واشتهرت البلاد باسم عسير.

وفي العهد العثماني جملت بلاد عسير "متصريفة" باسم: "متصريفة عسير".

أعمال قدماء مؤرخ العين العرب اسم "عسير" كبلاد، ولم يرد ذكرها في تقاسيم بلاد العرب الملؤة وهي: الحجاز واليمن وتهامة وفجند والموطش. وجعلها حدود اليمن متميزة بالجوار من ناحية السروات ومن ناحية تهامة. وقد أشار إلى ذلك ابن خزاية حيث قال: "وفيا بين سرهم راح والمهجرة طلحة الملك، شجرة عظيمة تشبه القدر غير أنها أعظم منه، وهي الحد ما بين عل مكة وعل اليمن" (1). وقال "ياقوت": "مهجرة" بلدة في أول أعمال اليمن بينها وبين "صعدة" عشرون فرسخًا (2) وكلاهما يطلقون على هذه البقعة من بلاد العرب: "بلاد السراة" و"ينشبون كل سراة إلى القبائل الساكنة فيها مثل "سراة جيلان" و"ألهان" و"المصانع" و"قدام".

(1) المسايق والمالك من 130 و 137
(2) معجم البلدان م 8 ص 208
و"عُذْر" و"هَتْوَم" و"سَراة خُيوان" و"جَنْب" و"عَرْز" و"الأَرْذ" وغيرها(1). وكانوا يستلهمونها كما قال "يآقوت"(2): "طَوْدًا" بفتح أوله وسكون ثانيه والدال: اسم عُلّم للجبال المشرف على "يَرَزَة"، وينقل إلى "صعاء"، وينقل له: "السريّة". وكذلك اسمها "المهداني"(3).

وكما توضينا في إطلاق اسم "عسير" على البلاد ليس فيها عسير، واحدا، استند عليه في عدد من الكتب، ولكن الذي يعني أن هؤلاء يعيشون هذه البقعة الجبلية كانت قبائل مطغية على الشبكة السكانية - وعلى رأى بعضهم: جماعة فتهرت - من أسلمة الأرذ، أطلق عليها اسمها فعرفتهم بهم ودعى: "بلاد عسير". وكذلك نعرف قرية كبيرة بأسمائها: سَكَنها مثل "زور آل الحارث" و"حَلَة آل هَيام" وغيرها، وعُرفت مما هو مشهور في بلد عسير والآخرين. نعم، كما قررت شؤون القبيلة، وامتدت سيطرتها إلى بلد القبائل المجاورة لها، عن اسمها على اسم تلك القبائل. وأصبحت تعرف باسمها فلا جاءت الحكومات الدنية وجدت قبيلة "عسير" أشد قبائل تلك المنطقة مراضاً وأعطاها هيئة ونفوذًا وأكثرها عدداً، فأطلقت عليها وعلى البلاد الموالية لها اسم "عسير" وجعلتها الحكومة العثمانية متصرفية كما مر(4). وسُمِّيت أن نسمى في النهاية صورة صغيرة عن حدود البلاد التي تسكنها قبيلة "عسير" والأم، التي تتبناها، أو التي ضمت إليها.

3 - حدود "عسير"

ذكرت في فصل مضى من القسم الأول كيف حدّد الأعراب وادى "بيثة" بأنه ينقل من الشمس إلى السفف. والظاهر أن أهل هذه البلاد مولون بالاصطلاحات القتالية التي تنوي أن التعبيرات القلمية، لأن حينها سألت بعض كبار "عسير" عن...
حدود بلادهم أفادني بتعرف جامع مانى في عرفهم كتعريف أهل "بيضة"
لواحيهم. قال:
 حدود عسير: من زهران إلى ظهران. تعريف يعج بأكبر علماء الجغرافيا
عن حل طلاسه ورموزه، علواه على أنه تعريف مبالغ فيه يقيد في الواقع مدى
سلطان قبيلة "عسير" في وقت من الأوقات أكثر مما يفيد حدود بلاد القبيلة، فزهران
بلد قبيلة عظيمة تقع بين بلاد الطائف وبلاد غامد، وتبعده عن "آبها" مركز عسير
12 رحلة للمساكن أو زيد. وظهران مركز "وادعة" من "عميد بن زيد" إلى
الجنوب من عسير وقحطان، بين بلاد قحطان وبلاد "صعدة" في اليمن. وتبعد
بلدة ظهران عن "آبها" 6 مراحل للانقراض، فتكون مسافة بلاد عسير بحسب تعريف أهلها
وتحديده عبارة عن 18 رحلة مدة من الشمال إلى الجنوب. وقد تكون ثلاث
مراحل أو أربعة عرضًا من الشرق إلى الغرب.
غير أن هذا التحديد مبالغ فيه جداً كذكرت، لأنه يشمل بلاد قبائل
كثيرة لا تتجأبها بقبيلة عسير غير رابطة الجوهر والخضوع في بعض الحقب لسلطان أمير
أو أمراء من "عسير"، كما حدث ذلك فعلا أيام سيطرة "عائش بن مريي" مؤسس
إمارة آل عائش، وكا وقع أيام ولده محمد بن عائش أدرك أمراء الأسرة العائلية
على الإطلاق. والقبائل التي يشتمل التحديد المذكور آنها هي كا يأتي اعتبارًا من
الجنوب عند الحدود اليمنية السعودية إلى الشمال.
1) بلاد داعة وسنجان (8) بلاد الباه (5) بلاد بالأهر
2) بلاد قحطان بأقسامها (6) بلاد الأسر (9) بلاد غامد
3) بلاد عسير (7) بلاد زهران (9) بلاد عمرو (10) بلاد زهران
4) بلاد شمرون.
وقد تكون بلاد "عسير" في منتصف هذه البقعة القصيرة من أرض السروات.
وذكر لي عسيري آخر حدود قبيلة "عسير" بالنسبة إلى التحديد الصحيح الذي
تشمل عليه دير القبيلة الحقيقية. فقال: "إن بلاد عسير من "تحريكة" إلى شمار".
والأول جبل عظيم في جنوب بلاد "عسير" حيث تتألف الأودية الكثيرة مثل "بيضاء"، و"عينود" و"ضلع"، والثاني اسم عقبة مشهورة تسمى "شعار" أو "تيجة"، وهي واقعة في منتهى حدود "عسير" الشرقية بينها وبين بلاد الأحمر.

قال المداني: "نَمَّلْ ياوطن حزيمة من شماليها عسير قبائل من غرب، وعسير يماطية ترّرت ودخلت في عسير، فأوان عشير إلى رأس تسية وهي عقبة من أشراف تهامة وهي أحوا، وفيها كفر ذي القرنين في بقال، دُعِّو عليه على رأس ثلثين من تاريخ الهجرة والدارة، والفينجا، والقصبة، والمحلة، والطاب، وأبناة، وطبل، والموت، وفرشة، والتمدبة. هذه أودية عسير كُلّها". (1)

وقول إن بلاد القبلة المعروفة باسم "قبيبة عسير" تتألف من الجبال والأودية وسهموب الواقعة بين أعلى السراة الأزرق في الغرب، وبلاد شهرين في الشرق، وبلاد قطحان في الجنوب، والأحمر والأخير في الشمال، وبعبارة أخرى هي بلاد واقعة بين جبل تمّة وعقبة القرن ووادي ركان المتدى إلى الخرّ فالبحر من جهة الجنوب، وبلاد بني شعبية ورنيعة الذين ونجال ألم ووادي حلي من جهة الغرب، وعقبة شارع ووادي تيبة والسهموب المتدى إلى بلاد الأحمر من الشمال، وسلسلة المضااب والسهموب المتصلة بلاد شهرين من الشرق. وإذا قيست المسافات بالساعات للنَهَارِ كانت المسافات من شمار في الشمال إلى تمّة في الجنوب ثلاثيّة وعشرين ساعة باللَبِنِ السريع، وفيما يلي كشف يوضح هذه المسافة. (2)

(1) صفقة جزيرة العرب س 118 - وأحياء الأوطان ما تزال إلى يومنا هذا على أسمائها ما عدا "عينود"، و"شمر" و"غرقة" والحدود لم تصل بها، وربما نثير أصابعها بتاج المزمن.
(2) انظر تفاصيل المسافات والمواقف في المرحلة الواقعة.
<table>
<thead>
<tr>
<th></th>
<th>دقيقة</th>
<th>ساعة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>من شمار إلى عقبة آل الحارث</td>
<td></td>
<td>4</td>
</tr>
<tr>
<td>من آل الحارث إلى عقبة آل عاصم</td>
<td>1</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من عقبة آل عاصم إلى عقبة بنى غنيم</td>
<td>30</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من بنى غنيم إلى عقبة المسقوى</td>
<td>10</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من المسقوى إلى عقبة الشرف أو الصباء</td>
<td>10</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من الشرف إلى عقبة السودة</td>
<td>10</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من السودة إلى عقبة السقا</td>
<td>10</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من السقا إلى عقبة آل عبيد</td>
<td>20</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من آل عبيد إلى عقبة للهمل</td>
<td>30</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من اللهمل إلى عقبة الباطنة</td>
<td>50</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من الباطنة إلى عقبة الملصة</td>
<td>10</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من الملصة إلى أبها (أو إلى عقبة ضم)</td>
<td>45</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من أبها إلى عقبة الهضبة</td>
<td>30</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من الهضبة إلى عقبة عضاعة</td>
<td>30</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من عضاعة إلى عقبة آل زيد</td>
<td>60</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من آل زيد إلى عقبة المَسْقى</td>
<td>30</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>من المَسْقى إلى عقبة وعقبة</td>
<td>10</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td>30</td>
</tr>
<tr>
<td><strong>المجموع</strong></td>
<td></td>
<td>333</td>
</tr>
</tbody>
</table>

وأما المسافة من الشرق إلى الغرب فإنها تقرب من المسافة التي من الشمال إلى الجنوب، وهي بين أبها وبلاد شهران - تبلغ 30 كيلومتراً، فإذا اعتبرنا بلدة «حَلْيَة» فاصلًا بين ديرتي شهران وعمير كانت المسافة من أبها إلى أقصى
حدود عسير في الشرق لا تزيد عن 28 كيلومترا، والمسافة من أبها إلى شمار تبلغ 60 كيلومترا، والمسافة من أبها إلى تربة أقل من ذلك. غير أن السيارة لا يمكنها السير إلا عن طريق خبز مشيط على محاذاة مجرى وادي بيشة. وعلى هذا الاعتبار تكون بلاد عسير نورة في سوء بقعة من الأراضي الجبلية يبلغ طولها 50 كيلومترا وعرضها 40 كيلومترا على وجه الترتيب. فأين هذه المساحة من الساحة الواقعة بين زهران وظهران؟

3 - وعورة بلاد عسير

منها أطلق اسم القبيلة أو حلف القبائل على البلاد التي تنتسب إلى، فلا يستبعد أن يكون بلاد عسير عسير نصيب من اسمها نظرًا لوجودها وصومعتها. حقًا فإن بلاد عسير عسير المرتفع وعمرة المسالك كثرة الجبال والوهاد والأودية. قامت سلسلة الجبال السراة سداً منيعاً من جهة المنبر فلا يمكن ارتفاعها والعبور منها إلا من قوات حفرتها الطبية وتحتها بين ملتقي الجبال وتقاطع الأودية. وقدمت هذه العقبات حارسًا أميناً على البلاد من جميع الجهات التي يأتيها الخطر منها، فظلت بعيدة عن سيطرة الفاعين إلا لما، فصدّت للجهات عمودًا في الحياة، ودفع في العصر الحديث بسرعة ودعاية الدفاع عن حصولها الطبيعية أو بسب وقوع الحياة فيها: المرة الأولى حينها هاجمتها "رديد بنها" في أواخر القرن التاسع عشر إلى من عقبة الصيانة واختل أهلها وسرمدة وردة، والمرة الأخيرة بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة حينها هاجمتها قوات تهامة المنشية تحت لواء السيد "محمد بن علي الإبراهيم" عام 1910 ميلادية عن طريق عقبة شمار.

ومنذ وصولها إلى أبها، وجهت هجومًا إلى اكتشاف الطرق القريبة التي يمكن جتياز السواحل منها إلى تهامة تسهيلًا لواصلات الجيش المحتشد في السراة وتهمة بذلك جست خلال الدور وأنفدت المهندس إلى الموقع التي لم تتمكن من زيارتها
بنفسى، ولكن كنت كنافاط الصخرة تتحطم دونها جهوده، فإن جبال السراة توافت حاجزاً قرباً لا يمكن تخليه إلا من فرجات محدودة يطلق عليها اسم العقبات، وهي بطيئتها مجالس واد منحدر من أعلى الهضبة إلى سفحها، ثم يمتد الوادي متغطلاً بين الجبال متمرة حول الأكمام والربى، إلى أن ينتهي عند ساحل البحر في تهامة.

سأذكر الأودية المحددة من أعلى الجبال في بلاد فاطن وعسير إلى ساحل تهامة في القسم الخاص بهمها بمثل الطريق التي اتبعتها ومازلت أنبهها في سرد تفاصيل الأودية التي تصنف السفوح الشرقية للسيلة السراة. وقد ذكرت في القسم الأول من الكتب ثلاثة أودية منها - قرية ورنيية وبيشة - وسأذكر في هذا القسم وادي تليث، وأذكر في قسم نجران الواديين الآخرين نجران وجبونة. ولذلك سأكنى هنا بذكر مبدأ الأودية في العقبات المشهورة.

ذكرت في النبذة السابقة أسماء 17 عقبة، وقد ذكرت خبراء هذه البلاد عقبات أخرى غيرها، فبلغ مجموعها 24 عقبة، لا أخرى باسماً من حصرها مع ذكر الجهات التي تصب فيها تهامة:

1) عقبة شعار، وتبعد 28 كيلومترا شمالاً أحدها، وتقع غرب الحدود الفاصلة بين ديار الأحر ودير «عسير». وهي في الواقع المنفذ المروع من عدد إلى محتال والقندزة، والطريق منها إلى أرها محدود لسبب السيارات، من أيام الحرب العامة، وأصبح قسم فيه عقبة أم الزك بقرب بلدة «ريشف» على بعد ستة كيلومترات من أرها.

2) عقبة رجب، وتبعد من شعف آل الحارث من ربيعة وورفيدة من عسير، وتصب في وادي تنيبة.

3) عقبة قضا، وتبعد من شعف آل عاصم من ربيعة، وتصب في النهاية في وادي خلي بن يعقوب.

4) عقبة واسان، تبدأ من السفوي في بلاد ربيعة وورفيدة من عسير وتنتهي

في وادي خلي.
(5) عقبة فرده، تصبه في وادي حلي عند حرف ابن سهوب في بلاد ألم.
(6) عقبة العباء، تقرب من ألباسه، وهي من أصعب العقبات، وقد يعتبرونها أصعب وأوعر من ضلع وشمار، وتنتهي في بلاد رجال ألم.
(7) عقبة نوابل، تبدأ من جبل السودة الذي هو أعلى نقطة في سرية عمري، وتصبه في وادي المنص، والذي ينتهي في وادي حلي.
(8) عقبة القرص، تبدأ من جبل السودة أيضاً، وتصبه في وادي شوكان، ضمن بلاد رجال ألم.
(9) عقبة أمطار (الطهار) تبدأ من السقا وتصبه في وادي مريحة ضمن بلاد رجال ألم.
(10) عقبة ضعاف، وتبدأ من السقا وتصبه في مريحة.
(11) عقبة زيدة، تبدأ من السقا وتصبه في مريحة.
(12) عقبة الصليب، وتتصبه في وادي لوتة الذي ينتهي في مريحة.
(13) عقبة آل الحارث (الحارث) تبدأ من الميمان وتصبه في وادي عرمال الذي ينتهي في مريحة.
(14) عقبة خنشعة، تبدأ من الهلال وتصبه في وادي الفيلم ثم في مريحة.
(15) عقبة نوابلة، تبدأ من الباطنة وتحول على وادي الفيلم ثم تصل في مريحة.
(16) عقبة خانية، تبدأ من الباطنة وتحول على وادي الفيلم ثم تصل في مريحة.
(17) عقبة ضلع يقرب أبيها على بعد كيلومتر من مها إلى الجنوب الغربي، وهي الطريق المطول من أبيها إلى القصة فدرب بين شعبان غيران.
(18) عقبة قصر، أو الشرف، وتلتقي مع عقبة ضلع في أسفلها عند منفري الوادي قبل القصة.
(19) عقبة المحضة، تبدأ بقرب الشرف أيضاً وتنزل إلى وادي ضلع.
(20) عقبة عضاعة، تبدأ من عضاعة وتنزل إلى وادي ضلع.
(21) عقبة آل زيد، أو عقبة عتون، ونصب في وادي عتون.
(22) عقبة السقي، ونصب في عتون.
(23) عقبة القرون، ونبأ من جبل متميزة ونصب في وادي ركان ثم في وادي الحفو.
(24) عقبة بن خَيْوَش أو عقبة شهران من آل يبنوع، نبأ من تنمية ما بين وادي عتون ووادي بيتّ.

ووجدت بالطبع عقبات أخرى في بلاد قحطان ووادعة إلى الجنوب من بلاد عمير، وأدّ لب区块ها في حينها، لأنها هي المنافذ الوحيدة إلى تهامة. وانحدار هذه العقبات شديد لميل بعيد المدى، وقد يستغرق النزول من العقبة بضع ساعات، كما أنه في بعضها لا يتجاوز الساعتين.

وأعمال عسير مرتبطة جداً، وربما كانت أعلى الجبال في السراة بعد دخولهما بلاد الملك ابن سعد. وقد سجّل البازارمي (931 هـ) أنهم في قمة جبل "ذَرَة" المشرف على أبها، و (912 هـ) في عقبة "ضَنْع"، و (920 هـ) قدموا في عقبة "أم الركب" بقرب أبها، و (875 هـ) قدموا في عقبة سعارة، و (1100 هـ) قدموا في "سَهْل". وكان أعظم ارتفاع سجله البازارمي في السودة إذ بلغ (1140 هـ) قدمًا ووجد بقرب السودة جبل آخر مرتفع بينها وبين سهل لم ينحدر إليه، ولسكن المهندس قدرًا ارتفاعه بنحو اثني عشر ألف قدم.

4 - أودية "عسير"

حينها أتى "الهُمْدَانِي" على ذكر قربية عسير قال: "والدارة واللَّتيحاء واللَّعْبَة وطية وأناة وعلب والمهر وحُرُجة وحَبَّة: هذه أودية عسير كلها (1)، "و"عسير" بلاد الأودية والجبال، فلا عجب أن تكون كل عقبة من العقبات التي أوردنا

(1) صفة جزيرة العرب للهُمْدَانِي 118.
ذكرها في الفقرة السابقة رأسا لواء كبير أو صغير، وقد تكون الأودية الناشئة من رووس العقبات أودية رئيسية كبيرة مثل «عندود» و «جلي» و «الحقو»، وقد تكون فرعية تصب في الأودية الرئيسية.

أما من جهة سفوح جبال «عسير» الغربية فلا أشك في أن كل عقبة تؤلف واديها اسم كامم العقبة نفسها. وسند كر تlaşص هذه الوديان وما يقوم حولها من قرى ومزارع وعمران في نهاية بعد خروجها من ديار عسير ورجال ألم وربي شعبة وأهل حلي في بحثنا عن نهاية عسير.

أما من جهة سفوح جبال عسير الشرقية، فهناك أودية كبيرة قد أعدها «المهداني» الذي تلته عبارة في مطلع هذه الفقرة. حقا إن الأودية التي تصبت مياه السفوح الشرقية والجنوبية لسيور عسير طويلة، ولكنها في الواقع من أم روافد وادي بيشة، وتبعد عن بلاد شهان هي بدور ذكرها في بحثنا عن بلاد شهان. وإليك أهم الأودية الكثيرة في هذه الجهة من بلاد عسير:

أولا : وادي خليط: ينبع من السقا إلى الغرب من عقبة ضلع وعلى بعد

بضع ساعات إلى الجنوب الغربي عن أبها. وحينما يقرب من أبها يرسى بابها، ثم يمتد مسافات طويلة حيث تشرف أودية فرعية كبيرة إلى أن يصب في وادي بيشة شهان عند بلاد ابن هشبل، وتقوم على ضفاف هذا الوادي قرى بني سعد من قبيلة «عسير». وهو أعظم أودية عسير.

ثانيا : وادي دهرة: ينبع من جبال تهيل ويصب في وادي أبها عند بلدة

المجالة من مراكب بني مالك من عسير، ويمثل البلادقربة من رأسه «علكم» من عسير، ويمثل ما كان في أواسته وأسله بنو مالك من عسير.

ثالثا : وادي الأودية: ينبع بالقرب من «تسهيل» في بلاد «علكم»,

وبعد أن يسير مسافة قصيرة يلتقي بوادي أتانية.

رابعا : وادي أتانية: ينبع بالقرب من «الطناحرة» في ديار «ربيمة».
ورُقْتِيَةً)، ويلتقي به وادي الملحة في قرية "العَصْبَة"، وحيث يلتقيان يتحذوانصدر
سماها ويتخذان فيصبحان اسمهما (الوادي الطويل) نظرًا لطوله، إذ يشير مسافة طويلة
قبل أن يلتقي وادي أنها عند "الخنفية" قبل بلاد ابن هشبل.
حاسما: وادي طَبَب: يطلع من باحة "ربعة" ويمرح على آل بجاد، ثم
يصب في وادي "تينية" إلى جهة نهامة.
سادسا: وادي جحان: وينبع بالقرب من العقبات الواقعة جنوب أبها،
ويسكب في وادي أنها عند بلدة "قاعد" و"الدارة" بين بني منيد وبني مالك.
وقد زرت هذا السكان ووجدت عند ملتقى الواديين مشتقة عظيمة تجمع تجمعت المياه
في بعض أعمالها فتكون بركة منبسطة مما على أطرافها نبات الحلفا والثعلب، وفيها
نوع من السمك ذي اللون الأسود. ويجارى هذه البرك مزار قديم المهد هدهم
الإخوان، يزعم أهل هذه البلاد أنه قبر ذي القرنين.
سابعا: وادي ضَحْ: وعرفه الجندل، وهي جبال تقع إلى جنوب جبل "ذرة"
المفرش على أنها والخارس لها من جهة الشرق، ويصب في وادي عنتود الغربي
(أي المتبعة إلى نهامة).
ثامنا: وادي عنتود: ويخرج من بلدة "زيادة" إلى الغرب من أبها،
ويتجه غرباً ينبع إلى جهة نهامة حيث يلتقي بوادي صلَّع قبل أن يصب هذا الآخر
في عنتود الغربي.
تساما: وادي عنتود: وهو في الحقيقة واديان أحدهما شرق والآخر غربي.
وكلاهما ينبع من عقبة عنتود المذكورة أعلاها، ولكن أحدهما ينحدر من العقبة إلى
جهة الغرب حيث يصب في البحر، والآخر يتجه إلى الشمال الشرقي مما يتخذ
غير بعيد عنه حوالي كيلومترتين. وتقوم على هذا الوادي خمس قرى لآل راشد من
شهران. وكان من الواجوب ذكره في إمتنان عن شهران لأنه ينبع من عقبة عنتود
وهي كما لا يخفى لآل راشد من بني منيد من عسير. وهذان الواديان هما اللذان قال فيما
الشاعر إنهما مساكن الأسد في الجزيرة، كما مر بك.
5 - الطريق من «الحميس» إلى «أبها»

تبلغ المسافة من سوق ابن مشيط في بلاد شيران إلى سوق أبها فاغدة عسير 35 كيلومتر تقطعها السيارة في ساعة ونصف دقائق، نظرًا لوجودة بعض أقسام الطريق الذي افتتحته «سحى الدين باشا» مصرف عسير وقائده فرقتها العسكرية أيام الحرب العامة لسير المركبات. و«سحى الدين باشا» لم يسلم البلاد إلا بعد الهدنة عام 1918، وقد عين فيها بعد وزيراً مفوضًّا للحكومة تركيا في القاهرة.

غادرنا ساحة السوق حيث كان نحننا، وضحى يوم الحميس الواقع في 30 شوال 1354 (8 فبراير 1934)، وسرنا على جانب وادي بيشة النزيف، وكانت القرى على ياسانการ - وتندب الطريق في أرض سهلة تخلخلها ربي وعضاء كثيرة إلى عمق ثلاثة كيلومترات عن السوق، حيث تقوم بلدة «ذخفان» التي يسكنها الأمير سعيد بن مشيط، وبعد أن تكون الطريق سائرة في أحياء جنوبية إذا ما تحرف إلى جهة الشمال الغربي، بين هضاب صخرية صعب المسالك طولا لها كيلومتر.

وبعد خمسة كيلومترات من مفرق قصر ابن مشيط نصل إلى واد كبير هو وادي عتود الملوخ في النبضة السابقة.

يبلغ عرض مجرى الوادي أكثر من خمسين مترًا، ويتبين على أطرافه الحلفا والغزار والقصب، ويشاهد السائح من هذا المكان قرية واقعة إلى جهة الشمال أسفل الوادي هي أول قرية، فما رأيناها قدرنا بعدها عنا بنصف كيلومتر. أما القرى الواقعة على هذا الوادي فهي:

1 - المنطقة
2 - الال الزعابك
3 - آل راشد
وكلها آل راشد من تهران.

ونظراً لارتفاع أبها عن الحميس لا بد من اجتياز عقبات كثيرة في طريقه.
من الثانية إلى الأولى، إذا ما تصل إلى الكيلومتر السابع بينهما حتى تصبح على ارتفاع 8300 قدم عن سطح البحر، وبعد كيلومتر واحد يصل الارتفاع إلى (8350) قدم، وحيث تبلغ الكيلومتر الرابع عشر تكون على ارتفاع (8350) قدم، ومن هذا المكان يشاهد السهل المنبسط المحيط بوداد جبالة على بعد 15 كيلومتراً ونصف من خميس مشيط.

بلدة «جبالة» قرية بني مالك من عصر، وهي كبيرة مساحة تقوم على أطرافها أبراج كبيرة يسمى أهلها «القصبات» وهي بالفعل قصبة محوّلة لها مدخل ضيق، يركب إليها بسّم من الجدار البارز من الجدار الأسطواني الشكل. وتستعمل هذه القصبات مراقبة للحراسة من هجوم الأعداء المهاجم وتلتظف على القرية وما يحيط بها من المزارع.

هيمنة أشرف على «جبالة» شاهدت مناظرا غريبًا لم يكن لي سابق عهد يمثله. شاهدت البيوت والقصبات ذات زخارف خانتها لأول وهلة مصنوعة من الصفيح، وإذا بي هيما أقترنت منها وأتت النظر فيها، يتضح لي أنها مصنوعة من الأورذوان الحجري، ذلك أن طراز البناء في عصر ملوكه عينه في بلاد شرقيان وواها ما شاهدهه من البلاد. فأفرى البناء وجدته إلى ارتفاع مترين عن سطح الأرض مثبتة بالحجار، وما فوق ذلك مثبت بالطين أو الطين المخفيف بجرارة الشمس، وكلاهما قليل المقاومة لا يستطيع تحمل التأثيرات الجوية والأمطار الغزيرة. ولذلك عاد أهل هذه البلاد إلى طريقة يدفعون بها خطر الأمطار ويدورون بها سقوط الجدران، فإن أحياناً من جميع أطرافها يرفق من الأورذوان على أبعاد متفاوتة لترد في معظمها على مترين واحد، ولا تكاد تبلغ أحياناً نصف مترين. وعلاء على أن هذا الطراز يكتب البناء شكلًا غريبًا، فإنه يدل على مبلغ استفاده القوم من الأسباب التي يملكونها لدرة الأخطار الطبيعية وحماية البيوت من الاضرار.

كانت «جبالة» من أعظم قرى عصر، غير أنها أصيبت بضربة فاسدة عام 1907. عسير على يد الأمير عبد العزيز بن مساعد، إذ هاجم الأتراك جماعات عسير المجتمعة.
في "حَجَلَة" للدفاع عنها فأجادوها، وكانت مقتالة عظيمة مازال أهل عبري يذكرونها ويندون سوء حظهم فيها، وقد كانوا ذوي شوق وشغبة وعزة طوال مدة الحرب العلماء، فأصابتهم هذه النكبة، وأودت بمقتالتهم، وأضعفتهم كثيراً.

تجأز شَمِيب "حَجَلَة" عند الكيلومتر السادس عشر، ثم تسبب المدفع بعد ذلك بكيلومتر واحد، ثم نصل إلى هضبة بالقرب من قرية "القليط" حيث يكون الارتفاع (840) قدم، وحينها نصل إلى الكيلومتر الثالث والعشرين يبلغ الارتفاع (780) قدم.

نقطع وادي "جَوْنَان" عند الكيلومتر السادس والعشرين، وبعد مسير ثلاثة كيلومترات تقترح من قرية "القريه"، ويبتكر التصميم حتى نبلغ الكيلومتر الثلاثين، فيصبح الارتفاع (870) قدم، ثم بعد قليل يزيد الارتفاع خمس قدم أخرى.

وgünها نصل إلى الكيلومتر الواحد والثلاثين نكون قد بلغنا وادي "مشَع" الذي يمر بقرية "مشَع" التي تحسب من قرى أَبِها نفسها، وبعد قليل نصل إلى أعلى ارتفاع بلغة حتى الآن وهو (900) قدم، ومن هذا السكان نشاهد مدينة "أَبِها" والقلاع الخليفة بها في أعالي الجبال، ويظهر لنا قصر "شَذا" الذي بناء محمد بن ع البه، ويظهر لنا إلى الغرب من قصر "شَذا" قصر حديث للبناء، يختلف بطرز بنائه عن "شَذا" حيث أنه يشبه قصور بلاد شهران، بناء عبد الوهاب أبو ملكة على أطلال السكة العسكرية المبالية، وقد عدل أنه كان على طراز حديث، نفخ البناء الجديد على طراز بلاد شهران.
الفصل الثاني
قبيلة عسير

نسب عسير - أصلها - نسب آل عشير - القبائل التابعة له -
قبيلة زبنعم - عادات عربية في قبيلة زبنعم

1 - نسب « عسير »

قضم قبيلة عسير المعاصرة مجموعة من القبائل المختلطة الأصول البعيدة الأساب،
غير أن « عسير » الأصلية مختلف في نسبها أثرى هو أم يماي. ذكر المحدثون:
« عسير يمانة تنير وتخلت في عنز » (1).

ويرجع أئم القبائل العربية المعاصرة إلى أصولها أسر من الصحابة بمكان
عظمهم، نظراً للاختلاف الذي حصل خلال الحقب المتتالية والقرن المنطولة -
في أئم القبائل وهم مجمالهم ومحاذاحتهم - وما إلى ذلك من الأسباب الداعية لضياع
نسب الأصول أو اختلافها.

وقبيلة عسير المعاصرة حلف من القبائل ذات الأصول المختلطة، وهي ترجع
أسابها إلى أصل من الأزد سكان السراة.

ذكر الشوبيدي أن « الأزد من أعظم الأحبار وأمدا فرعون، وقد قسمها
الجوهرى إلى ثلاثة أقسام: أخذوا أزد شحوة بإضافة أزد إلى شحوة، ونحو نصر
ابن الأزد. والثاني أزد السراة بإضافة أزد إلى السراة وهو موضع بأطراف المتنزلة
فرقة من الأزد فرفوها به، والثالث أزد عمان بإضافة أزد إلى عمان وهي مدينة
بالبحران، فنها فرع واهم فرفوها بها » (2).

(1) مجلة جزيرة العرب، عام 138.
(2) سبائك الذهب، عام 133.
وقيلة عمر تضم أربعة بطون، أن كان من ينسبان إلى أسلم من الأزد ويلحقهما بعض فرق من شهرين وقضاء، والبطنان الآخران حلча للولاءين، والله أن أصلهما يرجع إلى شهرين أو قطعان.

قال الشيخ علي بن مهدي بن مفيد: أن القبيلة متحالفة منذ زمن قديم، وتمكن كثرة من الأزد أثر السرب، وتستعين من شهرين وقضاء، وهذا طبيعي بالنظر إلى رابطة الجوار وضرورات الاختلاط الناشئة عن العلبة والسلطان.

لا يستطيع حصر عدد أفراد قبيلة «عسير» بأقسامها الأربعة، غير أن علت أنه قد فرض على عسير من المجاهدين أو بعانية مقاتل في الأوقات المعادية، ويمكن أن يطالبوا بضاعة هذا العدد فيدمونه بكل ترحاب. والواقع أن فرض عدد من المجاهدين لا يتبع تعداد واحداً معينًا، وقد يترك أكثر الأحيان إلى تقدير القبيلة نفسها، وعادةً في مثل هذه الأحوال أن تذكر القبيلة عدداً أقل من عددها الحقيقي بالتأكي، فينشأ عن ذلك رقم لا يدل على شيء يمكن الاعتماد عليه في تقدير القتالات أو الرجال في القبيلة. غير أن قطع النقلات أولاً فعملت أن في إسكان القبيلة أن تخرج حين الضرورة الفورية أنى مقاتل. وعلى هذا الاعتبار يمكن تقدير الصد القريب للقبيلة ذكراً وإثابة حوله 35 - 20 ألف نسمة.

2 - فروع قبيلة «عسير»

تقسم قبيلة عسير إلى أربعة بطون، وهي:

(1) بنو مفيد.
(2) علّكم.
(3) ربيعة ورقيّدة.
(4) بنو مالك.

وكل بطن عزوته خاصة يتفاعلون بها في الحرب فيقولون: «مفيد الخطيء»، «علّكم الهول»، «ربيعة مشاكة الحرب»، «بنو مالك أهل الصمت».
والترتيب الذي ذكرناه في تعداد أسماء هذه البطالون يتبع مساكنها اعتبارًا من الجنوب إلى الشمال، ونها يلي ذكر كل بطن من الباطن الأربعة:
أولاً: بني مجيد: هم أكثر عوضًا فضلاً عن أهم رؤوس القبيلة وأمراؤها منذ نحو مائة سنة، أي منذ احتلال العينيين لها بقيادة محمد علي باشا، والى "مصر". ويمكن تقسم هذا البطن إلى أربعة أقسام (1) هي:
1. لغز آل ناجح، وفيه أقسام كثيرة أسماء:
 آل زيد، وم رؤوس عشير، ومنهم آل عاشور
 آل الحاج، آل تمام، آل فلاحة
2. لغز آل عبد العزيز، وفيه أقسام أسماء:
 آل سكران، آل مفرح، آل السحرة، آل البصيرة
 آل القبيعة، آل بسراج، آل مضان
 آل شيبة
3. لغز آل وازع، وفيه عدة عشائر أسماء:
 آل واحد، آل بدة
 آل المكاس
4. لغز مفيد الوطلي وفيه عدة عشائر أسماء:
 الشرف، بنو جعفر
أهل الشف
3 - نسب آل عاشور
وبمناسبة ذكرنا بني مجيد نرى من الفائدة أن نذكر هنا نسب آل عاشور من آل زيد:
مؤسس الأسرة ومشي بهم الحكم عاشور بن سري من أهل زيد من آل زيد.
من بني مجيد. وقد تلقى الحكم من على بن مجدلًا كما نذكره في موضعه إن شاء الله.
(1) في كتابه "قلب جزيرة العرب" جملت هذه الأقسام سبعة، ولكن تجربتي شخصية داني على أن تقسيم الحال هو الموجود. استمر من 1919
ومثلك عائض خمسة أولاد، هم:

1) محمد بن عائض، وقد خلف ثلاثة أولاد هم: علي، وعبد الله، وعائض.
2) عبد الرحمن بن عائض، وقد خلف ولداً اسمه محمد بن عبد الرحمن توفي في الرياض منذ بضع سنوات، وله أربعة أولاد هم: حسن، وناصر، وعبد الله، وعائض.
3) سعيد بن عائض، مات ولم يعقب.
4) سعد بن عائض، مات ولم يعقب.
5) ناصر بن عائض، خلف أولاداً لم يكسب منهم إلا واحد اسمه محمد.

ولله paranoia كتبة هذا الكتاب.

أما أولاد محمد بن عائض الثلاثة فإن أحدهم (عائض) مات ولم يعقب.

أما على فله ثلاثة أولاد، هم:

1) الحسن، وهو آخر أبناء من آل عائض، يقيم حالياً في الرياض.
2) عائض، له ولد اسمه يحيى، أما هو فقد مات.
3) محمد، مات ولم يعقب.

وأما عبد الله بن محمد بن عائض فله ثلاثة أولاد، هم:

1) عائض، مات بالرياض، وله ولد.
2) سعيد، منصب في أنها، وليس له أولاد.
3) حسن، منصب في أنها، وليس له أولاد.

الحيا من آل عائض حين كتابة هذه الأسطر هم:

1- ستة أشخاص يقيمون في أنها، هذه أشخاصهم:

1) سعيد بن عبد الله بن محمد بن عائض.
2) حسن بن عبد الله بن محمد بن عائض.
3) حسن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عائض.
(4) يحيى بن عائض بن علي بن محمد بن عائض.
(5) عبد الله بن محمد بن ناصر بن عائض.
(6) عبد الله بن علي بن محمد بن عائض.

ب– أربعة أشخاص يقيمون في الرياض هذه أسماؤهم:
(1) حسن بن علي بن محمد بن عائض (أمير عسير السابق).
(2) ناصر بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض.
(3) عائض بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض.
(4) عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عائض.

* * *
نائباً: بطن عندكم من عبير: أفادوني أن هذا البطن يتفرع إلى ستة أقسام هي:

(1) بنو مازن (4) بنو القرن
(2) أهل التصير (5) ثلاثي عبد
(3) آل سعدي (6) أهل عضاعة بقرب الشف.

ثالثاً: بطن ريصة ورفيعة: يتألف هذا البطن من قسمين لا شك في أنهما من المشايخ المتحدة، ولست أدرى ما المصلحة بين ريصة ورفيعة وبين استعمال الاثنين كله لبطن واحد. إن اسم ريصة فاش بين قبائل العرب، وقد عدت خسما منها تعمه وقد يكون هناك غيرها. وكذلك ريصة فانه علم لمشيرة من قبيلة قحطان.
وعلى كل حال فإن هذا البطن ينقسم إلى غذين:

1- غذ ريصة، وفيه أربع عشائر هي:

(1) تهبان (3) بنى غني
(2) آل شداد (4) آل عامم

ب- غذ رفيعة، وفيه خمس عشائر هي:

(1) آل الحارث (3) أهل طبيب
(2) النسلادة (4) أهل الغال
(5) الرقتن.
رابما: بطن بني مالك: هذا الاسم فاش أيضاً، فهنالك بني مالك في جبال
تهامة يقرب العبادل وفقيهاً واللحارث، وهنالك بئومالك جماعة ابن فاضل بين زهران
والطائف، وهم تلك هذه القبيلة من عسير، وأما أقسامها فهي:
١ - آل الجبل ٥ - آل رمان
٢ - بنو زراة ٦ - بنو مَئِّه
٣ - بنوريعة ٧ - آل يعلى، ومنهم أحمد بن مُعْدَّى أمير بني مالك
٤ - آل الجُبْسَة ٨ - السَّلَادَة

٤ - القبائل التابعة لمسير

يساكن فروع قبيلة عسير ويطلقها طبقات من القبائل التي تسب أدنى
في المستوى الاجتماعي وأقل اعتباراً من القبائل ذات الشوكة والسلوة، وهي
لا تنحصر في بلاد عسير نفسها، بل إن منها فروع في البلاد شهرين وقحطان ورجال
المُجَّر. والظاهرة أن ضرورة المجتمع البشرى وطبيعة العمران أوجب إيجاد هذه
الطبقات التي تكسب بعرق جبينها من أعمال دنيا في نظر القبائل الأخرى بغض ضالة
الفرق الموجودة بينها وبين تلك القبائل من ناحية طرق المعيشة وقلة النماذج بالسكاوة
في الزواج والنسب.

وهذه القبائل درجات بعضها فوق بعض. فنها ما هو - في طراز معيته -
أقرب إلى القبائل ذات السلوة، ومنها ما هو أقرب إلى الصناع والفخذ والمستجدين،
فِنها ما هو كلفجر يكسبون قوتهم من الاستجابة أو الدفع أو القيام بعض الأعمال
الحقيقية. وقد ذكر لى من هذه الطبقات ما يأتي:

١ - اللاحالطة: هم مثل النجر مداحون مستجدون. ومنهم أفراد لم مكانة
لا باس بها من حيث الكرم وحسن الضيافة والقام بين الجيران، ومنهم الشرعاء
المداحون، لقبت أحدهم في قرى الملاحة فأشدَّ كبرى من الشرع النبطي عن وقائع
عسير وأيام محمد بن عاشش، وبينها قصيدة في مدينة ومديج الحكمة. وقد قابلتى
مرة أخرى بركة وجدته على عهدى به مداهاً قوامًا حسن النشرة سريعة البديهة

---

الكثيلة: طبقة أرق من البلاحة، وهم في نظامهم الاجتماعي يشبهون القبائل ذات النسب، غير أنها لا تناسبهم ولا تترسق منهم.

---

المهاين: وهم في عسر مشي "هم" في الحجاز، أي من طبقة القبائل المتحطة.

---

الدواء: أصلهم من الأرقاء والصناع والخياطين. وهم بالطبع — بخلاف الدواسير ذات العصبية والمكانة والممتة في وادي الدواسر وجد، فأولئك من أشرف طبقات العرب.

---

الطبقة الصياغ: من بعيب وخرز وحداد ومبيض وبرام. وهم لا يناسبون إلا فيها بينهم.

---

الفيوسي: وهم العمال الذين يشتغلون في حياكة السبيج اليدوى الخشن.

---

ومنهم طبقة أدنى من الجميع يسمونها: الخدمان، أي الأجراء.

---

قبيلة ربيعة المين

جري السفر في سائر بلاد السراة وفتحان وشيران على أن يكون لكل قبيلة في السراة أتباع في تهامة. فقبلة عسير يتبهمها في تهامة من القبائل العظيمة قبيلة رجال أهل. ولكن بالنظر لأهمية هذه القبيلة أفردنا لها بمثابة خاصة، لاسيما لأنها من ناحية العدد وال güد قد نقرب من قبيلة عسير إن لم تزيد عليها، ولا شك في أن التميمة إلها هي في السكان السياسي أكثر منها في الحالات والعادات الاجتماعية والنسب.

وقد ذكر كبار السراة أنهم أفرغوا أسما قبائل تتبهم القبيلة، وتتبهم بالأخص بينة محمد أو علّكم، وتبَّهمها بين مضجر أكبر وهو:

---

1 - الصبيب. وهم قريبون جدا إلى بني مفيد.

2 - أم ناقة. ويتبعون علّكم.
3 - أهل وادي مزية. ويبعون علكم وبن مفيد.

4 - ربيعة التن. وتحمل من ملحقات بن مفيد، وهي القصيدة بحثنا

الحال نظراً لتاجها وهويتها وغريبة عاداتها وبدعا عن سائر أسباب الحضارة والبنية.

تتم ربيعة التن في وادي صلب إلى الجنوب الغربي من أبدا عل بعد منها، وتعد منازلها حتى درب بني شعب في أسفل الوادي بعد القالب بالوادي

عندن النهاية.

وبلغ عدد أفراد القبيلة نحو ألفي نسمة. وهي مأزول على حالة البداية فتسكن

في مفارف أو خشن بين الصخور، أو أكواخ مشيدة من الحبارة المرضومة المغطاة

بالخف أو بقطة من قاش. وقد يكون للسكوك باب صغيراً يدخل منه المرو

حابياً على ركينها. إذا لأواب ولا مزال ولا أسفال، وهي أكواخ قالة تنقل

من مكان إلى آخر تبعاً لحركات القبيلة بحثاً عن المرعي. وتعيش القبيلة على ثرية

المواشي، ولا يكسن الزراعة مطلقاً.

ومن أبرز ابنتها خمسة فروع هي:

(1) آل زادة
(2) آل غراب
(3) الفراحنة
(4) البواح
(5) آل وائلة

6 - عادات غريبة في قبيلة ربيعة

سمعت من أخبار هذه القبيلة وعاداتها التراثية شيئاً كثيراً زاد منه شوق

إلى مشاهدة أفرادها من الجنسين ودرس طباعهم وأخدامهم وتنبأ أخبارهم لتلفة

قرآنياً. فغانتت فرصة الأسواق الأسبوعية في أبدا أياً من الثلاثاء من كل

أسبوع لمقابلة بعض من يحضر السوق منهم، والتقاء صور بعضهم وسؤالهم عن

أحوالهم، فوقعنا إلى أشياء كبيرة أوضحها لنا يلي:

تبعيش القبيلة حياة بدائية غالية في المهمة والوحشية. طعامها الخشخ، ولباسها

بسيط يتخذ للسهر أكثر منه للتدخن والزيينة، ومساكينها - كما ذكرت في النبذة.
السائبة — مساكن القرن الأول، وهي بجالتها الحاضرة بعيدة قرناً كثيرة عن حالة الحضر من أهل الدنيا الجيزة، بل غيرهم من سكان الدنيا الكبيرة. أما طعامها فذوق من «المريكة» أو «الصيدا» أو الخبز والسمين. ويدر استعمال النسيجين بلionale، وكذا اللحم فإنه ترهق لا يتناوله إلا في الأعيان والعوالم أو في حالات الخناك والولائم وماشيهم ذلك. والخبز والمريكة يستعمل من الشعر أو الدرب أو الدخن، ويعتبر الدقيق بلامع على الدار تم يتكب في مواسم خمسة غالباً ومحاسبة حيناً، وحفر وسط المريحة المشروبة في الماعون حفرة صغيرة تملأ بالزبدة السائبة أو السمن الساخن، فيتم الإنسان قطعة من المريحة يفعضها في السمن ثم يزردها.

وأما لباسها فتزر (فوتة) يحيط بالقسم الأدنى من الجسم، ويربط حول الخاصرة سبعة أو خمسة أو بعقد طرفه دون حاجة إلى أحزام. وهو لباس الرجال والنساء. وتعتبر المرأة علاء على ذلك بلباس يشبه الصدرية القصيرة تلبسه فوق القسم الأعلى من جسدها، وأحياناً يكون هذا اللباس ممزقاً آخر أو مسداً يلف — مثل رداء الإيجار — حول الكتفين أو إحداهما حول الظهر والصدر، وقد تكون الصدرية قصيرة لا تبلغ حد المتذر الأدنى، فيتم قسم من البطن والخصرة مكشوفاً لا يسره لباس.

وطغاة الرأس عند النساء قبية من الخوص يسمونها (قلنسوة) وهي على نوعين:

(1) ذات كنار عريض، وينحصر بها أهل تهامة حيث الشمس محرقة جداً.
(2) ذات كنار رفيع تتسطعها أسطوانة بارزة تجعلها أقرب في شكليها إلى القبمات الأسبانية الأندلسية أو قبمات «السيدة» لا أن هذه من الخيوط وثكوت الخوص.
أما الرجال فلا يغطون روبهم بل يضفون شعورهم أو يتكونون على طبيعتها منفورة بصورة تلمي الدشر في القلوب، وقد يربط الشعر بحبة نكهة منعماً لتحريك الرياح له، وقد يكون الرباط من أزهار البرك أو الشعير أو غيرها.
ويتقال الرجال خناجر طويلة نسمية بـ "جنبيّة". وهذه الجناحات مختلفة الأشكال بعضها طويل جداً يشبه السيف القصير، وبعضها كالحذاء المخفية، وبعضها كالخناجر الحجازية أو العثمانية، وأكبر الخناجر هي التي يلبسها أفراد رجال عش.

ومن أبرز عادات ربيعة الاختلاط الجنسي بين الرجال والسناة من الأبكار والبنات. وقد وردت له عن ذلك روايات أخطر أن تكون مبالغًا فيها كثيرًا بسبب الندم الشنيعة التي يواجهها بعضهم إلى هذه القبيلة، وسواها من قبائل تهامة قبل قيام الحكم الحالي في قضى على هذه العادات الجاهلية وضرب على أيدى مرتزقدها بيد من حديد. وقد لا تزوج الصابور زوجة شرعيًا قبل أن تكون قد ولدت ولدًا أو أكثر سفاحًا، والظاهر أن كثيرين يرغبون في زواج البنات ذات الرقم القياسي في عدد أولاد السفاح. ويسهم ولد السفاح عندهم (ولد الهيمة) وفي لهجة أهل البلاد (ولد أمهجة) والهيمة هي الفضيحة أو الغابة، أي الولد الذي ولد في الهيمة وليس على فرش أهله. أما النزوجات فإنها محصنة لا يعرض الباطل ولا السفاح، ويجترد زواج البكر أو نفثي يتأتي عليها س ביًا كثيفًا من الحصناء والحرمة والقدسية.

وقد وردت له عن رجلاً غالبًا تزوجة في ليلة كانت فيها متمية نائمة، فلم ير بطلاً بالأمر ظل تقبه مدة إلى أن ظهرت به وقتهن رمياً برصاص دون أن تطلب بديته لأنها قبلته دافعة عن العرض والشرف، ولا أشك في راوي القصة، بل أعجبه شاهد عيان لأنواد مشترک في تسوم الحدث نظرًا لقلمه عند القبيلة.

ومن أحسن عادات هذه القبيلة:

(1) إكرام القاضي.
(2) الخيشة الثلاثة والقزعة لهم: الخوي وانضيف والرفقي إلى أن ينصف من الدنيا أو إلى أن يهضم طعامه.
(3) المحافظة على أعراض النزوجات.
(4) حفظ جميل المحسن والإشادة بذكراه.
غير أن أحدث وأقطع المادات الوحشية عند ربيعة اليمين عملية "الختان"،
وهي طريقة فظيمة تبني عنها الأذواق وتفتت عنها الأنفس. والختان هو سلسلة جلد العانة من
أسفل السرة إلى أواست الفخذين بما في ذلك الفرح، ويكون إجراء العملية في جمع
حافل من رجال القبيلة ونسائها، شبابها وشبانها، بناتها وأطفالها للجلب في سماء
الذوق والوحشية.
لم تكن عادة السلم محصورة في ربيعة اليمين، بل كانت فائضة في أكثر قبائل
نهامة عسير، ولكن الحكومة الحاضرة قضت عليها وشددت التفكيك على مرتكبيها
فلم يبق من آثارها إلا القليل الزائد مما لا يتصل خبره بالحكومة.
وقد شرح لي بعض من شهد حفلة الختان عند ربيعة مراسم إجرائها، فرأيت
ندوتها فيها قبلي:
عيد الختان من أعظم الأصابات والمواصمة، ونظراً للأخطار التي يعرض لها الختمن
فإن كثيروا يؤخرون وفتنهم سنوات كثيرة قد تصل إلى العشرين أو أكثر,
ولا يجوز ختان من لم يكن بالغ، ويعيق للشباب الطالبين موعد الختان ومكانته,
ويذهب إليه سائر الفوع رجاء ونساء، وتتحر الأبقار والأغنام من ضأن وماعز بهذه
المعاني. وذكرني أنه حدثت وقائع ختان كان الأولاد يحضرن فيها ختان أبنهم
ما يدل على أهمية الحادث والتلخيص منه. لأنه في الحقيقة ضرب من الوحشية الخطرة
التي ترتبط بالشي العظمي من الشجاعة والجلد والصبر على الآلام، وتقضي إلى الموت
أحياناً كثيرة.
يفتقد الشاب الذي ينوي الاختتان فوق دكة مرتفعة في محضر النساء
لئابا الأبدار الرغبات في الزواج، ولا يكون على الشاب من التيام ما يستر به,
بل تكون عورته بارزة من غير حياة ولا حفل. إنها وقفة جبارة تمثل لنا عدد
الأبطال الخلفيين أمثال "أبو اللو" و"هرقل"، يقف الشاب متكتنا ببهيه السريري
على رمح قصير يتخذه عكازاً يستند إليه عند شدة الألم، ويحمل بينه أثني جنوبية
كيرة يسمّيها قوم ربيعة "ذرية" أو "عمرة"، ويقع الشاب رأسه منادباً متسناً بينما سكنان الجراح في جلده تقطعه شريحة إبر أخرى. هذا مقام بتبان في الأنداد، ففي اختيارة أو سلأ أو بكي أصابته مدة من المرار إلى الأبد، ومن اختيارة أطرافه أو ظهرت عليه علام الخمر والضف، فهو جبان رعديد لا كرامته له بين الناس، وليس هو بالبطل الذي يسهوى قلب المرأة فتعمب أخاده بعلاها من دواعي غرورها. ومن شدد إلهام في اختبار غالب الشاب قد يذرون رملاً ناعماً فوق رجله، فإن تبّت الرجل عليها اعترف ببطولته، وإن اهتز أو انتهى ذلك دليل الخوف والرعب والاختلاص من الألم، والمار كل المار لن كان هذا شأنه.

ولأ يقف السلوخ ساكنًا، بل عليه أن يمرّى إلى قومه إن كان أصيلًا، وتكون المروة غابًا إلى أخواله. وكثير من أولاد السلاف يتركون بأنهم أولاد "المهجة" لا أولاد الهيجاء. وقد يطلب الشاب شربة من جلده ليشفها على ذكر قوم لم يعده بيد أو منة، والبنايات يقين أمام السلوخ بشجاعة يثبت عزمها بثنا عمليه نفتخ والسلوخ سائرة دون وقف، وقد يناديه بكلام مشجع مغر إلى أن تنعنع العملية الجهنية. وكثيراً ما يموت الشاب قبل إتمامها، وطويل العمر من ملك منياً، ثمّ عليه أن يتمتع أخراً أخر حتى يتفو جراحه. يجب أن تحيز هذا الجنون في الوشية، ولكنها التقاليد والخرافات والأوهام تسلط على أفكار البسطاء زجتهم، ويعلقون تناظه الأمور أحدها لأحد، ولم أستطع الموت إلى أصل أسباب عادة السلوخ، ولم أجد سبباً مقولاً فيسمرها سوى استهداف تربية الشاب على تحمل الشاق والأهوال بدون تردّ أو خوف أو وجل كما كان يجري في "أسبارطة" بموجب قوانين "إيكيايرغ" الأسبراطي، وإن أذا معنى طلب السلوخ لشرأوه من جلده يباح به يصارح معيًّا متفخراً بأن هذه على شرف أعمامه، وذكر على شرف أخواله، وهانك على شرف من قدم له بدأ أو مساعدة، وأخرى على شرف "المهجة".

ذات المقام الرفيع؟
بعد انتهاء عملية الختان أو بالآخر عملية السالخ يصبح للشاب ملة الحرية في العويل والصباح والتأمل والنجيب بقدر ما يريد. أم يجوز لقب البطولة؟ أم يتحمل آلامه بكل ثبات وشجاعة؟ إذن لا تشريب عليه ولا حرج بعد ذلك. وفصل الندوا إلى مسألة أخرى مؤلة كفصل الختان، والسلوك الذي يسلم من عملية السالخ قد يقع فريضة بين رأين جراحه المتفقين، وكثيراً ما يطول أمد شفائه إلى سنة. أما العلاج في בטين جدًا: ملح الطعام يذر على الجراح للتعقيبة، أو نوع من مسحوق الحجار الخصوصية التي يمزج بها نوع من الأعشاب البرية.

هذا كل طب «ربعة» في معالجة جراح السالخ. رويا لي محدث عن تمير الشبان بعدم الصبر أثناء عملية الختان أنه كان قادماً من تهامة عام 1349 هـ، فوصل ديرة «ربعة» فأخبر أن عندما اجتيازًا كبيرًا للنظر في قضية ناشئة عن تمير أحدن شاب بسبب إخلال رجله وقت ختامه، تفقد على معيه وقام عليه فقط اتفاقاً منه على إشاعة السكادية، وكان الاجتياز كجلس قضاة عادل للحكم في شأن هذا الشاب: هل اختمل أثناء العملية حقاً؟ وكان سؤال رئيس الاجتياز للمحققين: «هل اختمل أو لا؟» فإن كان قد اختمل فعلى القاتل الدينية وإن كان لم يخلط فلا نلزم الدية، وكان قول المحققين أن الشاب لم يختم، وكان الحكم النهائى أن القاتل غير ملزم بدية القتل.
الفصل الثالث
عمراً عسير

خشب القرية وغناها - طريق التواصل - أبها وتواجدها - قرى عسير

1 - خشب القرية وغناها

القسم الحامي من الأرض الزراعية في عسير مؤلف من مجارى الشبان والأودية ومن منخفضات الجبال والجفوت بين الهضاب. والأرض على الإجمال خصبة قوية
الإنبات، غير أنها محتاجة إلى المياه، فإذا أطرقت السواح أخصبت الأرض وأنتجت
موصولاً عظيماً. وقد شاهدت مدة إقامتى في عسير أن الموال في الزراعة على مياه
الأمطار، فإذا لم ينزل الغيث لم يتمكنوا من زرع الحبوب في الأماكن التي لا تصل إليها
مياه الآبار، وعلى فرض تمكن الأهالي من استناد ما تبقى الماء المستخرجة
وبالسواد من الآبار الواقعة حول مجارى الأنهار، فإن كميات المياه التي في الآبار ذاتها تقل
 جداً، بل إن كثيراً من هذه الآبار نضبة في فصل الصيف. وقد كانت سنقراري
لأبها سنة تفتتح شديد قلت معنا الحاصلات الزراعية وتلاشت الناحية، حتى لقد كنا
تشاهد قطعان الماشية سارحة في البرية لا تستطيع اجتيازهم السيارة دون أن يذهب
بعضها ضحية الذئب، وربه هزاتها وضهنها النافذين في قلة المراعي.

وكان من أثر ذلك أن احتضان أهل عسير وسائر بلادة السراة خزن الحبوب
في آبار خاصة تحت الأرض لا تصلها نحت الوطواة ولا ينضب إليها السواء ليتفاوت بها
في السنوات ذات الإنتاج الصيفي. أما إذا جادت المياه، ففيما كاف فإن الخيرات
في عسير تكون عظيمة جداً.

وأم زراعة يبنى بها الأهالي القمح والشعير والذرة، وقبل ماه الذين يزرعون
الدخن خلاف أهل نهاية. ولا ينتمون زراعة الفاكهة إلا قليلاً في جوار أبها حيث
توجد شجيرات من التين والرمان والتفاح والخوخ والعنب. غير أن أشجار الموت والبن تنمو حيالاً في الأقسام الغربية من جبال عسير، ولكنها ليست من السعة وعظام المحصول بحيث تكتنف الأهلية احتسباتها. ومن غريب مالاحظ في زراعة البن أنها لا تزهر إلا على ارتفاع معين من سطح البحر، فإن تدهو لا تنمو ولا نموش، ولا تنبت كذلك إلا على السفوح الشرقية لارتفاعات عسير والتين، أما المرتفعات الشرقية فلا تنمو فيها أبداً. والظاهر أن سبب ذلك جفاف جو السفوح الشرقية، بينما جو السفوح الشرقية رطب.

القمح والشعير والمحصولان الرئيسيان في البلاد، وعليهما المولى، وما عداهما تنمو في نظر الأهلية، لا يشكل فيها مذكوراً من غذائم اليوم.

والعمل من المنتجات الهامة في عسير، إذ يتكثّر النحل فيها تسكنها عيث، وعندما نزاع يجري منها عمل ناصع البياض بلون السكر النقي، وقد حلت تموّجًا منه في وعود إلى الحجاز، فوجب مسألة الذين ذاقوه من منظرها ونكتهه. ومهم بسمن العسل الأبيض: (عجّر) والأحمر: (شوكة).

أما الخلاصات الحيوانية فهي الغنم والبقار والماعز. أما الإبل فلا توجد في البلاد عسير نظراً لصعوبة الأرض ووعورتها من جهة، ولضيق المراعي وشدة البرد من جهة أخرى. وجميع نتاج الحيوان يسهم بكمًا في سنوات الخصب فإنهم يسدرن السمن والغم إلى الجهات الجاوية. ويمكن وصف هذه البلاد بأنها تكفي نفسها ولاحتاج إلى الأخرى، والأيابر، أما الآلات فقليلة الاستعمال لاستغلال أهل البلاد بالمصنوعات المحلية عنها.

وتوجد في عسير معداد أهمها الحديد الموجود في جبل «تائهت» بجوار السودان، زار الهندوس المراهق لنا، ويبيذ عن أباها مسافة عشرين كيلومتراً إلى الغرب ويوجد عن قربة السودان حوالي أربعة كيلومترات، وهو جبل مزود مكسور بالأشجار (8).
الدائمة الخضراء، ذو نبات جار، في الصيف والشتاء، يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر (1100 قدم). أما السuda فإنها (1400 قدم). وقد شاهد المهندس آثار عثرات النتر لإداة المعدن فيها، وأحضر نماذج من الحجر الحديدي أرسلها للتحليل، فظهرت جودة النوع والنكية، غير أنه من الضروري إجراء فحوصات وتحليل كثيرة قبل التثبت من فائدة المعدن من الوجهة الاقتصادية.
ولا شك في وجود معادن أخرى غير الحديد إلا أنلال على حالتها الأولى، ولا يمكن استغلالها إلا بعد حفر واستكشاف وتحليل، للوقوع على مدى فائدتها الاقتصادية.

2 - الطرق والموصلات

ما يستدعي به على رغبة البلدان: موقعها، وخصوبة تربتها، وهسولة مواصلاتها.
ومع أن المواصلات في "عسير" لا تزال بدائية إذا استثنانا الطريق السيار إلى بيضاء، فإن موقع عسير وخصوبة تربتها جعل منها مركزاً هاماً بين اليمن والجيزر وجد من جهة، والسراة وتهامة من جهة أخرى.
والطريق الرئيسية المنفرعة من أنها مركز عسير ست، هي:
أولاً - طريق تهامة: ويتبدأ من أنها متوجهة إلى الجنوب الغربي مسافة ثلاثة كيلومترات، ثم تنزل من عقبة ضلع إلى القصة، ثم إلى درب بني شعبة فصياً جوزان.
ثانياً - طريق عقبة الصيا: إلى الغرب من أنها، تنزل إلى بلاد رجال ألمع.
ومنها إلى تهامة، وألبناب قوز الجافرة وجيان.
ثالثاً - طريق عقبة شعار: وهي الصلة بين عسير والقندزة والجيزر بطرق تهامة، وهي من أعظم الطرق وأهمها من الوجهتين الاقتصادية والعسكرية. وكان من أهميتها أن جملت القندزة مركزاً جديداً لتوين عسير ومركز الحوامة وقواتها.
العسكرية بطرق بارق ومحاط، وهي الطريق التي كانت تعتبرها الجيوش العثمانية.
ولذلك فإن "معي الدين باشا" آخر متصرف الأتراك في عسير قد سمح بهذه الطريق من أعلى عقبة شعار إلى أبها لسير المركبات والمدافع، ولكن العقبة نفسها حاجز عظيم في سبيل الواصلين، وكذلك يقال عن الطريق من أسفل العقبة إلى بارق ومحاط. وقد بلغني أنه كان في نية مجي الدين باشا إكمال تعديل الطريق إلى القنفذة، غير أن الاحتلال الأدريسي لظهيراء والقنفذة حال دون تنفيذ عزمه. وتبعد شعاع عن أبها مسافة 88 كيلومترًا.

فإلا - طريق الحجاز: عن كتف السرا مارة بقرب عقبة شعار ومتجهة إلى بلاد الأحمر والأمر وبنى عمر حتى بلاد بني شهر ففسد فهران إلى الطائف.
وهي طريق للشاة، وخاصة أهل الجبال من لا يطوقون حر نهاء في الصيف.

خامسا - طريق شيران: وهي التي سلكها في قدوم من خمس مشيط
إلى أبها، وهي صالة لسير السيارات، مدة حجم الدين باشا أيام الحرب العامة.
ويبلغ طولها من أبها إلى الخميس 45 كيلومترًا، كما سبق بيانه.

سادسا - طريق الين: تسير من بلاد عسير في اتجاهين: أحدها عن طريق شيران ثم تتجاوز إلى الجنوب حيث تدخل بلاد قحطان، والآخر من عسير رأسًا إلى تمنية ومنها إلى دير قحطان ووداعة ظهران إلى صعدة، وهذه الطريق أصعب الطرق وأكثرها وعورة.

وقد اكتشف الجيش بقيادة ولي العهد طريقًا لسير السيارات من أبها إلى خمس مشيط فطريق فوادى تلبيث فوادى حيرة حتى شيران، كما أكتشف طريقًا أخرى إلى ظهران كانت شديدة الوعورة بحث إن السيارات اجتزتها بكل عنا، والمواصلات الاتجاهية والتنزيفة متفاوتة في عسير، لكن فيها مركزا لاسلكيًا.

هما يصل بين عسير وسائر أنحاء المملكة العربية السعودية.
مدينة أبها

حيث اجترأنا وادي « Mishyir » ورفقنا الهضبة التي تفصل بينه وبين الحزوم التي قامت عليها مدينة « أبها »، أربنا من هنا جيلياً لمجموعة من القرى أو الحلة المنتشرة على ضفاف الوادي المنتجح من الجنوب الناري إلى الشمال الشرقي والمهرور بوادي « خبيبي » أو وادي « أبها »، وتمتلئ لنا المدينة الشهرة في التاريخ الحديث بواقعة الحرب وحصارها الطويل عام 1910 وحصارها الأخير طوال مدة الحرب العامة، وأوحت إليها في الوقت نفسه — بشعور منبت من القلب مزوج بنغمة من الأصوات والحزن على ما أصابها من تحريض وتدمر خلال النكبات التي حلّت بها، ولمسنا الشاهد على ذلك فيها رائحة من أطلال الفناء والأبراج المحيطة بها في أعلى رؤوس الجبال المحيطة بها وواديها إحاطة السواحل بالمصص.

« أبها »، فاعلة عمر، كانت مركزاً للحكم آل عيسى، وللإدارة العثمانية إلى حين زوالها. وهي مقر إمارة السراة في عهد حكومة الملك عبد العزيز آل سعود وفهل فضلال من ذلك سوق غير الشهيرة التي تقع يوم الثلاثاء من كل أسبوع في مساحة متوسطة بين مجموعة القرى التي تتألف منها المدينة. كان اسم أبها في القدم من مناظر، ومتناول الآن حلة من أحيا المدينة، وقد تكون مناظر أصل البلدة القديمة تم توسعت حدوتها واستطالت رقابها حتى شملت قرى أخرى لم تكن منها.

تتألف أبها في وقتنا الحاضر من عدة قرى متميزة على أطراف وادي أبها من أعلاها في جهة الجنوب الشرقي إلى مصعب في جهة الشمال الشرقي. وهذه أسماه القرى والأحياء اعتباراً من المنبع إلى المصتبر.

وقد أذننا قرية اسمها « المبطن » لأقصاها لاitating من أبها بالذات:
(1) المفتاحة، في علقة الوادي إلى جهة الشرق منه.
(2) القرى.
(3) نبأ.

(4) الروع وهي حلة كانت فيها سوق يقد يرمى الأربعي فسميت بها.

(5) هذا، وفي القصر الذي بناء محمد بن عائض حينها نقل مركز حكمه من ريدة إلى أبة، وليس فيها – في الواقع – سوى قصر ابن عائض وقصر الحكومة الذي بني على أطلال القلعة العسكرية العثمانية، ومركز اللاسلطوي.

(6) مناظر، وهي أصل المدينة كما أسلفنا.

(7) الدبيع.

(8) الخشب.

(9) النصب.

(10) مقابل، وهي القرية الوحيدة القادمة على الجانب الغربي للوادي. وقد كان فيها مسكن متصرف عسير سليمان شقيق باشا ثم محمد الدين باشا، وكان يمدها بأبها جسر حديث قد تهدم الآن وهُبر.

كانت أبها مدينة زاهية زاهية بسبب كونها مركزًا للحكم العثماني في السراة ومرقًا للفرقة العسكرية، ولكنها دُمرت بتكببات كثيرة ألحقت بها أذى الضرر وأخبرتها إلى الوراء سنين طويلة.

أما التكية الأولى فقد أصابتها عام 1910م - 1328ه. حينها تار السيد محمد على الإدريسي حاكم عمان على حكم الدولة العثمانية وأنفقت عنه السيد مصطفى الإدريسي للاهانها، فهدم عليها الحصار حوالي مائة أشهر، إلى أن وصلت النجدات من الحجاز بقيادة الشريف حسين أمير مكة لذلك العهد، فإنه وصل إليها في أواسط رجب 1329ه.

وكانت قوات الإدريسي محاصرة لها منذ ذي القعدة 1328ه (1910م).

وقد أن الحصار دام طويلًا، فقد أقتصر الأمر على الغلاء، نتيجة فقد المواد الغذائية دون أن يلحق بالمدينة تدمير أو تحريب.
والنكبة الثانية أصابتها أيام الحرب الكبرى حين ظل حمي الدين يتشهّر متصراً
لمسير بعد انتماض الشريف حسين على الأركان وانقطاع المواصلات بين عسير والبلاد
العثمانية، فعمل حمي الدين جهده لتفجير ويلات الحرب والمصارف عليهم،
فعامل الناس بالحسنى وقررت القبائل إليه، فأصدر جميع أهل عسير تحت لوائه،
وكانوا عادة في الشدائد والأهوال التي مرّت به، وقد أجري لهم طاعة من
الإصلاحات العثمانية في البلاد فلعا وأبلغوا كثيراً للتشتيل اليد العاملة، عبر
أن نطاق الأعمال كان ضيقاً، والغلاء كان فاحشاً.
والنكبة الثالثة وقعت عقب الحرب العامة وزوال الحكم العثماني من البلاد،
حين هاجروا الأمير عبد العزيز بن مساعد بعيد من متعمبي الإخوان أيام كان الإخوان
إبان استعداد غزواتهم، ففعلوا في أنها الأفلاج، وخرّوا كثيراً من مسلمي العمان.
حتى لقد هدموا الأسبلة التي يسبق منها الناس بجسة أنها قباب. وهدمو بعض
البيوت بدعوى أنها مبوت أخصوصهم، وهم في حاجة إلى الخدمات سامعما خشبها
وقوداً، وكسروا آلات الخفافة لأنها من أعمال السحر، وحصروا المرايا الكبيرة
لأنهم لم يعرفوها. وقد روى لبعضهم في هذا الشأن قصة، وذلك أن والد
مترك بن شلمان من كبار قحطان دخل ينبع كبيراً فتعتيم أمامه رجل يعترض طريقه،
فانهاره، ف أجله ذلك بالمثل، فرفع جده سيده، فقال له، يعترض طريقه، فكان منه
إلا أن أسرع الخطي نحو مبارزه، ونادره بضربة تردده صداها فتبغَّر البيت، واجتمع
الناس على ضوء مسألة تتحطم من ضربة سيف ابن شلمان الذي تخيل خياله المبكر
في المرة عدنوا مبارزا.
والنكبة الرابعة والأخيرة وقعت عقب غزو الأمير فيصل الملك عبد العزيز
لأجل إيقاف نفد الغنائم من الحصار، فقد ترك أمه بعد أن أمر عليها رجلاً اسمه
ابن غنيصان، ثار عليه الحسن بن علي بن غالب، وقال له قصر شذا مدة
طويلة إلى أن وصلت التنبؤات من تجد وفكت الحصار عنه، فكان منه بعد ذلك
الحصن إلا أن أذب الجرمين وهدم منزلهم، وكذلك فعل بالنسكوات والقلاع.
والقوام المحيطة بها. وكانت هذه التكنية الثالثة الأناقية التي أتت على كل آثار الحكم العثماني في البلاد.

وبعد هذه التكنيات المتواجدة بدأت أبها بالانتعاش مرة أخرى. وقد ساعد على إحياءها استباق الأمان واستقرار الحكم من حين اتخاذها قاعدة لبيع الأعمال العسكرية في تجارة وأمن. وكانت الجيوش تذهب وتخرج إليها وترك فيها من التنويع ما استعاد به أهلها توازنا وبعض ما فقدوه في الفتن السابقة. حتى إن تعداد أبها قد بلغ إبان اتخاذها قاعدة للأعمال التجارية حوالي خمسة عشر ألف عدًا الجند والموظفين، وليست الآن لا يزيد عن ثمانية آلاف.

قناة إن أبها بنيت بكنبكات كانت أولاهما في حصار الأدارسة لعام 1328 هـ. وقد فتن الأترام بعد ذلك إلى أن سبب ما أصاب سلائهم شقيق كان ب باشا اعتناء في الدفاع عنها على مواقع قربها فيها، بينما كان في الإمكان تحقيقها في قوياً يساعد عليه موقيمها المحليين والجيش والضابط المرتفع المحيط بها من كل جانب، فشكلوا عدداً من ساعد الجند، وبنوا حولها سلسلة من القلاع على رموع الجبال وصلوا إليها بأبراج الدفاعية والحصر الأولى، فأصبحت من أحسن المدن. وكان من نتيجة ذلك أن نبت فيها الأترام مدافعين بن مهديد للطريق وشرف طويل بها الحبر.

والمقناة الرئيسية التي تميز بها ثلاثة:

(1) قلعة ضالع: وهي حافة على وادي ضالع ومدينة أنها، بحيث لا تضيع آية قوة أن تتعرض من تهامة دون أن تتعرض لقاطع وشواطين ونافذة المدافعين في تلك القلعة.

(2) قلعة دكوانة: وهو جبل مرتفع يكاد يكون متفرداً عما سواء، وبرى من أماكن بادية جادة. (ذكرى لهندسة أنه راهم من السودة على بعد 20 كيلومتراً)، وهو إلى الشمال الشرقي من قلعة ضالع. وقد نبتت فوقه قلعة كبيرة تحتها أبناء مخفورة.
في بطن الجبل. وقد استفادت الحكومة الحالية من هذه القلعة، واتخذتها أول أمرها مركزًا للأسكالي.

(3) قلعة شمسان: إلى الشمال من أجها، تحوّر الطريق العام القادم من عقبة
شعار ومن عقبة الصباء.

وتوجد بين القلاع سلسلة من الخنافر القوية المقيّمة على روس النبال لحراسة
الطرق الموصيلة إلى أجها وللمدافعين عن القلاع أيضًا. ويوجد بين ضلع وذرة جبل مرتفع
اسماء "أبو خيال" بني فوقه مخازن حمص لحراسة طريق القلعتين.

وقد وصل إلى الدخان بشبا بين أجها والقلاع بطرق مترعة في أعلى الجبال وجعلها
مزوّدة بالذابق والإبل، وسيّر عليها الدفعات والمركبات. وعلى الإجمال فإن أعظم
عمل قامته الحكومة العثمانية للدفاع عن أجها، إنما كان بمحبة الدين باشا الذي
Javascript: return {a: ''},Receipt: null}

ويستقر أهل أجها من الآبار المخفورة في الوادي، ماؤها عذب لذيذ، وهواها
تلق عليل. غير أن لم حظت ثقل الجو نوعًا في أجها، فإن الغريب يشعر بالتعب
من أنّ نشاط بديهي فيها، وإذا رقي درجة أو هضبة صغيرة أدركه التعب الشديد
الذي يمكن تسميته (التضييح)، أي ضيق النفس واللثة وانتشار ضرايا القلب.

وأجها، سوق عسير الدامّة، وتعد فيها سوق أسبوعية يجتمع فيها أهل القرى
للبيع والشراء، وأكثر من يفد إليها النساء وطلاب الزواج. وسنذكر في الفصل
التالي طرقًا من عادات أهل أجها الاجتماعية.

4 - قرى عسير

يكاد يكون كل بطن من بطون عسير الأربعة مستقلًا في قرى وبلاده عن
البطون الأخرى، الأمر الذي يدل على تفاوت أصولهم. ومن القرى ماهما شهرة
خاصة بسبب أخذاها مركزًا حكوميًا في وقت من الأوقات. مثل ذلك طيب.
التي كانت مركزاً للحكم ربيعة ورفيدة. (أي بلاد أبو نفقه)، و«الشفا» التي كانت مركزاً للحكم آل يزيد، و«ريدة» التي كانت مركزاً للحكم عائض بن مري عتم انتقل ابنه إلى أبها وبنى «شذا» فكانت مركزه، غير أن رديف بشا وختار بشا أسرى محمد بن عائض في ريدة. و«جرملة» هي بلدة آل عائض أيضاً وهي التي هددها الأمير فيصل بعد استيلائه على أبها بسبب فرار صاحبها الأمير حسن بن علي بن محمد بن عائض. من أجل ذلك، رأيت أن أذكر في قرى كل بطن من عسير 
على حدثها:

أولاً: قرى بنك مالك من عسير:

١ - قرى ربيعة:

١ (١) مال ججر. 
(٢) النليض.
(٣) عدلان.
(٤) عدنان.

ب - قرى بني منبه:

١ (٣) المجزعة.
(٣) عفف.
(١) سيل، وهي قرية لأمير بن معدّي شيخ بنك مالك. (٤) الجسور.

ج - قرى عسير عسر:

١ (٣) المجاجعة.
(٣) المنارة. 
(٤) النصبة.

و - قرى آل رمان:

١ (٣) آل سفور.
(١) شحوط.
(٤) القومرة.
(٣) منادر المين.
6- قرى الثلاثة:
(1) آل الثلثاء.
(2) آل جاهل.
(3) صواب.

و-قرى بني رзам:
(1) سوق السبت.
(2) القرابات.
(3) الملاح.
(4) الفليهة.

7- قرى آل جيل:
(1) صبرور.
(2) الأذواق، وهي آخر وادي الملاحا قبل التقائه بأمانة.
(3) حياد.
(4) المطفات.

8- قرى آل الحبسي:
(1) الخارجة.
(2) العطالة.
(3) آل أبي شوحة.

ويبلغ عدد سكان هذه القرى نحو 15 ألف نسمة.

ثانياً: قرى بني مغيد من عسير:

من مفيدة مخاطرون لم أتمكن من تميز قرام بحسب فروع البطن:
(1) هضبة بني جري.
(2) آل أبا الفلاح.
(3) العرينة وهي قريبة
الحولة والعسا.
(4) جراح.
(5) النصب.
(6) الطرقات.
(7) فاعد.
(8) المصنع.
(9) العرينة.
(10) مدينة أبها وقد
وردت تفاصيل قراها
(11) الحصن الأعلى.
(12) مشبع.
(13) الحصن الأسفل.
(14) العرينة.
(15) المدينة أبها وقد...
الثالث.
(11) آل يجاد.
(12) آل القليفة.
(13) آل السحري.
(14) آل ال_SIGNAL.
(15) آل المنشق.
(16) آل البيج.
(17) آل الغض.
(18) آل الطرفة.
(19) الروارد الطالب.
(20) نعم.
(21) الوادي الطالب.
(22) الرفيق.
(23) السود.
(24) السوق.
(25) النجم.
(26) النجم.
(27) السوهة.
(28) نوراء.
(29) النجم.
(30) النجم.
(31) النجم.
(32) النجم.
(33) النجم.
(34) النجم.
(35) النجم.
(36) النجم.
(37) النجم.
(38) النجم.
(39) النجم.
(40) النجم.
(41) النجم.
(42) النجم.
(43) النجم.
(44) النجم.
(45) النجم.
(46) النجم.
(47) النجم.
(48) النجم.
(49) النجم.
(50) النجم.
(51) النجم.
(52) النجم.
(53) النجم.
(54) النجم.
(55) النجم.
(56) النجم.
(57) النجم.
(58) النجم.
(59) النجم.
(60) النجم.
(61) النجم.
(62) النجم.
(63) النجم.
(64) النجم.
(65) النجم.
(66) النجم.
(67) النجم.
(68) النجم.
(69) النجم.
(70) النجم.
(71) النجم.
(72) النجم.
(73) النجم.
(74) النجم.
(75) النجم.
(76) النجم.
(77) النجم.
(78) النجم.
(79) النجم.
(80) النجم.
(81) النجم.
(82) النجم.
(83) النجم.
(84) النجم.
(85) النجم.
(86) النجم.
(87) النجم.
(88) النجم.
(89) النجم.
(90) النجم.
(91) النجم.
(92) النجم.
(93) النجم.
(94) النجم.
(95) النجم.
(96) النجم.
(97) النجم.
(98) النجم.
(99) النجم.
(100) النجم.

ويرى ما ذكر أن بني مجيد أكثر قرى وأعظم عدداً، ويهم أمواج مركز المقاطعة، ولذا فإن رئاسة كافة عبر منهم.
الفصل الرابع

العادات الاجتماعية في عسير
الزى - الطعام - الهجة - ممارسات الزواج - الجريان

1 - الزى

أول ما يلي نظر الباحث في الشؤون الاجتماعية لقرن من الأطوار، أزياء الأهلين، وطوابعهم من حيث الرقة والجناء، وما إلى ذلك. أما في عسير من حيث أزياء الرجال فإنها لا تنافس كثيراً عن أزياء بلاد شهيران التي وصفناها في القسم الأول. ومن حيث الطباب فإن أهل عسير رجالاً ونساء يختلفون عن شهيران ببعض المميزات التي قد تكون أثرًا من آثار البيئة والإقليم، فهم أرق طباخاً وأقرب إلى الاختلاط الأجنبي من أهل شهيران، ولما كان هذا ناشتاً عن جو بلادهم وكراً اختلتو بالفرياء أكثر من سواهم، ويظهر أن أخاذته أبا قاعدة لإدارة عسير شهران الذي جمل أهلها أقرب إلى اقتصاد عادات غيرهم وأقل تعصبًا وجناء من سواهم.

هذا ويمكن تقسيم عسير من حيث العادات الاجتماعية إلى قسمين: الأول، أهل عسير الذين يقطنون الربي وسفوح الجبال الشرقية حتى بلاد شهيران وقططان. والثاني، أهل عسير الذين يقطنون الربي والسفوح الشرقية حتى منقلب الجبال إلى جهة تهامة، حتى إن الأهل أقسامهم يسمون سكان هذا القسم «أهل تهامة» تمييزاً لهم عن الآخرين. فالقسم الأول أقرب إلى شهيران وقططان في عاداته منه إلى أهل عسير المقيمين في تهامة، يظهر ذلك في زيهم وهمجتهم وأحاديثهم بل في طباعهم.
والسيرة النهاية أقرب إلى رجال ألم من إلى بني قومه ، لا بل يشبه لباس ربيعة الدين ولا لباس أهل أثينا بل هو وسط بينهما . والنساء يلبسن فوق أنوالهن رداء كاففرو مصنوع من الجلد الدموغة تربط أطرافه العليا حول العنق وتسل بقيته على الظهر إلى ما فوق السكال . وهذا الرداء على نوعين :

الأول : ألزَرَّ أو الزيار ، وهو عبارة عن مجموعة من جلود للحان تدبيج ويخرج بعضها ببعض بسيط ذي لون مختلط عن لون الجلد ، ويجلي بهذى المجموعة من لون السبت ، وغالبا ما يكون أزرق . وطريقة لبسه أن يكون مقلوبا ، فالشعر من الداخل والجلد من الخارج ، ليكون الجلد وفاء من المطر لاختراقه الماء كالمشبع ، وليكون الشعر وفاء من البرد في الشتاء.

والثاني : النعط أو القصر وهو عبارة عن نصف المجموعة الأول من الخدود الدموغة القلبية الكفية الشعر ، وهو أقل عمرا من الأول لا ينكر إلا بعض الظهر.

أما غطاء الرأس فإن نساء تهامة يستعملن الطاغية (الطاغية) وهي قبعة من الخوص عريضة (السكاتار ) غير بارزة الوسط . وأما نساء الجبال فهن يستعملن الخمار بضعفه على رومسهم ، وتلبس الأخبار نقوبا من البقاع المصنوع من النباش على شكل مثل محفظة القاعدة كما تدخل في الرأس ونستقر عليه ، وقد يوضع خار أو نقباب فوق هذه القبعة.

وقد جمعت معلومات وافية عن الملابس وأدوات الأزياء التي يستعملها الرجال والنساء أذكر بعضها فيها يلي :

١ (النطجة) ، وهي حبل من الجلد الجدول كالصار، تستخدمها النساء كالمرأة ، تنتمى عند أطراف بها كتلة من أطراف شرائح الجلد بينها نقطة صغيرة لالتقاء الشوك ومنكش ومرونة ، وهي أعم بين البادية .
2 - (السبتة)، وهي حزام من الجلد المنقوش المخزوز، تنطلق بها النساء فوق أنواعهن، وهي كالنسبة إلا أنها أقصر وأمسك، وهي أعم بين الحاضرة.

3 - (المكينة)، وهي قطة من الجلد مصنوعة على شكل إكليل تضعه النساء على رؤوسهن لمسك الشعر أو لتثبيت الخمار فوق الأذن.

4 - (إكليل) محبوكة من الخشخ و الأعشاب البرية العطرية مثل الشيحة والبرك والريحان والوزاب، وظفته إمساك الشعر عن أن تلصبه به الريح، والرجال إكليل خاص يختلف عن إكليل النساء في الشكل، يستعمله - على الأخص - رجال شهامة الذين يطلقون شعورهم كأنفسهم ولا يلبسون فوق الرأس شيئًا سواء.

5 - (الشمالة)، وهي عباءة من صوف النفل قصيرة جداً، تطرح على الكتفيين، ولكنها صلبة لانهذال عليها، وهي لباس الأغنياء والأعيان، تقوم ألبم الشتاء مقام (الممر والنتع عند البادية.

6 - الطعام

البر والسمون، هما الطعام الوطني الرئيسي في عسير وقحطان وشروان، فلا يلغو عليهما طعام. لأن البر من أهم منتجات عسيرة الزراعية؟ أليس السمن نتج أغلب البر؟ أبقارها؟ البر والسمون: ناجي الخضلات ومعاد الطعام وقوام المعيشة. أما ما عدا ذلك فثناوى أو كالي. فاللحم مقاومه في الأعياد والمواسم والlaşمات القليلة المحدودة، والفاكهة واللحم وجودها مثل عدمها، والحمد الله على كل حال. وطريقة صنع الطعام بدائية هيئة لينة لا دخل فيها لأن الطهو، اللحم مسالوك وكفي، والبر للخبز والعريكة، والسمون يسقي به الاغان.

وصفنا في هذا طعام العريكة وهو أعم الأطعام وأعظمها شأنه. يقصد الدقيق فوق النار بالماء الساخن حتى ينضج، ثم يصب في قصة أو جهنة منحنجة أو غير منحنية، والحرفة في وسطها تمتلك كمية من السمن الساخن، وليكيم أيها الضيوف
ما عندنا من الطعام الحلال. كُلوا هنيئاً، واشربوا الماء الفراخ أو اللبن الحامض غيضاً أو رائباً.
أرسلنا في مشتري الحليب قليل لنا: "عَار أَني بِعِيْن الأهالي الحليب" عار
وأي عار! إذن لابد من غنيات أو أبقار تستدر لنها. يجيء عصر الرعى، وتحيا
الصراحة واحترافية.
ويصنمن في دقيق القمح عدا المريكة نوع من الخبز السمع يشفى على النار
في الطاهون أو في إناه، ثم يصب عليه السمن والصلح. وهذا القرص من أشهى
المأكول وألذها.
أما اللحم فهو كسقى ناضجة مقطعة إربا إربا متباينة بقدر الأقل أو دونها، وهنا
المرق في قصعة، وهما قطع اللحم متنوعة على مائدة نبسط على الأرض من جلود
النجم في الشمس. قصعة المرق تتوسط الدائرة، تحيط بها أرغفة الخنزير الساخن،
تختليا قطع اللحم، وقد تحت قصمة المريكة مكان قصعة المرق، وهي سيدة الطعام
كلما واشربا هنيئاً مريناً. أما قطع اللحم المنتزه كالكاتب والفتية وسواها من
أطيلب اللحم فإنضيف يوزعها بنفسه على الضيف، إلقاءً بالأول قائلًا: "الزوم
فِيناوها الضيف قائلًا: "سُلم" إلى أن يدير قطع اللحم على الحاضرين، وإن تقي
شىء منها بعد ذلك يوزع على من لم يحضر الدعوة من الأهل: هاكم الرأس وهاكم
الكوارع وهاكم الأضلاع وهاكم الدهن وهاكم المطط. لكلهُ قسم كبح من قمته
في الهيئة الاجتماعية، الطيبات للطيبين، والكبرى للكبر.
ومن المناظر المألوفة أن يأتي الضيف إلى جفتة المريكة، فيقطع منها قطعة
يكونها بين أصابعه كفية كبيرة لا يزنها إلا الجائع القلبي، ويقص منها إلقاء يشبه
المقاطعة أو بالآخر أن الذئب يغتصب بها من السمن، ويقدمها للضيف، وإذا كان
الضيف عرزًا لا يكفي المضيف بلصلاة واحدة - وطريقة من يطلق إزداد هذه
الكلفة الهائلة من المريكة والسمن. لكنهما هي المادات وهو الإكرام وهو
حسن الضيافة."
أحدث القصبات في بلدة حجلة في عسير. وهي عامة في عسير وxAFAN

نساء بدويات في سوق "أبها" وهم لابسات قبعات عريضة

قصر شـذادا في "أبـها"
أم التعريف: حضرت أول أسبوع أسبوعي عقدت في أبها على وصولها,
وحولت في أرجائها مستعرا من فيها، سائلًا منقبًا عن أحوالهم، فكان أشد
محيي حينها سألت أحمد عن المكان الذي جاء منه فأجابه: من «أمسي»،
قلت: ومن أنت؟ فأجاب: «عبد امناصر» وحنيا تكررت الأحاديث
بيني وبين كثيرين من أهل عسير أدرك أنهم يعرفون الأسماء ب«أم» بدلاً
ال. والتعريف بأم من لهجات العرب كما ورد في الحديث (ليس من إمير
معموم في أمسي) أي (ليس من البر الصيام في المنفر). وشرعت أستفسر
المعلومات عن الجهات التي تعرف بأم، فلم تكن التعرف بها عالية عند الكثيرين
منهم، ونبادر إلى ذهني ما كنت أسمعه عن قبيلة مهمة بجوار جيزان اسمها قبيلة
أحمد، فإذا بها قبيلة «المجد» عرف اسمها بأم. وحضرت عرضة قبيلة بأم أفراد
قبيلة رجل أعلم الرسلين إلى ساحة الحرب مست قدبين برفاق لم، فسمعتهم ينشدون:
علموا قحطان مع جمع المشارق(1) يغفون نجد(2) لا حيا بفارق
(3) حتى يجون اسم
بأخير أموه ما هذى اضطهاد(4) وذنا ذي النبر له سرية
علموا ولي أمام(5) لا بذ من صنعا وعقوم قصصه.
قلب النون رأى: طابت من أمير عسير أن يرسل إلى منزل بعض كباره
للسؤال عن أحوالهم، فاجئ الشيخ زائد، وأدى إلى معلومات نفيسة عن حالة قبيلته
وقراها وأوديتها وأودية تهامة إجمالاً. وقد عجت من اصطحاب ذكره أمامي، فسألته
عنه، فأوضح لي غامضه، كان يملع على القرى والشعراء التي تنص في وادي حلي،
فإذا به يذكر أمه أن الوادي ينتمي في حلي «بر قيوب» فاضفر بت التركيب,
وما سألته عن بعض مشاهير القبيلة كان يذكر اسم الشخص ثم يردفه بكلمة «بر»
(1) - ٥٠ - آل بلد أم. (٩)
فبدأ إلى ذهني أن أسأله عن اسم والده، فسمعت عجباً.
قال حفظه الله: "أنا زايد بن غزالة وأمي فاطمة بنت محمد.
قلب الجميل بها: ورجال ألم وأهل عسير يبادلون أحيانا الجميل بها، فقول أهدعم.
"صلو في المسجد" يعني في المسجد، و"رأيت الرؤى" أي الرجال. لقد ذكرت لهجة أهل عسير في قلب الأحرار بوقعة جربت لي وبعض الرفاق في قريه "شرا" من قرى بين مساحين بجوار الطائف حيث ذهبنا للنبي، فسألنا أحد أهلنا عن الوقت وكان قريب ظهر، فقال: "فات ظهر"، قلب الناظر لاما، وكان مخاطباً يقلب النظار، والضاد لما في جميع الكلمات التي وردت على لسانه في حديثه ما.
لكنيتي أو البشيشة: لاحتفات في أهل النهم ظاهرة أخرى هي الكشكشة أو البشيشة. وقد لقيت صعوبة جمة في فهم كثير من أحاديثهم بسبب ذلك. هم لهجة مجمعة لا سابين بين النساء، وقد حاول كثيرًا أن أفهم جاهدين فلم أفهمه. ولحن في الحديث لهجة خاصة يستعمل فيه الألفاظ العربية بسرعة تانية. وكثير من الأسماء والأفعال غريب على سمعي وطريقة التلفظ به أغرب.
"كم بمعنى هنالك": ومن ألفاظ اصطلاحاتهم وأحضها على السمع كلمة "ثم".
بمعنى هنالك، إذ ينطلقون بها على العبدية دون أي تكلف، يخاطبون بها الرجل والمرأة والنداء على السواء: "سرا من اسم وثمة وثمة ومثلم يهمل أمواد".
(سرا من النطق ومن هناك ينطلق الالتفاظ).
الجمل المبرزة: لا أود إعلاب القارئ بما دتحدث من الاصطلاحات المركبة.
فاكفي بعضها، غلب على أهل هذه البلاد إدخال جملة مبرزة أثناء الحديث بقصد الدعاة والنساء والنداء على غرار:
إن أباك - وبعثته - قد أحوجت بسمه إلى ترجمان.
يكون مخاطبك مسترسل في الحديث وإذا به يركب بالجملة المبرزة: "إيه والي سلك". وقد تبلغ به الحجة أن يقول لك لزيادة التأكد: "زيدني قلبك"، أو "ربى يديك ويديك" وكثيرًا غريب هذا.
ولا شك في أن دراسة الوجهات العلمية في شأن البلاد العربية من المسائل الهامة جداً، ولكني واثق من أن دراسة الوجهات المحلية في عسير وتهامة وأطراف الين من أكثر الدراسات نفها لعرفة الفوارق والمعامل في لنا العربية. وفي أرجو أن يوفق الله إمام مثل هذا البحث.

4 - مراسيم الزواج

يشك السفور أن يكون عامة في القرى وبين البادية في جميع أنحاء عسير وشمران وقحطان، والاختلاف بين الجنسين عام، خلا نساء الأمراء والأعيان فإنهم لا يمتزجن إلا بأقاربهن الأدرينن، ولا شك في أن الاختلاف بالقرباء سبب مشاكيل شتى، ولذلك فإن الحكومة الحاضرة عملت جهودا للقضاء على هذه العادة دفعا لمضارها، واتقاء لفسادها، غير أن ما عمل في هذا الباب لا يزال دون الغاية المطلوبة.

عجلت بادي الأمر من هذا الاختلاف ومن رفع الكلفة بين الجنسين، ولكن أدرك أن نساء هذه البلاد قد اعتنن عدم الانتزاز من مخاطرة القرابة، ففضل الزمن والعادات المتوازنة، ولا يرين في ذلك أبدا، متمسلا بقول الشعر:

بيض حراط ماهمن جربان ويسدمن عن الخنا الإسلام

أعتقد أن هذه البلاد قد متبت نجح في الرجال، وكان من جراء ذلك أن

يرخص الزواج، وجري فيه تسامح عظم مع القرابة عن القبيلة ومع غير الكفف.

وقد لاحظت أولاً من الزواج كانت المساومة فيه أساسا له وكان المال سبيلا لإيماءه

ول يستنكف أهل هذه البلاد عن تزويج بناتهم من الجنود بعضهم بعصر مدة

إقامتهم بين الظهران. وهذا التسامح في اختيار الأزواج وأي الأخرى في بيع النساء للرجال لي chỗ درام معدودة قد لفت نظرى إلى هذه الظاهرة الاجتماعية الخطيرة التي أرجو أن يكون الباعت عليها الحرب وضوراتها، وأن تكون الأسباب

التي أوجدتها قد زالت الآن.

كانت أشياء أول وصول إلى عسير من كثرة الأحاديث عن الزواج الذي

لاikutهم منها مجلس، ولكن عجب أخذ في التضاوضل بمرور الزمن حتى أصبحت لا أرى
حضارة في طرق الموضوع في أية مناسبة. وزمم بعض محدثين أن الزواج بين أفراد القبيلة لامسيا بينا يتبع العروسة جناة، فالمحر لا يتجاوز غالباً خمسة عشر ريالاً فرنسيًا (200 قرشاً مصرياً)، غير أن الذي يدفع منه بفعل خمسة ريالات فقط، إذ المادة في هذه المهر أن تجعل ثلاثة أقسام: الثالث الأول يدفع نقداً والثاني الثاني ينقل عليه 3.0 ريال نقداً، وهذا أمر لم تتم به نساء تلك البلاد، فكان الإقبال على الزواج عظيماً من الجانبين.

وكثير العروس لا ينسى القروبات والبوديات - يقع في أحد مكاني: السوق أو البئر، وما على الراغبين في الزواج إلا أن يردوا أحسن يلبسهم يوم السوق، ويشرعن في ذرعه ذهباً وجميلة، إلى أن يقع نظره على فتاة ناجحة، فيتمد إليها خاطباً بالفoteca الملونة: "أنا مديك" و "أنا ميد" و "أنا ليس ميد". ويستدال على ولي الفتاة وتم الخطبة في نهر واحد، وهكذا الأمر، وهكذا الديبة، وهكذا الشرفة، وهكذا الأستاذ ماأذن الزواج: "سم الله الرحمن الرحيم، سبحان من خلق النكاح وحرم النفع، مبارك يا عريس.

وقد بلغ التنافس على العروض أخذ أيام كنا في أنها، فوضواً عن استعراض الفتيات في السوق بدأ الراغبون في الزوجات في تصدح من بيع في طريقهم إلى السوق قبل وصولهم إليه حتى لازاجهم مراهم أو بنافصل منافسات الزوجات سهل، والطلاق مرسوم، أما وافق وإما فراق، وكان الله يحب الحسنين، أما البئر فإنها جامعه في فتيات القرية أو القرية، يقدمنها حاملات القرر على ظهرهن، إذ أن السقاية وحل الخلع والسكلاء، من مهات النساء الماهرات في الجمل على التطور، والسقاية من البئر بالصباح، وقد تطول عملية رفع الماء بالثلجاء، وهذه فرصة حسنة للحديث فيها بينهم أو مع السببين الراغبين في الزواج، يحمل التعارف
الاتفاق الضمني على البتر، ثم يعقب ذلك إجراءات الخطبة الرسمية في البيت. وفي أطرافهما مشاهدتهما من هذه الإجراءات والعادات:

حضرت حفلتين من حفلات عقد الزواج كان العريس في كتبهما من أصدقائي وكانت المراسم فيها واحدة تقربيًا مع بعض الاختلاف في الفروع والمواسم، ولا في الأساس والقواعد. ركزنا من أنها في سيرتنا إلى قرية مجاورة واقفة في جنبها الشهائية اسمها "رضفة" حيث العروس وأهلها، وناقتنا بما في بينت القرية أخذرفنا يطلقون الرصاص من البنادق والسادات، وكان المبتسر أن يقال لما أهل القرية بالقليل غير أنهم بخلوا بالخربوش فلم تطلقوا طلقة واحدة، وإنما قابلنا منها طولاً وشولاً محبين مرحبين، ثم دعوتنا إلى بيت تناولنا فيه القهوة. وكان علينا أن ننتظر نتيجة للسماحة على توفير مهر العروس بين والدتها وأخيها وعشيما الذي هو وليها. كان المهر مالي بالقدر لم يتنكر الوسائط من توفيره على وجه يضيع الجمع إلا بعد المناشطات ومفاوضات كثيرة. وقدم العريس علاوة على النقدية من الكسر والثاني والقهوة والهبل، كما قدم الجهاز المؤلف من ثلاثة أثواب كاملة أثوابها من الحرير، ولم يكن في الجهاز مصالحة. وبعد إتمام هذه الإجراءات دعي الأذون إجراء العقد، فقرأ ما نيسر من كلام الله، ثم أجرى العقد بين ولي أمر العروس و بين العريس شنهدا دون أن يكتب صب بذلك كما هو متبوع في أكثر البلاد، وبذلك انتهت المراسم وتم عقد الزواج. ثم دعوتنا إلى تناول طعام الضيافة، وكان يتألف من كش مسلوق وأرز مغلق - وهذا من الوداد - ومرق وعريقة وخبز، وباركنا للعروسين وشبينا لحما السعادة والهنا.

أما مراسم الحفلة الثانية فلم تختلف عن الأولى إلا بتبادل إطلاق الرصاص من الجانبين، واعتد مشاهدتنا مساعات المهر وتوزيعها، كما أننا لم نشاهد توزيع قطع اللحم كما جرى في الحفلة الأولى. أبناء عم العروس أولى بها من الفقراء. ولم علمها حق الأفضلية، ولذا يجب التثبت من عدم معارضتهم في الزواج أو إرضاؤهم للغايته قبل إتمام.
روي البسطاء من أهل البلاد حكابات طرائف عن الخرافات المتسلطة.

على أذانهم، إذ يعتقدون بقدرة أهل العروس على الهيلولة دون وصول العريس إلى عروسه. وطريقة ذلك أن يецدوا للعريس عقدة تجزءه عن بلوغ مراده من زوجته، ولم يلزم بذلك طرق عديدة يتولون بها ويؤمنون بفائدتها للوصول إلى النتيجة المطلوبة على زعمهم. وفيما يلبس الواصل التي يتوله بها أهل العروس، وأبناء عمومتهم للهيلولة بين العريس وعروسه إن لم يكونوا راضين عن الزواج.

وذلك حين إجراء الأذون لرامي العقد.

1 - عقد خيط أو شريط أو طرف الفقرة أو الثوب.

2 - خلع الخليم من الاصبع ثم إعادة لبسه رويبدا كنا قرأ الأذون جملة أو آية.

3 - سل الجينبي من غدها ثم إعادتها إليه أثناء قيام الأذون بعمله دون أن يلاحظ أحد ذلك.

4 - قلب النعال حين إجراء العقد.

5 - عقد بعض شرارات من صوف ذبابة العروس حين إجراء العقد.

6 - عقد مصران الذبابة.

7 - غمس مسار في ذبابة ودقة في الأرض.

8 - خلط سير الذبابة بمرحلة حين إجراء العقد.

هذه أشهر الطرق. وهنالك طرق أخرى غيرها. ونقول أن الأسف أن هذه الخرافات تجري من القوم بجري الدم، ومنا في نفوسهم أثر عظيم، ولذلك فإن أهل العريس يكونون يقطعون منتهين حين إجراء العقد، ثلا يحدث شيء من ذلك.

وما يجوز في تسجيل هذا على سبيل الفكاهة - وقعة حديث لفيتنا الذي كان دائمًا مصدر الالتباس والفكاهة: "كمان أفرد". كنا متحيدين كنعان وترغب في الزواج ونشجع عليه، ومن المعلوم أنه أعزب. وكنا كنا خرج بمرده من المنزل نسألنا بعد عودته عما إذا كان قد وقع إلى الحثور على فتاة موافقة، وتعهدنا المساعدة به المجر.
وحلفته المرس، قطلب مئا تدبير المساعدة المالية من الأمير سعود أولا، فأن درت
فإنه لا يحتاج في الزواج. وقد كلف فعلا أحد أصدقائه بالبحث عن فتاة مناسبة،
ووفق الصديق في مهنته وأرشده إلى فتاة في السادسة عشرة من العمر، غير أن
كمعان كان قد تسلم المساعدة المالية فاعتبرها فتاة أجملها وعدل عن الزواج وأخبر
صديقته بالعدول عن الخطبة!

ومن غريب المصادفات أن الأمير تركي السديري أمير عمرو كان مع في المنزل
وقت الغداء، خرج إلى دار الحكومة، وما أن أرسل إلى رسالة تخبرني فيها
بأن حديث كمعان ممنون عن عدم زواجه خرافة، وأنه لعب عليها زواجه خفية عدا.
ونظرا لمعرفته الوثيقة بأن كمعان لم يتزوج، لم أصدق الخبر بالطبع، غير أنني اعتنمت
فرصة للتفكك، بعثتها كمعان وتشويش أفكاره والتهويل في أمره.

أخبرت كمعان بأن أهل البيت قد كشفوا للأمير نفسيه وعلوه عن الزواج
 دون أن يسمع الخبر، وأن الأمير لم يستأذن الإجراءات ضدّه قبل مشاركتي والانفاق
معي على حلّ الموضوع صلحاً، وعليه دفع الماله ريال قيمة شهر وإلا اضطر الأمير
إلى النظر في الشكوى بصورة قانونية.

حينها أعود بما كرّي إلى منظر كمعان ساعة إخباره بذلك الخبر، تستفرق
عوامل الضحك والigatorط من موقف كمعان الرجل واعتباشه وقته. بالله من ساعة
عصبة وكارنة مئة ألقت به. لم تترك وسيلة من وسائل الاستفزاز والتهويش والشكاوى
إلا اختخاها، فاقداد السكره به، وضاقت به الخبل، ففكرنا غاضبة من إلهامنا
له وعدم ميلاتنا به في ساعة شدته، وذهب إلى السوق متفرجًا على أن يطرح
هموه وينسي آلمه، غير أنه عاد إلينا بعد ساعة تبدو عليه الآلام النفسية من هذه
الورطة، ولم يطاف صبرا بين الرفاق، فأخذ يتفقي واعترف الخروج للصيد على حدّ
قوله، فعمنا أن يؤديه إلى الاتهام، أطلعنا عليه الحقيقة بين طفيفه الرفاق
وتضيفهم الحداد للمريس الخيالي الجبار
الخرافات

تنشر في هذه البلاد عقائد خرافية تجري من نفس أهلها جرى الدم، ولها أثر شديد في تشكيل أبكارهم، فأكثرهم يعتقد بالسحر وتحنيج وكتابة الحجب والطلاسم، الأمر الذي يجد المشوعون معه سوقاً رائحاً لشعوذتهم وأباجاراتهم، ويتورسون بذلك لسلب السبطاء أموالهم أو لسب أو موال النساء الجاهرات. لعلماً بانتشار الوحد من تأسيس الحكومة الحاضرة قضى على كثير من هذه الخرافات والأوهام الباطلة، كأنه لم يقع عليها قضاء مبكر.

لا ظل أن اعتقاد السبطاء في قدرة بعضهم على منع العريس من مساس عروسه بواسطة عمله الفنى ضرب من الأوهام والخرافات.

وتزعم أيضاً اعتقاد السائد في قبر ذي القرنين الواقع على ملتقى وادين.

 وجعوان وأبيها، وهو القبر الذي هده الإخوان أيام الفتح الأول.

وكل ذلك من الخرافات الإعتقاد السائد بينهم بشأن الكيف المجار لجلب النعمة، يزعمون أن في ثلاث جلسات كبيرة لأناس مأخرو منهم قرون غير أن أجد أجمل تجمدت وظلمت عليه، وأن كل من رأى هذه الجلث أصيب بشيء لا يستطيعون أن يروه، الأخير هو أمر شر.

ولكن أبعد مارو في من عقائد الخرافية اعتقاده بما يفعله أهل داخليين من استطلاع الموت الذي يفعلون عليه، وزميين بأن يكونم معرفة الفائل وتطبيق الجزاء عليه بهذه الطريقة. وحيداً أتسكن هذه الخرافات حقية، إذ لا يمكن قضاة التحقيق من كشف أمرار الجرام والضرب على أنيا الحناء والمجرمين، ولكنها خرافة لها أثرها العظيم في أوهام الناس.

إذا انتهى الإنسان وأريد معرفة قتله، قام أهل القتيل بمعونة بعض السحر والكبان إلى سلم فر بطل القتيل إليه عرضاً، وحملوه إلى مكان بعيد بين الجبال حيث لا يسمع نباح السكلا ولا الأصوات الزجخة، علقوا السم على شجرة.
جمدهما إلى حفرة في الأرض تنسف جلوب شمس واحد فوضعها فوقها صغيرة كبيرة، بحيث تغلبها إلا فتحة صغيرة مواجهة لوجه القتيل الملئي على النمّ المر بوط إلى الشجرة. ويصف رفاق القتيل، في الحفرة إلى مكان معتزلاً لا يشاهدون منه. إذا جن الليل أتست القتيل في الحفرة وحيداً في وجه القتيل منتظراً وقوع الأنفاح، وإذا بطيء كبير يشب النسر ينحث من السماء على عالي الشجرة مقابل الميت، ثم تبدأ عملية الاستجواب والاستنطاق.

يكلم النسر المشيراً إلى الميت طالباً منه أن يخبره باسم عائلته، وربما سأله عن عمره وبرغم أن هؤلاء البسطاء لا يرثون أعمارهم ولا توجد في ديارهم مصالح إحساء ولا دواء نسيج القلوب - فيما يعجب القتيل فيه ويجب عن أسلحة النسر واحداً واحداً، ويطلعه على اسم القاتل ومكان القتل وكيفيته وغير ذلك من التفاصيل.

وقد يكون النسر محباً للإطلاع راغباً في كشف أسرار الموت وأيقظ في الحياة الدنيا، فيدياد في السؤال والميت يجيبه على أسلحته حتى يتطرق إلى الخصوصيات المحضّة، فيصبح القتيل في الحفرة بالنصّ أن كنّه ولا لزوم لكشف أسرار الموت، فيقبض النسر من هذا الطفل ويثور عليه، وينقض على الحفرة للاقتناص منه وترزقه بمخالبه القوية ومنقاره الممدود، فيصبح الرجل الحربي مستحيلاً، ويبقى عليه رقته لإنقاذ، فيضف النسر أمام الكتيبة التي تغلب الشجاعة، ينفر لساعته، ويصارع الرجال إلى رفع الصغر، عن فوهة الحفرة لإنقاذ رفيقهم، وينظرون إذا الميت على حاله لا يبتكر ولا يتحرك.

هذه الوسيلة يكشف أهل أعين أسرار الموت وطريقة اغتيلام للانقراض من القاتل، إلا أن المثل السائر يقول: «لسكن شيء أثمر من جنّته» و«لسكن داء دواء».

قلقل الفائز الذي بعل أن تلك الوسيلة قد تفعّل سره، لا يستبعد أن يجد إلى قطع لسان القتيل وشفته، فيصبح عاجزاً عن النطق حيناً يستجوى النسر، يضجى بذلك على آمال أهل القتيل في الوقوف على السر.
الفصل الثاني
بلاد وادعة وقطتان

وادعة ظهرون، قراها وأوديتها - نسب قطتان ونسامها - في نبطان - وادي ثلاث

وادعة ظهرون، قراها وأوديتها

كانت أعتقد قبل رحلتي إلى عسير أن قبائل وادعة تتألف قسمًا من أقسام قبيلة
قطتان. وهذه الصيغة هي التي جعلتني أذكر وادعة ضمن أقسام قطتان في كتابي
قلب جزيرة العرب (1). وحينها تقابلت مع كبار وادعة في خمس مشيئت علمنه
منهم أنهم من نسل همدان بن زيد، وأن أقاربهم وأبناء عمومهم، هم اليامية
أهل أجوان وحبونه ودوو محمد ودوو حسين ودَّجم، حالتة كون قطتان ينضبون إلى
عمر بن المُلْف بن قضاعة، وهم أقرب إلى خولان بن عاص (بند جامِعة ومنبِّه
وكثيرون من غيرهم) منهم إلى وادعة

تقع بلاد ظهرون في منتهى حدود المملكة العربية السعودية المتناخة لليمن,
وتبعده عن خمس مشيئت بجرين السيارات 366 كيلومترًا، وهي بلاد جبلية ذات
أودية كثيرة خصبة، يبعدها من الجنوب بلاد سحار الشام والنافال بينهما «رأس
عَئْبَنَين» يقابلها في حدود اليمن «عقبة السُنْطِبة» التي كانت مدخل الجند إلى اليمن
بقيادة على المهد، وبعدها عن بلادن بني جامعه «سباد» و«الصخرة» وها بجوار
وادي الحاجر»، وبعدها من جهة الغرب أي من جهة تهامة جبل «آل مختُري»
و«المسكي». وأما من جهة الشرق فإن بلاد يام» متصلاً بها، وأقرب
القري إليها بلدة «بدر» مركز المكارمة، وبين بدر وظهران مسافة ست ساعات
يضمن منتصفها ريع يسمى «زُهُوة المِقْصَم».

(1) ص 189.
إن سكنى قبيلة صغيرة كواهدة في منعزل عن أبناء عمتها من همدان بن زيد، أمر لا يمكن تفسيره بالوقائع التاريخية الثابتة، وليس لذلك شرفاً إلا وجود قرية يباد التابعة لسحار بين ظهران ولبد بن جماعة من خولان، ومع ذلك فقد استقرت هذه القبيلة واستقلت به وخاطبت قحطان بن عام واحتفلت أسبابها، مما دعا كثيرين إلىظن بأنها قبيلة واحدة.

وتقسم القبيلة إلى قسمين: آل حيكان ووادعة، ولكن الأهل يقسمون القبيلة بحسب القرى التي يقطنونها، وهذه أسماء قرى القبيلة وأوديتها:

1- وادي الحاجر: ينبع بالقرب من وادي النشور في بلاد سحار بأثين.

ويتجه إلى الشرق حيث يصب في وادي هداه الذي يصب بدوره في وادي حبنة.

2- وادي قطام: ينبع ما بين علبين والشعيبة، وهي الحد الفاصل بين اليمن والملكية العربية السعودية، ثم يصب في وادي الحاجر، ويجتمعان في المجزعة.

وتعتبار المجزعة من علوية إلى مصبها:

1- المجزعة
2- الصدة
3- الشهق
4- الوسطة
5- الحنكة

وفي هذا الوادي خمس قرى، يبدأ في عراعش التي توالى تهامة من جهة الغرب:

1- عراعش بلدة ظهران
2- آل عبد الله
3- الحصن
4- الربيع
5- آل المؤس

جميع الأوردية المذكورة تصب في القرن الخنافقي في أعلى وادي حبنة.
4 - وادي الفيل: يبدأ من قرية الأرب، ويصب في القرن في أعلى حبونة
(1) الأرب
(2) الشعب
(3) الفلف
(4) آل كبان وهم كبار وادعة
(5) ملحة

5 - وادي طلحة: وهو واد صغير يدفع مياهه في طرف «الدراع» وهي قرية يلواها «سيل الحرة»، وليس في الوادي سواها.

6 - وادي يلوا: وأوله قرية «آل جزئة»، وتليها قرية «آل يلوا»، ويصب في القرن ثم في حبونة.

هذه الأودية الستي هي أصل وادي حبونة، أحد الأودية الستي التي ذكرنا أنها تتصل السطح الشرقي للنائل لبلاد السراة ضمن المملكة العربية السعودية.
ويصب في حبونة أيضاً واديان آخرين في بلاد «يام»هما وادي «الهدادة»، ووادي «الحرشف».

والطرق المتعددة من بلاد وادعة إلى ما جاورها شتى أهمها:
(1) طريق عقبة الخشبة
(2) طريق يلوا
(3) طريق سعد الكامل
(4) طريق المصنفة
(5) طريق القم وبعلين، وهي طريق عقبة الخشبة
(6) طريق هنافص
(7) طريق شجع

2 - نسب قحطان وأقسامها
يطلق على هذه القبيلة اسم قحطان بن عامر، والأول من تكون قحطان بن عمرو من الجلف بن قضاعة، وقحطان آخر خولان بن عمرو الذي منه قبائل كثيرة
في أتين ونهاية وقحطن من القبائل العربية المعاصرة في العدد والعدة، ومنها فروع متحضر وفرع غثار لا زال على البداوة في عسير ووادي الدواسر ونجد، ويجمع بها في أحد أجدادها الأعلى قبائل بنى خالد وبنى هاجر وسواها. ولن نذكر هنا إلا أقسام قحطن المقيمة في جهات عسير بين وادعة ويام وعسير وشران من الجنوب والغرب والشمال وتبين وادي الدواسر من الشرق. ويمكن تحديد ديار ما ستذكره من أقسام قحطن بأنها واقعة في أعلاى وفي أقوم وادي تثثبت ووادي بيشة.

ويمكن تقسيم قحطن إلى الأقسام الخمسة الآتية:

أولا - بطن رقيدة، وأميرهم ابن سام الذي ذكرنا أن علما بيشة يسعى باسمه.

وفي هذا البطن ستة أقسام هي:

1) ذهيد
2) بن قيس
3) جارمة وخطاب
4) الحفصة وقشة ومن وقشة آل الحجل.

ويرقيدة أتباع في تهامة ذكرنا لمنهم القبائل الآتية:

1) الجهرة
2) آل مفتاح
3) آل عفران
4) آل السري
5) آل مكرض
6) آل عفران
7) آل مكرض

ثانيا: بطن بنى بشر، وأميرهم ابن تغبان، وفيه المشاير الآتية:

1) آل عفران
2)آل محمد
3) الحيان

وأمشير أتباع في تهامة هم:

1) آل مسعود
2) آل علي

(1) انظر تفصيل وادي بيشة في سابق
(3) آل حسان
(4) آل الحسن
(5) آل سالم

ثالثاً: سنحان الحباب. وأميرهم الحيداني، وفيه المشاوا الآتي:
(1) الرشدة
(2) الغازى
(3) آل الشريف

وتم في تهيئة أتباع أئمها ما يأتي:
(7) آل عيس (1) آل حجل
(8) مفتاح (7) داري
(9) منهية (8) رداوي
(10) مشاش (11) سعيد
(11) حنان

رابعاً: بنان عيسدة. وأميرهم ابن شفاط، وتمكن قسمته إلى فخذين: آل الصقر وآل الحارث. وفيه المشاوا ما يأتي:
(9) الفهر (1) آل علي
(10) آل زهير (10) آل مهدى
(11) آل الكرعان (11) آل زيدان
(12) الجراح (12) آل الجراح
(13) همالة (13) الحرقل أو آل سليان
(14) الجراح (7) المساردة
(15) العيس (8) آل سمان
(16) آل عائذ
(21) العريض
(22) السام
(23) المنادية

(17) آل قريش
(18) آل الجملة
(19) بنو طافق
(20) الواهبة

خامساً: بطن شريف، كبيرهم دليم بن محمد أبو مثمة، وأقسامهم كما يأتي:
(1) آل سريع
(2) بنو زيد ومنهم ابن دليم
(3) بنو هامر
(4) آل عبد القادر
(5) آل داود.

3- وادي تليلث

ينبع وادي تليلث من بلاد قحطان، ولذلك رأينا ضرورة ذكره في هذا الموضع
من السكتاب مع ذكر روافد السكتيرة التي تتمده بأمطار بلاد قحطان، مثلما ذكرنا
من قبل بعض الروافد التي تتمده من بلاد شهوان.

في بلاد قحطان نسخة أودية تقوم عليها قرى عامة هي أساس وادي تليلث،
وهي اعتباراً من الجنوب إلى الشمال كما يلي:
أولاً: وادي القصب: وأساسه واديان:

1 - وادي المجرم، وفيه قريتان:
(1) آل حازب
(2) آل حيان.

2 - وادي جناب، وفيه ثلاث قرى:
(1) آل سعد.
(2) آل الهمد.
(3) الزبرى.

ثانياً: وادي سرور: وتقع على أطراف القرى الآتية:

1) الحطة.
(2) آل حتى.
ثالثًا: راحة سنحان: وفيه من القرى:
(1) آل البروي.
(2) العتث.
(3) آل عمران.
(4) عيسة.
(5) آل البروي.
(6) آل الغوير.
(7) آل شماخ.
(8) النفيض.
رابعًا: راحة شريف: وفيه من القرى:
(1) الفضة.
(2) التروات.
(3) المنفلان.
(4) المونس.
(5) الحوت.
خامسًا: وادي المحرجة، وفيه قريتان:
(1) خيصر.
(2) المحرجة، وهي مركز هام للتجارة مع الين وعل الأخص تجارة البن.
سادسًا: وادي محللة، وفيه ثلاث قرى:
(1) البصة.
(2) آل صيرة.
(3) آل داود.
سادسًا: وادي يموع، وفيه من القرى:
(1) المقدة.
(2) آل الحمر.
(3) توزجر.
(4) أوه النقمة.
(5) آل مسفة.
(6) الباس.
(7) شارد.
(8) الكحولة.
رقصة الحرب "الدبكة" عند أهل نجران

وادي "ثليث"

قلعة بيشة
(9) آل سيف.
(10) الطبق.
(11) الحظيرة، وهي مقر ابن دايم.
(8) ناسا: وادي الوفيرة، وفيه من القرى:
(1) آل شريفة.
(3) آل طلحان.
(2) مقامر.
ثانياً: وادي الحظيرة، وفيه من القرى:
(1) الحظيرة.
(3) الخضرا.
(2) دهبل.
(4) العفباس.
والأودية التي ذكرناها تعود إلى بطن «بني بشر» و«سنجان الحباب» و«شريف» من قحطان. أما «عيبة» و«رفيدة» فإن أوديتها تتجه إلى ناحية بلاد شهريان وتثبت، ولذا فإنا - عدا ما ذكرناه - نذكر فيها بلياً أهم الأودية التي ترفد وادي تثليث.
يذكر أن وادي تثليث كان ملكاً لمورو بن معد كرب، ولكنى أرجح أن يكون عمر قد ملك أوسط الوادي الذي تقوم عليه في زماننا الحاضر قري وهجر لبعض عبيدة من قحطان، أما أن يكون ملك الوادي من منبعه إلى مصبه فذلك ما استبعده.
طلبت من مترك بن شفاوية شيخ عبيدة أن يصف لي الوادي، متبناً في ذلك
مجرة من عاشه إلى مصبه، فوصفه لي على النحو الآتي:
غلو تثليث في الخواصي أي المنقوعات التي عند سنجان والخرجة وبلاد شريف، ويحول منها تنجها إلى النحل حتى يصل بعد مسيرة يوم للطية إلى «المواه» وهو المكان الذي تبتزه طريق السيارات الذاهبة إلى «الخصينية» في أسفل وادي حبونة في طريقها إلى حفران، ثم يمتد من «المواه» إلى مسيرة نصف يوم للطية حتى يبلغ «الخصينا» وهي قرية في بطن تثليث تختص «آل مسفر» من
الأل مساعد من آل الجمل من قحطان و من الخمسة ينتسب إلى الحفائر
 وهو ماء في البداية بينه وبين الخمسة ثلاث ساعات على مسيرة ساعة يصل إلى الفقارة وهي هجرة لا يعود من قحطان وفي هذا المكان يصب في الوادي سام سيرة عينيدة اسمية طراب الذي تجمع عليه هجرة السبيكة بلدة منتجة ابن شفبوط ويتوجه الوادي من هذا المكان إلى السكة الميقات وهي هجرة لآلسلم التامعين لابن عبد من قحطان ويجاور هذه الهجرة قرية أخرى لآل سويد التامعين لابن عبد من قحطان ثم ينحسر إلى بزق وهي على
مسافة نصف يوم أيضًا ثم إلى جينة على مسافة نصف يوم أيضًا ثم إلى مقها سمرة نصف يوم ثم ينحسر إلى أن ينحدر إلى أن يستقر بقرق المخملة الفصال بين
تلتيب ووادي الدواسر.

وقد فاض تلتيب عام 1337 (1918) في فلسطين عظيماً فكسر العرق الرملي
الذي يجري عند وادي الدواسر عند الخمسة ووطني على وادي الدواسر وجرف
كثيراً من بلاده وقد ذكر لي الأمير عبد الله بن معمر الذي كان أميراً على الدواسر
إذ ذلك أن السيل مكث أيامه كثيرة لا يمكن مغالبته ولذلك صلى المكان الذي
اخترقه السيل في العرق الرملي المكشر مفجر الخمسة.

وفيها على الأودية الرئيسية التي يمكن النهول بأنها ترتدي وادي تلتيب خلاف
الأودية المأثر ذكرها.

أولا: سام سيرة عينيدة من قحطان أو سام طريق وهو ليس بعيداً عن
وادي بيشة ابن سالم، ويمر بالسبيكة بلدة ابن شفبوط على بعد نحو كيلومتر من خمس
مشيط، ويتوجه منها إلى جانب ثم يلتقي بلتيب عند الفقارة بلدة ابن عبد
كبار.

ثانيا: سام الهيج وهو من أودية بنين عيناقة عند الخفائر، وترد
في الرقيق، ويلاقى تلتيب في الحفائر.
ثانيًا: وادي السبرق. وهو مجتمع ثلاثة أودية كبيرة:

1- وادي الشير المار ذو كر في الفصل الخامس بلاد خير من شهوان
2- وادي السليل المار ذو كر في وصف الطريق بين خير وتندحة
3- وادي خير نفسه.

وتجمع هذه الأودية الثلاثة عند بلدة خير ونصب في وادي «تفل» الذي
بجارض تلتثث وراء جاش.

رابعًا: سيل القاعة: ويطل من «عقدان» وهو ماء إلى الغرب من شعيب «طريب»
ويسر إلى بلدة اسمها «نيره» لقبيلة ناهز من شهوان كرم يلتقى سيل «الطريبة»
ثم يصب في طريب عند «الجيزة» فوق السبعة بمسيحة ساعة.

(4) - قرى حطان

ذكرنا في القبلة الثانية من هذا الفصل أسماء الأودية والقرى العائدة لبطون
سنجان وشرف من حطان، والآن نذكر أسماء قرى زفعة و«عميدة»
و «بني بشر». وعذراً في ذكرها، مع علمي بأن هذا البحث صاف، رغبي في
أن أجمع المرأة الأولى أسماء جميع الأودية والشبان والقرى في بلاد عسير وملحقاتها
وكي تكون مرجماً لطلائع المدققين.

أولا: قرى بطان رفيدة:

(1) - قرى لهذ الحلف: ونسبة أهاليها «لحاف»
(11) بني وهب
(12) آل علي
(13) آل لوط
(14) آل لبع
(15) الشعرب
(16) البحاء
(17) علامة
(18) العouncer
(19) السدر (السدر)
ب - قرى في لغ وتشت: (1) بلحى (5) المصياد
(2) آل أبي صبي (6) الضرور
(3) الخرجة (7) آل القفض
(4) الحرفان (8) آل خيش
(9) وادي حارث
(10) آل خزيم
(11) القرن
(12) المص

ج - قرى في لغ الجبل:
(1) الديبة
(2) الجمع
(3) آل بن حي
(4) المخوش
(5) المراغة
(6) الصفراء

د - قرى في لغ قيس:
(1) الجوف
(2) لزنة
(3) الدرس
(4) الحظيرة
(5) الربة

ه - قرى في لغ مستنصر:
(1) الدنجية
(2) الروغ
(3) بالمديد

و - قرى في لغ دُنْنِي:
(1) آل كأم
(2) آل برد
(3) آل ماهي
(4) المراغة
(5) آل سالم
(6) آل ماهر
(7) آل مدير

ز - قرى في لغ جارحة وخطاب:
(1) آل الشيخ
(2) الدر بين
(3) غفرة
(4) آل زهير
(5) القرحاء
(6) عراب
(7) السوق
(8) آل الداحس
(10) آل العظاب
(11) آل السواد
(12) آل نادر
(13) آل يمامة
(14) آل الحوف
(15) آل شوكة

ثانياً، قرية فخذ آل الصقر:

(1) الرعبة
(2) آل ثابت
(3) آل قرعة
(4) آل كنبة
(5) آل مهدي
(6) آل حبيل
(7) آل جبلة
(8) آل جبرة
(9) آل الشوف
(10) آل قريش
(11) آل قريش
(12) القضاش
(13) آل سليمان
(14) آل سليمان
(15) الرعبة
(16) آل ثابت

(1) الريدة الأبيض
(2) الهغام
(3) الزلبق
(4) القليمة
(5) الجلبة
(6) الدببة
(7) الجلبة
(8) الجلبة
(9) الجلبة
(10) الريدة الأبيض
(11) الهغام
(12) الزلبق
(13) القليمة
(14) الجلبة
(15) الريدة الأبيض
(16) الهغام
(17) الزلبق
(18) القليمة
(19) الجلبة

(1) سحبان
(2) البراء
(3) المجد
(4) الحصر
(5) الجلبة
(6) الرية
(7) الأشاعرة
(8) الورد
(9) الهجامة
(10) الرية

(1) آل عريدة
(2) آل مهروى
(3) آل مهروى
(4) آل مهروى
(5) آل مهروى
(6) آل مهروى
(7) آل مهروى
(8) آل مهروى
(9) آل مهروى

(1) الزيتون
(2) الزهوة
(3) الزهوة
(4) الزهوة
(5) الزهوة
(6) الزهوة
(7) الزهوة
(8) الزهوة
(9) الزهوة

(1) الزيتون
(2) الزهوة
(3) الزهوة
(4) الزهوة
(5) الزهوة

(1) الرهط
(2) الرهط
(3) الرهط
(4) الرهط
(5) الرهط
(6) الرهط

(5) عنترة
(6) عنترة
(7) عنترة
(8) عنترة
(9) عنترة
(10) عنترة
(11) عنترة
(12) عنترة
(13) عنترة
(14) عنترة
(15) عنترة

(6) آل مغرى
(7) آل مغرى
(8) آل مغرى
(9) آل مغرى
(10) آل مغرى
(11) آل مغرى
(12) آل مغرى
(13) آل مغرى
(14) آل مغرى
(15) آل مغرى
(7) آل دكيم (9) الصفاق
(8) آل مدنان (10) آل الحرد

(6) قرى فقد طريب والعرين:

1. الجرايّبع
2. الفرس
3. الحرامة
4. وهبة
5. رغوة
6. عفان
7. عفان
8. آل عفان
9. آل جابر
10. آل أبي نهار

ثالثًا: قرى بطن بني بشر:

1. المصرن
2. آل شياع
3. عثمان
4. شيريّة
5. عثمان
6. لهب
7. مثاب
8. الدروبة
9. مثاب
10. دارمة
11. فرحان
12. فرحان
13. الجمّة
14. آل شياع
15. عثمان
16. عثمان
17. عفان
18. عفان
19. عفان
20. عفان
21. عفان
22. عفان
23. الزاوية
24. النزاع
25. الفتح
26. ابناً من بني بشر
27. ابناً من بني بشر
28. ابناً من بني بشر
29. ابناً من بني بشر
30. المجاورة
31. الظلام
32. الزهرة
33. مهاب
34. هبة
35. مهاب
36. هبة
37. هبة
38. هبة
39. هبة
40. هبة
41. هبة
42. هبة
43. هبة
44. هبة
45. هبة
46. هبة
47. هبة
48. هبة
49. هبة
50. هبة
51. هبة
52. هبة
53. هبة
54. هبة
55. هبة
56. هبة
57. هبة
58. هبة
59. هبة
60. هبة
61. هبة
62. هبة
63. هبة
64. هبة
65. هبة
66. هبة
67. هبة
68. هبة
69. هبة
70. هبة
71. هبة
72. هبة
73. هبة
74. هبة
75. هبة
76. هبة
77. هبة
78. هبة
79. هبة
80. هبة
81. هبة
82. هبة
83. هبة
84. هبة
85. هبة
86. هبة
87. هبة
88. هبة
89. هبة
90. هبة
91. هبة
92. هبة
93. هبة
94. هبة
95. هبة
96. هبة
97. هبة
98. هبة
99. هبة
100. هبة

وينظر بعقل جلال أن أكثر الأسماء الواردة إنما هي في الواقع في أسماء فروع القبائل الساكنة في القرى نفسها، وهذا الاستعمال ناشئ عن نقل اسم القبيلة على اسم القرية نفسها.
لم يصل النادئ

رجال ألمع ورجال الحجر

ساب ألمع وأقسامها - قري ألمع وأوديتها - رجال الحجر - قبيلة بني شهر - فضاء معاي.

1 - نسب ألمع وأقسامها

تقطع بلاد ألمع إلى الشرق من بلاد قبيلة عسير، وتائجها في منطق السراة الغربي.

التي يسمها أهلها (الطور)، وأهل البلاد يسمون ألمع تهامة تغبير.

وقد غلب على ألمع تسميتها بجمال ألمع، مع أن (رجال)، إحدى البلدين الشهيرتين: (رجال) و (التميم) في هذه المنطقة، كما سذكرنا في موضعه.

أما القبيلة نفسها فهناك النخبة من كونها قبيلة (ألمع) أو أنها قبيلة (آل) مع (آل).

وتشابه ألمع إلى (أرد شنودة). ويعتبر جيرانهم بأنهم من بني قريطة

نظراً لتقامهم وكرة فسادهم وشرورتهم. وينبغي تحت لواء القبيلة الأصلية الأردنية،

فرقاء هما: (أهل صلب) و (بنو زيد) وأصلهم من بكر مثل أهل الدرب.

إلا أن هذا التمييز في الأصول فشل في المقاتلات والمصالح.

وتعد ديرة ألمع على سدود الطور الغربي مما يصاحب بلد عسير من جنوبها

إلى شمالها، والصقور بين البلدين كثير ومتينة. وألمع تابعة لصحراء ظما في هذه

الأيام، وقد كانت تابعة لها أيام سلطانها وغلبتها، وكانت أيام الحكومة العثمانية

(فاطمية) مرتبة بمركز (المتمرقة) في ألمع، وهي في وقتنا الحاضر قضاء تابع

لأمارة ألمع أيضا.

يفتقر أفراد ألمع عنخلاهم من عسير بعدة سفوح، ولكن حسابهم من

المحترمين بين قبائل تهامة وقلمائل عسير من حيث عاداتهم ولباسهم وتظهرهم.
أما من حيث قاماتهم فقد لاحظت أنه يغلب عليهم شكل القبائل اليمنية بقصر قاماتهم ومحاء أحساسهم وأشكال رؤوسهم ووجوههم. إلا أن فيهم ظاهرة غريبة جداً في لون العيون، فإن كثيراً منهم ذوي عيون خضراء مائلة إلى الزرقة. أما من ناحية الشكل الظاهر فإن ملابسهم لاشبه ملابس أهل عسير لاقى لونها ولا في تفاصيلها، بل هي خضراء دكناء تشوبهم شكلاً فذًا في بابه. ويهجمون قريبة من لجدة أهل عسير القاطنين سفوح الطور الغربية في قلبهم لبعض الحروف عن خارجها وفي تطقيح القاف والسكاف بما يشبه نطق الألمان واليونان للغاء أي بين الماء والشين.

ويبلغ غزوة أعلج 700 مجهد، وقد ضعف هذا العدد في الوقائع الأخيرة مع اليمين وكان في وسق القبيلة استبدل المجاهدين من وقت إلى آخر. وقد قدروا عدد سكانها بما لا يقل عن 30,000 ألف نسمة.

ويحيط بالقبيلة من جنوبها بنو شعبة أهل الدرب في وادي عتود، ومن شمالها آل موسى وبنو توبة من قبائل بارق ومحائل، ومن شرقيها عسير بأقسامها الأربعة ومن غربها قبائل المجاهدة وبن هلال وقنا وبحر سكينة.

وتقسم القبيلة إلى عشرة أقسام، غير أنها - حين الجهاد - تنصوُ تحت سبعة ألوية، والواقع أن بعض الفروع الصغيرة أرادت أن تفصل، لكنها داخلة ضمن الفروع الكبرى، وفيها يبل أسماء البطون مع ألقاها:

أولاً - بنوطقية: مركزهم الشميين، وهم أربعة فروع:

1. آل موهوب
2. فرع يسكن الشرفة
3. فرع يسكن الشميين
4. فرع يسكن سكان

ويضوي تحت هذا البطن خذ مستقل يعرف بفتح «أهل العوص».  

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرمية</th>
<th>بنوطلام</th>
<th>ألحازم</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>(1)</td>
<td>آل جميدة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(2)</td>
<td>الساعي</td>
<td>القاصلة</td>
</tr>
<tr>
<td>(3)</td>
<td>حليبا</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(4)</td>
<td>أهل ذنب النقر</td>
<td>عمق</td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td>أهل قرية رجال</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

ويتبع "بني ظالم" بطن يسمى "البّنما"، وفيه عشائر كثيرة، أهمها:
- (1) الحارث
- (2) آل海峡
- (3) آل الشهيرة
- (4) آل نقي
- (5) آل رقان
- (6) آل خضية

ثالثاً: بنوشحيب: وفيهم خذان:

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرمية</th>
<th>بنو عبد ومهم</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>(1)</td>
<td>آل السمح</td>
</tr>
<tr>
<td>(2)</td>
<td>زياد</td>
</tr>
<tr>
<td>(3)</td>
<td>رادة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرمية</th>
<th>بنوشيدة ومهم</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>(1)</td>
<td>الشعور</td>
</tr>
<tr>
<td>(2)</td>
<td>الصوافة</td>
</tr>
</tbody>
</table>

رابعاً: بنوقيس: وفيهم الألفاظ الآتية:

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرمية</th>
<th>آل المعاي</th>
<th>أهل الموار</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>(1)</td>
<td>آل الصدر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(2)</td>
<td>آل يليى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(3)</td>
<td>آل الجرعة</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

خامساً: بنوزيد ومنهم:

<table>
<thead>
<tr>
<th>الرمية</th>
<th>آل حيان</th>
<th>آل الرويس</th>
<th>آل الشحطة</th>
<th>آل النجمة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>(1)</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>(2)</td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
سادسًا: بنو حبيرة ومنهم:

1 - آل الملا
2 - آل جندهر
3 - آل الحجيج، وهم أربع عشر بني:
   (1) آل الحسين
   (2) آل عبيد
   (3) آل محلة
سابعًا: أهل صلب وفيهم:

1 - آل عفاف
2 - آل السروة
3 - جدة الحجرة
4 - آل الشمي
5 - معلين

ويطلق أهل هذه البلاد اسم «بكر» على بن زيد وأهل صلب، كما يطلق اسم بن تغلب علي بن شعبة، وربما كان هذا تشييًا لبكر وقلب لا بسبب حقيقة بين القبيلتين.

ويقيم بين قبيلة ألم في مقاول من السادة يعرفون بالسادة «الخفاظة» (وهم حفظي) في تقام القضاء، وفصلة القبيلة. وقد اطلعت على كرامتين مخطوتين من تأليف بعض قضاء الخفاظة اسم الأول: «الديوان الرضي» تأليف أحمد الحفظي.

واسم الآخر: «الظل المدود، في سيرة ملوك آل سعود».

وكلمة بحثت في تاريخ الحركة السلفية في تجت وبعدها على يد الإمام محمد بن سعود وشبيب الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي، وتاريخ فقد عصر وتهامه وغير ذلك من الأحداث.
2- قرى ألمع وأوديتها

بلاد ألمع مجموعة جبال ووديان. وأهم الوديان التي تقوم حولها القرى الهمة:

أربعة هي:

أولا: وادي حلي. يمر في بلاد ثلاثة بطول من ألمع. فلوه لبني قطبة. ووسطه لبني ظلم. وأسفله للنبا. وهو يطلع من الطور الأول السراة. ويصب في البحر الأحمر.

ويعود مسافة المصايف المساوية إلى ألمع. يعقوم، وتقع عليه القرى الآتية:

1) الموص (7) مقدر الموص (13) الحارث وهي أول قرى البنا.
2) الشث (8) ضاحية أول قرى بني ظلم (14) أهل تونمة
3) معيق معيق (9) الجبل (15) أهل سمي
4) الأتيم (10) ناميا (16) رتمان
5) الدثرة (11) الدثرة (17) دالام
6) المرجة (12) الفق.

ويتهي العمار عند ردام إلى مسافة مزدوجتين الفرملية حتى يصب الوادي في البحر.

ويعود في هذا الوادي أودية كثيرة أمهنها وادي الشميش.

وتقع عليه ثلاث قرى: عمة، والرديف، والحريرة.

ثانياً: وادي كان: عله لبني ظالم ووسطه لقيس وأسفله لبني جونة ومنتهء لأهل صلب. ينبع من جبل قوة، وتقع عليه القرى الآتية:

1) رجاء قرى مشهورة (5) رحي (9) الدرب لأهل صلب
2) البيح (6) العفارة (10) الحبيب
3) البنيلة وليس (7) الضيق (11) شط ميكة
4) القفا لبني جونة (8) محليّة
و بعد شط ميكة، يجري الوادي في الفتر إلى أن يدفع في البحر بقرب القطمة.

ثالثاً: وادي ريم، يلعب من جبل شحاب ويصب في كسان عند حدود أهل صلب، ويتفق الواديان ويصبان معاً في القطمة. وتقع على الوادى القرى الآتية:
(1) الصدارة (4) الباحة (6) ذو الصون
(2) شوحة (5) ضلاع (7) الأشل (3) عكبة.

رابعاً: وادي حسوة، وهو لقب بنى يزيد، ويطلع من الطور قريب العوصل، وينصب في درب بنى شعبة، أي في ملتقى وادي ضحل وادي عتود، وفيه من القرى:
(1) الصدر (4) الجبلة (7) التجود
(2) الدروة (5) الفننان (8) المراعفة
(3) الرصوب (6) هيمصة

فأما القرى الجبلية فكثيرة؛ ذكر منها فيا بى ما كان لكل بطن من بطن القبيلة على حدتها:

أ - قرى بنى ظلم:
(1) قوة (4) الضحي (6) أم لوان
(2) الرواح (7) القارية
(3) المدرقة

ب - قرى بنى نقطة:
(1) الشرفة (3) سالم
(2) محجان (4) شوكان

ج - قرى قيس:
(1) الفرة (3) القلة
(2) مركة (4) العرة
5- قرى جونة:
(1) المسمكة
(2) القارية
(3) مغارة الناقة
(4) الشبلة
(5) قرى الشرف.
(6) قرى صلب:
(1) المجرة
(2) المعين
(3) الشمي
(4) السكرى
(5) أهل السروة
(6) أهل عراف.
(7) أهل السروة.
و- قرى شليب:
(1) آل رداء
(2) آل زيد
(3) آل فقيل
(4) آل قوة
(5) آل رادة.
(6) غرة، وليس لها في الجبال قرى غيرها.
أما بنو زيد فليس لهم في الجبال قرى مطلقا.
وقد أخبرب لئ ويز بن غرارة عن كبار أن قوانين القبيلة تفضى بجماعا تقسيم:
1- أعمل الشام: وتتألف من بني ظام، وشلح، والبنا، وبني قطبة.
2- أعمل الين: وتتألف من قيس، وجونة، وصلب، وبني زيد.
(1) غرة، وليس لها في الجبال قرى غيرها.
(3) رجال الحجر
بطلق اسم "رجال الحجر" على ثلاث قبائل تقطن السروات الواقعة بين بلاد عسير وشيران جنوبا، وبلاد بنى شهر والقرن شمالا، وشيران شرقا، وقبائل مماليك وبارق غربا، والقبائل الثلاث هي: بالأحمر، بالأسود، وبنو عصرو وهم الذين يقول إن اسم "رجال الحجر" لا يشمل غير قبائل بالأحمر والأمر، وأن بنى عمر بيسون إلى الشلاوة وغيرهم.
أولاً — نبيلة بالأحر: أقرب القبائل إلى عسير، وتبدأ حدودها اعتباراً من عقبة شمار وبلاد بني مالك عسير إلى أن تنصل نبيلة بالأحر. وتقسم القبيلة إلى الأقسام الصغيرة الآتية:

1. الجيب (أهل لعبان)
2. النازلة (نعلاء)
3. آل الأصلح (أهل هبح)
4. آل القاسم (آل عزام)
5. آل الزيبان (آل يران)

ويتبعهم في تهامة فريق يسكن قريه «فنشاط» المأهولة في آخر ما يتبث إليه بصر الواقع في أعلى عقبة شمار إلى جهة مجرى الوادي على طريق «محلل».

وتسكن القبيلة قرى شبيهة بقرى عسير وعددها 12 قريه، عدا قريه «فنشاط» في تهامة، وهي:

1. عبل (آل عزّة)
2. آل مبارك (آل عزّة)
3. آل الدعويم (آل الضلع)
4. آل الشمالي (آل الزين)
5. آل عاصم (آل رشيد)
6. آل عصاة (آل مَرَق)
7. آل حسين (آل رافع)
8. آل عمر (المثبتة)
9. آل عباد (آل مراح)
10. آل خليد (آل الشاعر)
ثانياً - قبيلة بالأمر: كبير هذه القبيلة عبد الله بن علي بن حرومان، وديرتها إلى الشمال من ديرزة بالأمر، وفيها الأقسام الآتية:

1. ذبوب (4) بنو قاعد
2. آل خريم (5) أهل حوران
3. سدوان (6) أهل النيب

وأما قرى هذه القبيلة فهي:

1. بنو مالك (3) القواعد
2. آل الطير (امطر) (4) أهل حزم
3. أهل الفاحشة (5) القواعد
4. آل الشبين (6) أهل حزم

وفي نهامة فروع كثيرة تتبع "بالأمر"، وبعضهم يحسب أهل "فرشاط" منهم، غير أنها في الواقع تابعة لقبيلة بالأمر. أما الذين في نهامة من بالأمر فهم:

1. آل خلاد (14) آل خلاد
2. السوق (15) آل خلاد
3. دوبوب (16) آل أم غفف
4. غامرة (17) شعب
5. م醵ى (18) العلي
6. شبيبة (19) آل عمير
7. ع 피해 (20) الجزعة
8. الهفيرة (21) المطفئة
9. المسر (22) رحبي
10. الفرة (33) المشرق
11. مطرق (34) أسود
12. عينين (35) مطر
13. البطين (36) ريدان
14. مارد (37) مارد
15. أبو خشرة
ثالثًا — قبيلة بنى عمرو: تقع ديار هذه القبيلة إلى الشرق من ديار بالأهر وبالأخرو.

قبيلة بنى شهر

قبيلة بنى شهر من أهم القبائل العربية على السراة، وحدها من الشبال:
غامد وزهراجد بالقرن، ومن الجنوب: رجال الحجر، ومن الشرق: بيشة وشمرا، ومن الغرب: قبائل الفنذة. وكانت بلاد هذه القبيلة أيام الحكم السلوانية قضاء فيهم قلعة بالله ببلدة «النخاس» أكبر قرى القبيلة. وكانت القبيلة وقتًا ما تابعة للسيدة عبد الله بن الأشريبي، غير أنها كانت أقرب إلى مكة منها إلى صبيا أو أبها، وذلك بسبب أواصر النسب بينها وبين الأشريبي في مكة، ومنذ ذلك الحين، والحكومة الحالية أثبتت لإمارة عسير، سوأ القبائل السابق ذكرها فيها قرر من الكتب، وأنسابهم التي ذكرها في النزدة الآتية.

وقد اختفى في تقسم القبيلة ونقضها، فبعضهم يعتبرها أبي بعده القبائل الأخرى الذين قسمهم قسم بنى شهر إلى قسمين:

1 - سلامان، وينبع التنسب.

2 - بنو أثلة، وينبع الشبل.

ولكنه لم يبق طريقة معينة في إدخال الروؤف في هذه الأقسام، ولم يبق القسم الأول بالله، بل كان تقسمه على حسب التجربة. وقد أنهى هذا الترتيب الآن، وأعادت القسمين إلى ما كانت عليه من قبل تبعًا للعنوانات التي وردت القبيلة، والتي تقسم بقسمها إلى الأقسام الموضحة فيها بلي:

أولا: بطن شهيرة الأنين أو الكلاةة وتبنيه الأنى الآتية:

(1) بنو بكر
(2) بنو جيجر
(3) بنو يزيد
(4) آل بن رياح
وقد هذا البطن أتباع في تهامةهم: فخذ عقبس، فيه من المشاّر:
(1) أهل الحيد
(3) الحصنة
(2) آل عبيد
(4) آل عمّار

ثانيًا: بطن المواس، وتبنيه الأنواع الآلية:
(1) بنو مشهور
(4) آل سودة
(7) كنانة
(2) بالحسن
(5) مليح
(8) بن ولام
(3) آل بيش
(6) دحيم

وأتباع المواس في تهامةهم: أهل أرب، وصبيهم وأقساهم:
(1) آل يمد
(3) آل محروبة
(5) العصة
(2) آل يعلي
(4) آل عباشي

ثالثًا: بطن بالحارث أهل التميم، أو أهل وادي تَنْوَمَة، وفيه الأقسام الآلية:
(1) أهل تَنْوَمَة
(3) حيّبة
(5) آل الصمدي
(2) آل دحان
(4) الجاهاة
(6) الحسون

وقد هذا البطن في تهامة أتباع في نقص والمنظر بويَّرة؛ وأكثرهم منبدو الولَّج.

رابعًا: بطن بنى التيم، وفيه الأقسام الآلية:
(1) آل وليد
(3) آل زيدان
(2) آل لبعث
(4) خشم

وأتباعهم في تهامة:
(1) بنو خلد
(5) بن حسَّن
(2) بالجُعَّل
(6) آل شَغْيب
(3) بنو زهير
(7) آل حميت
(4) آل الأمَّلٰح
(8) المَّجَّرَدة
ولقبيلة فريقان آخرين يتبناها هما:
1- شهر الشام، وفيه ثلاثة أقسام:
(1) بنو ثابت، وقرائهم السروة
(2) بنو الأوس
(3) أهل القبل

ب- قبيلة ترقبان، ومهم بدو رحل مازالوا على القطرة يسكنون المنفوذ والسكوف، ولقتيلة بني شهر أسواق أسبوعية شهيرة، نذكر أهمها فيما يلي:
1- يوم السبت، سوق تنومة في قرية آل صفوان
2- يوم الأحد، سوق عبس
3- يوم الاثنين، سوق الجازة
4- يوم الثلاثاء، سوق الخنف في قرية العصابة
5- يوم الأربعاء، سوق شجيرة الأمين في السرو
6- يوم الخميس، سوق يحيى في قرية الخضراء
7- يوم الجمعة

أما قرى القبيلة تنقسم على المئات، مما يدل على غناها وأهميتها، وهي:
(1) التهام (2) منا (3) المركبة (4) آل ثابت
(5) السفوف (6) شعبية (7) النصاب (8) المن
(9) روك (10) الخفثير (11) الصمدة (12) مدرعة
(13) خشري (14) الوهدة (15) الحلفة (16) يفان
(17) آل عمر (18) آل حفص (19) ربع زراع (20) الوطا
(21) مالود علي (22) السوق (23) الميد (24) الصببات
(25) الفنان (26) البدن (27) القرعة (28) آل محل
five - cases of culprits

Cases of culprits include those who commit the act of usurpation, and those who are involved in the act of usurpation, and those who introduce the act of usurpation, and those who participate in the act of usurpation.
أ - قبيلة الرئش: ولها من القرى:
(1) أوم شتار
(2) الحاجة
(3) أم حصن
(4) شنين
(5) قرون الماء
(6) أم كدس
(7) معشى أم حضو

ب - قبيلة آل مشول: ويسمى بعضهم من الرئش. وفصولاً إفزاعاً بالبحث، ولها من القرى:
(1) حصن أم خيلة
(2) أم ظاهر
(3) المانخ

ج - قبيلة آل الدرب: وقراها:
(1) شرقيش
(2) مصبح
(3) الراهحة
(4) البعين أو أم بنين

د - قبيلة آل موسى: وقراها:
(1) بلدة محائل
(2) للشني
(3) أم صحف
(4) أم نصب
(5) مقبل
(6) محصن
(7) أم جريان

ه - قبيلة بنو غُمَيْر: وقراها:
(1) أم بطح
(2) أهل سامة
(3) آل غنية
(4) أهل البدلة
(5) أم مشيدة
(6) حسن بن شاطبة
(7) الشط أو أم مشط
القسم الثالث
نهران
الأفضل الأولان

نجران

موقع نجران - الأودية الشرقية - نجران في كتب العرب - النصرانية واليهودية الإسماعيلية - زعناية الكارمة - سكان نجران - قبائل البامية - قبائل اليمن المشهورة

1 - موقع نجران

نجران أحد الأودية الستة التي تصب مياه الأمطار المتضرة من السفوح الشرقية لسلسلة الجبال المتميزة من جنوب بلاد العرب إلى شمالها بعد دخولها في البلاد الممتلئة بهمّ ابن سعود والتي يسمى العرب جبال « السراة » أو « المجار » (1). ومع أن نجران ليس أهم الأودية الستة المشتركة إليها من حيث طوله والروافد التي تصب مياهها فيه والقرى والمزارع القائمة على جوانبه، فإن له شأنًا خاصًا من جهات كثيرة أخرى أهمها علاقته بتاريخ النصرانية واليهودية وجود آثار كثيرة ومبان قديمة يقول بعضهم إنها بقايا المدينة الواقعة ذكرها في القرآن باسم ( الأخدود ) . ولم تكن قد ذكرت الأودية الستة فإلى أرى من المناسب أن أذكر أسماءها والبلاد التي تنبع منها والتي تنتهي إليها مبدئًا من الجنوب إلى الشمال على وجه الترتيب .

2 - الأودية الشرقية

أولا - وادي نجران ، وهو منفصل عن الأودية الستة في بلاد الأمن يحيي جبال مرتقعة تشكل سطحين مائلين خط تقسيم المياه ، سطح جنوب تحتني مياهه إلى

(1) يضمهم اسم السلسلة ساق الغراب ، ويم بالآخرين يسمون السلسلة الغربية ساق الغراب والسلسلة الشرقية لها أسماء أخرى .
وادي الفرع وأصدر الذين ينتمون في بلاد الجوف في اليمن، وسطح شمال تتصن
مياهه إلى وادي مهران، إلا أن أكثر مياه الوادي تأتي من جهة الغرب لا من جهة
الجنوب. ومياه الأطار التي تأتي إلى وادي مهران من جهة الغرب تتجمع من السبيل
والروافد الكبيرة القادمة من بلاد قبيلة سحار وبعض قبائل بني جاتعة (وكتبناها ترجع
في أصولها إلى قبيلة خولان بن عاس)، وأما مجرى الوادي نفسه وأطرافه ومنتهائه
فإنم يملك لأحد فروع قبيلة هدان بن زيد العرونة بالصحي.

ثانياً - وادي حبونه (ويسميه جذافو العرب المتقدمون حبونه) ويعق إلى
الشمال من مهران، وتمفصل عنه هضاب شتي أكثرا مرتفع وفي أعلاه منبسط اسمه
الصحيح. والوادين سيران متوازين تقريبا، وهم أخذهم من الأخر في غالب تقاطعهما
مسافة 672 برج لاهجة، ومسمورة عند رمال المهل من ربع الخالب بعد هذه المسافة
أيضاً. ووادي حبونه أقل أهمية من مهران وأقل عرانيا وقوي بالرغم من أن هناك
أودية مشهورة تصب فيه، منها أودية بدر والخانق وهدادة والحرشف. وهو يبنى
المياه التي تجتاح إلى جهة الشرق تتمايل على القسم الشرقي من بلاد بني جامعة اليمانيين
كما أنه يصب في وادا من هدان والقسم الجنوبي من بلاد قبيلة قحطان. ويتنكر
ذكر ستة أودية مهمة في بلاد بني جامعة ووادى هدان وقحطان يصح اعتبارها أساساً
لواي حبونه وهم (1) وادي الحاجر ويرصب في هدانة (2) وادي قتام ويرصب مابين
عقبي الشبلة وعلي اللتين هما نقطة الحدود بين بلاد ابن سعود والإمام يحيى الفاضلة
بين حدود بني جامعة وسحاراثام وحدود وادعة (3) وادي العرين ويرصب في قرى
كثيرة منها طهران والجزعة (4) وادي الميل وينتهي إلى حبونه بعد أن يمر في
وادي القرن (5) وادي طلحة (6) وادي رشاد

ثالثاً - وادي تلثيث، وهو يغذي الأطار التي تتجه إلى جهة الشرق من بلاد
بطون قبيلة قحطان، كما أنه متبنا عدة أودية مهمة تتصن فيها من بلاد قبيلة شهران
صاحبة الوادي الرابع الذي سنذكره فيمايلي، وهذا الوادي أطول من الواديين
التقدمين وأكثر اعوجاجًا منها، وهو في أنجاه مختلف عنهما نواعًا لأنه منحرف إلى الشرق والشرقية والأودية التي تصب فيه كثيرة. نذكر أهمها وهي:
(1) الجماع
(2) جبوب
(3) سروج
(4) راحة سنحان
(5) راحة شريف
(6) وادي الحرجة
(7) وادي مسقير
(8) وادي يعوس
(9) وادي الوفرة
(10) طريق ملحم
(11) الهمج
(12) وادي المسير
وهو يتكون من ثلاثة أودية كبيرة في بلاد شهران: وادي الشطب ووادي السليل ووادي خبير، ويتوجه إلى وادي مين ثم تصب في تنفث
(13) وادي القذاعة. وينتهي وادي تنفث عند الرمال المروفة باسم الخادية بقرب وادي الدواسر. وقد فاض تنفث عام 1917 وكسر السد الرملي وطغنى على وادي الدواسر فأغرق قرى كبيرة بسبب شرارة عظيمة في الأرواح والأموال. ويمكن القول بأن مجرى الوادي وأطرافه محل لفروع قبيلة قحطان ما عدا المسير والقذاعة.

إذنها لشهران.

رابعة: وادي بيشة ووأطلول الأودية الستة وأعمها، ولهذا يقسمونه إلى ثلاثة أقسام يسمونها بيشة ابن سالم من قحطان وبيشة ابن مشيط وبيشة الوعل. وهو يصنف مياه الأمطار التي تصب إلى الشرق والشرقية من ديار ببني رفيق وعديدة من قطرات مقطعة ودير قبلة بشرف ودير شهران جدا ما يصب في تنفث من المسير والقذاعة وديار بالأنهر ونبد شر كان. أما الأودية الكبيرة التي تصب فيه فإنها نذكرها على وجه الاختصار لأن ذكرها كليا يستغرق من التفصيل ما لا يسمح النقل. بذكرها هنا:
(1) وادي تندحة
(2) وادي أبه الذي يكون أعمه في علوه حيث ينبع عند السقا مركز بني مفيد من عسير "خبيبة".
(3) وادي عقود
(4) وادي الحرة
(5) وادي هرجاب
(6) وادي تربة
(7) وادي تربة
(8) بطنية الحليب. ومنهم أن نذكر أن وادي بيشة ينبع في علوه من بلاد عردة ووريدة من قحطان عند مكان فيه آثار قديمة لبلاط خربة كانت مشهورة في السكان العربية باسم "جرب". وبعد أن يمر في بلاد ابن مشيط ينتعش به وادي تندحة، قدما
من ضفته الشمال ووادي عنتود وأبيها من جهة الغرب ووادي الحمراء الذي هو إلى الغرب والشمال من وادي أبها إلى أن يلتقي عند بلاد ابن هشبل فيصير اسم الوادي اعتباراً من هذا المكان وادي شهراين، ثم يظل هذا الاسم عليه إلى أن يصل إلى مزارع نسي واعر، وهي تعتبر أول وادي بيشة الذي هو الأصل فيطلق عليه «وادي بيشة» وهي تبعد عن الراشاد مركز بيشة أكثر من يمين للجبال الحمراء، ويمتد الوادي بعد قرى بيشة التي آخرها الخينية إلى أن يصل إلى منطقة الرمال فيضوية في الرمل المسمى رغوا عند مكان اسمه ظاعان.

خاصة - وادي ترينة، ومنبهة الأصل في بلاد نامد الواقعة إلى الشمال من بلاد بني شهر من موضوع اسمه تراب، وبعد أن يسوي ديار قبيلة غامد وبعض زهران ونابلوس وبني عمرو يبدأ المرازيب عند نخل اسمه الأطلس، بعد أن يسقي القرية الكثيرة الموجودة على أطرافها والتي آخرها من جهة مصب بلاطة العقيل إلى أن يصل إلى رغوا وينتهي عند هيئة المستحقي. ويفصل في هذا الوادي أودية فرعية كثيرة أهمها:

(1) غتان (2) الهجرة (3) قرة.

سادسا - وادي ترينة وأصل منبهه في دينون في دير زهران وينهال، ولكن أكثر مياهه تأتي من دير البقوم في حصن وأطرافه من حرة سبيع الواقعة إلى الشرق والجنوب من الخرماء، وينتهي الوادي في عرق سبيع الزمل عند الفصلية والعرق بعد سيره مسلحة للطريق في الخرماء، ويفصل وادي ترينة عن وادي رينة حرة سبيع المشهورة، ويفصل في وادي ترينة عدة آودية أهمها: (1) الهجرة (2) الباب (3) سمانات (4) الجوافة (5) الخرمانية (6) الضو (7) الجذبة (8) الظل وتميد والسراري.

3 - نجران في كتاب العرب

ورد ذكر نجران في كثير من الكتب العربية، غير أنه يزعم لي أن الذين كتبوا عنها في الأعوام القديمة إنما كتبوا ما نصوه كافل المتأخرين والفكر بين كتابة
السماح والمشاهدة عظيم، وأكثر المؤلفين من العرب يذكرون أن نجران خلاف من مخالفين يسمون أنه يقع بين صنعاء واللшеة (اللذين) ويذكر بعضهم أن اسم مشتق من اسم أحد حنيفة ينبع من يسوع، ويقلب على أنهم كانوا يشيرون إلى نجران كأنها علتهم كبيرة لأنهم يذكرون أن نجران وجرش مدينان هما دون صعدة إلى جهة مكة وأنهم متشابهان (ذكرت عن نجران أنها خربة وقد بقيت منها أطلال دارسة في علو وادي بيشة). وقد ذكر اسم إحدى قرى نجران المسالا بالأحد في القرآن الكريم في سورة الإبراح، وورد اسمه أيضاً في السيرة النبوية بمناسبة وفاة نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم ودخوله في الإسلام قبل وفاته. وورد ذكر أهل نجران بمناسبة أخرى أيضاً وهي حديث النبي عن مشاهدته لقت بن ساعدة الدابئ خطب العرب المشهور وقد كان قس أسقفًا لنجران قبل الهجرة. وقد كشف جوزيف هاليفي المستشرق الفرنسي مسند كثيرة نشأت على جدران القصور القديمة ونشرت في مجموعة النقوش السماوية، وأصبحت هذه المساند الجغرافية مصدرًا مهمًا بتاريخ نجران.

- النصرانية واليهودية في "نجران"

يذكر مؤرخو العرب ما استفاد منه أن النصرانية سبقت اليهودية في نجران وأن محاولة أحد ملوك اليمن الجميريين الذين هادوا أن برغم نصارى نجران على اعتناق اليهودية أدت إلى تدخل قياسرة الروم بواسطة الحبشة، وإلى قتل اليمن من قبل الأشخاص كما هو مضروب في الكتب العربية. وقد خلف السير إسرائيل هويز في كتابه "حياة محمد رفعت مؤرخ العرب في ذلك، ونقل الدكتور هويز في كتابه "قامت الإسناد" ما هذه خلاصة:

كان ذو نواس الجميري في أحد أسفاره إلى المدينة اعتنق الدائنة اليهودية، وحينها عاد إلى اليمن حاول نشرها فيه أيضًا. فلقي مقاومة عنيفة من أهل نجران الذين كانوا يدينون النصرانية، فجعل عليهم حبنا كبيراً وهم كشييئاً وقتل كثيراً منهم، وكان يحرف لهم خرفاً يفرقه فيها، ومعنى الحفيرة الأخدود وهو المصوحة بالآية السحرية الوردة.
في سورة البروج: «قل أصحاب الأخدود الخ.» وكان من أثر ذلك أن استنجد نصارى تجران بالقسطنطينية التي كانت حامية الدين المسيحي، فبعثت هذه إلى ملك الحبشة بنصرة نصارى تجران، وكان ما كان من استيلاء الأحباش على اليمن (عام 535 م) ونصر النصرانية فيه وشروعهم في هزيمة الحجاز للمكمّكة الملكية وإقامة كعبة أخرى مكانها في صنعاء يسميها العرب (القليس) ورما كانت مشرفة عن كلة أخرى.

ومن المعروف أن النبي، ولد في العام الذي غزى الأحباش مكة فيه. ولم يدم الملك الأحباش في اليمن، كما أن النصرانية ظلت في تجران إلى ظهور الإسلام، وظل في اليمن كثيرون من اليهود ومن العرب الذين داروا بالهودية إلى يمن هذا. وحينها انتشر الإسلام أوفد أهل تجران أسفاقهم ورؤساءهم إلى النبي وسلموه على أن يظلا على نصارىهم ويؤدوا الجزية، ولكن حينها قرر الخليفة عمر ألا يبقى في جزيرة العربدين آخر مع الإسلام صدر الأسر بإخراج من بصر منهم على النصرانية، ووعض على من خرج مالا مقابل أملاكه.

5 - الإسماعيلية في «تجران»

يتمدهد أهل تجران كما يتدمه البائر أبناء عمومتهم وابنائهم من قبلة لماليه الاسماعيل، وهو مذهب إحدى الفرق الشامية الباطنية في الإسلام، وأتباعه يعتبرون أمة سبعة من أهل البيت آخرهم محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ويعتبرون عن الاثنين عشرة بأن هؤلاء يقرون بإمامية إثني عشر إمام آخرهم محمد الحسن العسكري، ولا يتركون محمد بن إسماعيل؛ بل يقعون موسى الكاظم، والإسماعيلية بأنفسهم منقسمون إلى عدة فرق أهمها:

1 - فرقة الخواجة التي يتآسها أغاخان.

2 - فرقة الداوودية التي يتآسها طاهر سيف الدين من بومتاي.
3 - فرقة السليانية التي يترأسها الداعي المكرمي الذي له منصب في الهند

في بدر ان وهو تلميذ حسن أرده. أما كيفية دخول الإمامة في خلافة جيروان وساتورن فما لا استطاع الجزم به ولا تحدد وقت ميعین لحصوله. إلا أن الذي يترأى ل أن طبيعة الإمامة جعلتهم يميلون إلى خلافة جيروان من القبائل في الملقنات الدينية وفي المادات الاجتماعية.

ومع أن الإمامة بطل مهن من بطون همدان بن زيد فإنهم يختلفون عن مجاورتهم بأنهم عرفوا بمزاجهم. الأولى لاختلاف الذهب، والثانية كونهم من أشد القبائل شكوكية وقت الخروج ومعاداة الفاروق والفارقات، ولم تشن دعوة الإمامة في جيروان تصبح لها سببًا مدنيًا وقوة عسكرية حكومة. إلا منذ ثلاثة قرون ونصف قرن تقريبًا حينها قدم إلى جيروان الداعي الإمامة السعيد بن إسحاق المكرمي فارًا من بلدة «طيبة» التي تبعد عن مدينة صنعاء مسافة يضع ساعات إلى جهة الجنوب.

6 - زعامة المكارمة

كانت نقطة في ظل أن المكارمة من السادة العاديين إلى أن أقيمت لفرصة الاحتفال المكرر مع نائب المصوب عن الداعي ومسلم حسن بن أحمد، فأعلن أن المكارمة قطع في بني سليمان، وسأله سلالة نسبه إلى إبراهيم (حسن بن أحمد بن حسن ابن حسين بن علي بن حسين بن علي بن حسين بن أحمد بن محمد) وهذا أول من سكن بدير المكارمة. ابن الفهد بن صلاح بن داوود الناسر بن محمد بن عبد الله ابن مهرب بن مهرب بن حسن بن مكرم بن سبأ بن حمزة الأصغر بن المتنبي ابن مهرب بن علي بن صبيح بن حسين بن مكرم بن ملجم بن أبي بكر بن أمين بن الهندي بن حمزة الأكبر بن بكر بن بكر بن حمزة.

(1) ذكر ل المكرمي أن بلدة طيبة كانت تسمى في الزمان القديم دووم.
ورسّد على المكرّم حادّة قدرة محمد بن إسماعيل إلى بحران، كتب إلى خلافة وافية نقلها عن كتاب جامع لتاريخ أمّة الإسماعيليين ودعاتهم وأعمالهم في مدة الدعوة، ولكنك رفض أن يطلعني على أصل التاريخ الذي عنده مع أنه قدّم وتناقله الدعاء خلفاً عن سلف. وفعت أن سبب امتتانه عن اطلاعي عليه يعود إلى أن مافي عادلشون باليتية معحة، وقاعدة أهل الباطن في الإسلام المحافظة على أسرار معتقداتهم. وعند إطلاع الأجانب عنهم عليها.

كان المكارمة مقيمين في طيبة، ولكن الدعوة لم تنقل إليها إلا متأخرة.

فقد قرأت فيما كتب إلى المكرّم أساطير أو زعامة دعاة من المنون قاموا بأمر الدعوة في الهند وطريق من عام 974 إلى 1088 هجرياً. في ذلك، دارب بن جهيب الذي حصل بعد وفاته انفصال فرقة الداوودية عن الميتانية. وسرعان بن حسن بن هندي وجعفر بن سليان وعلى بن سليان، وحين وفاته هذا أوصى بالأمر لمجاهدة أحمد بن إبراهيم بن محمد بن النهاب (راجع سلسلة السب), ابن صالح المكرّم، فقام بالدعوة في بلدة طيبة مدة 44 سنة، وحين وفاته عده بها إلى حفيده محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، فحصل بينه وبين الزبود حرب غلب فيها فربر إلى القتال ومنها دعا إسماعيلو بحران ليكون بينهم، لم يحضر إلى بحران، وسكن في بلدة بناها وأسامة الجمة، وكليها الآن خراب.

ومع أن المكارمة غرباء عن بحران وليس لهم سلطة زمنية (لاسما إذا أخذنا بعين الاعتبار أن البابية مؤلفة من ثلاثة فروع لكل فرع رئيس زمني فوق) فإنهم نجحوا في أعمالهم وأصبحوا أصحاب الشأن في الأورالدينية والمكلمة وامتدت فروعهم إلى الأطراف المجاورة، ووصل بعضهم إلى تريم في حضرموت، وبعضهم إلى أواسط.

نجد أيام النزاع بين آل سعود وابن دواس وآل مسفر.

أما الذين ناقحوا من دعاء المكارمة في بحران فهم:

1) محمد بن إسماعيل توفي سنة 1139 ه
2) هبة بن إبراهيم توفي سنة 1160 ه
(3) إسماعيل بن هبة توفي سنة 1174 ه
(4) حسن بن هبة توفي سنة 1241 ه
(5) عبد العلي بن الحسن بن إسماعيل بن إبراهيم توفي سنة 1195 ه
(6) عبد الله بن علي بن هبة توفي سنة 1225 ه
(7) يوسف بن علي بن هبة توفي سنة 1324 ه
(8) حسين بن حسين بن علي بن هبة توفي سنة 1241 ه
(9) إسماعيل بن محمد بن حسين بن هبة توفي سنة 1256 ه
(10) حسين بن محمد بن حسين بن هبة توفي سنة 1262 ه
(11) حسين بن إسماعيل، وهو من آل شهاب ومن غير المكارمة توفي سنة 1289 ه
(12) أحمد بن إسماعيل بن محمد بن حسين بن هبة توفي سنة 1306 ه
(13) عبد الله بن علي توفي سنة 1323 ه
(14) علي بن هبة توفي سنة 1330 ه
(15) علي محسن بن حسين آل شهاب توفي سنة 1330 ه

وهو الداعي إلى الآن، وخلفته غلام حسين الذي له descendents وغيره حسين
ابن أحمد المكرمي، وجميع المكارمة الأحياء الموجودين في بدر وURRENT AND وشارة
في أين أربعة أخذاً، ويتجتمع في حدٍّ على اسم أحمد بن النهض المكرمي في سلسلة
النسب، وحسن بن أحمد المكرمي الخلفية المقبول يقول إن هذا اسمه آل ذي لجدين
دليلاً على أنه مكرمي أبا وأماً.

7- سكان «تيجوان»

يقطن تيجوان فرع من فروع قبيلة همدان بن زيد الفتحانية، كما أنه يوجد فيه
عدد قليل من الزعميين (اليهود) بعضهم من أصل يهودي وبعض الآخر من
العرب الذين اعتنقوا الديانة اليهودية، ويوجد فريق ثان من السكان ينسب من
الطبقات المنحدرة التي لا يعتنون العرب، ومكانته هذا الفريق أعلى من مكانة اليهود
وأحذ من مقام القبائلين. أما اليهود فإنهم قد علما بعد البحث الدقيق بواسطة زعماء السكان، أصحابهم لا يزيدون عن مائة عائلة منتشرة في قرى وادي نجران وحبونا وعمليهم في الصناعات التي يحبب العرب اليهود أنهم حبوب مثل الخلافة وسائر أشغال الجلد والخدة والسكرة وسائر الأعمال الصناعية. وليهود كاهن يقيم في الخلاف يبسيه الأهالي "الدعاية" وهم يستنون يوم السبت ويجمعون غالباً في بيت الكاهن ويقرعون بالعبرانية. واليهود متمتعون بحماية زعماء النامية الثلاثة وحماية السكان أيضاً. ويظهر أنهم مسرورون من معيشتهم، وهم يهودون الجزية سنة سنة، ويبلغ مقدارها ريلا واحداً عن البالغ ذكر أو أثنا. وذكر لي بعضهم أن أحد هؤلاء اليهود أغرى على السفير إلى فلسطين فأقام فيها مدة ثم عاد منها إلى قومه، فشل عن أسباب عودته، فقال: "وجدت معاملة المسلمين والناصرت وغير التي نشرها عنهم في بلادنا، وغيرها ما نصروه في كتبنا، ووجدت اليهود غير اليهود الذين نعلمهم، فقدت نفسي، وعدت إلى قومي".

6- قبائل اليامية

أما العرب القبائل أو اليامية فإنه ثلاثة بطول:

أولاً: بطن آل فأطة - كبيرها جابر بن حسن أبو ساق:

1) آل سلم (8) آل زمان (15) آل زين بدو

2) آل شرية (9) آل القفيلي (16) آل معجبة

3) آل مسعد (10) آل بشر (17) آل راكث

4) آل الخاضد (11) القشائين (18) آل فطح

5) آل سليم (12) الشركان في هداية (19) آل رشيد

6) آل ذيبان (13) المكابيل في حبوبة (20) آل فهاد

7) آل الزبايدن (14) آل مخلص بدو (21) آل العرجاء

...
حسين بن أحمد المكرى
النصوب الذي يخلف "الداعي" "الإسماعيلي" في حالة مومه
(27) آل سالم بدو، وحضّرهم في بدر وفي حبوقة
(28) آل فروان
(29) آل سفران
(30) آل بيد بدو في بدر
(31) آل عمرو بدو، وحضّرهم في بدر
(32) آل معمر بدو
(33) آل زائد حضر في حبوقة
(34) آل شرار حضر في بدر في عراق (يطلق عليهم آل أبو غبار).
(35) آل دكان حضر في بدر
(36) آل معيت حضر في بدر
(37) آل سعد حضر في حبوقة
(38) آل فائد
(39) آل الخرث
(40) آل الطويل
(41) ابن قنّة
(42) ابن حامد حضر في بدر.

نانياً: بطن آل أم واجد، كبارها ابن نصير آل المهری:
(1) وم ثلاثة أقسام آل غام وآل علي بن سعيد وآل حسن المحمد وابن الحزو بر يسكنون بدر.
(2) آل الحارث وفيهم آل بحرى - آل الحارث في بدر - وآل بحرى في حبوقة.
(3) ابن الحزو بر (4) آل عامر (5) الدولان.
(6) آل بنيان
(7) المطازة
(8) آل علي بن عامر
(9) آل صليع بدو وحضورهم في حبونه
(10) الخضرا في حبونه
(11) آل هضيم في حبونه
(12) آل يحيى في نجران
(13) آل عيسى في نجران
(14) وادعة في نجران
(15) آل قريب بدو وحضورهم في حبونه
(16) الهبسان
(17) آل رزق
(18) آل علي بن الأحسن في نجران وحبونه حضر

ثالثاً: بطن أدهم «أجشم» وكثيراً سلطان بن منيف:
(1) آل مقاتل، ومنهم بنو منيف في نجران
(2) آل حرت في نجران
(3) زبيد في نجران
(4) آل أبو زيداء
(5) آل منصور
(6) آل سليمان وفائم آل بدر، آل مطيف والحسان، آل كبيب، آل مطارد
وآل خطاب، آل سنان، آل جريدة والدوس، في نجران
(7) آل حسن، في نجران
(8) ابن سليمان وهم، آل هتيلة بن علي آل مشرف، آل حابس، آل سوران
وآل حوران، في نجران
(9) أبا الحارث في نجران
(10) الصقر
(11) آل جعفر في نجران، وينقل لهم آل جبير
(12) آل ربيعة في نجران
(13) آل مصعب في نجران
ال💃 في نجران (15) الأشراف في نجران هجرة آل الهندى
(16) آل جعرا في نجران في بدر
(17) آل الهندى، وقد ورد ذكرهم بصفة متفرقة، ولكهم كما يأتي:
آل حسن وآل سليمان و PhoneNumber هذه والآخرين وآل منصور وآل مقاتل وآل حرب.
وآل أبو زيدة وآل جبر الرينة والأشراف هجرة آل الهمران وآل جبر.
ومناليمة بدون يتبعون الأقسام السابقة، وبعضهم ليس فيها:
أولاً:
(1) جامعتي ذيب المهمان (من آل فطح)
(2) جامعتي أبو نجاب (من آل قرطبة)
(3) جامعتي حسن بن سلامة بن آل موقدة
(4) جامعتي عبد الله بن آل مطليق وآل خضص.
(5) جامعتي علي الرشيد وآل الزعيم الرشيد
(6) جامعتي صلاح بن سفيان من آل عمرو
(7) جامعتي إبراهيم الأسراوي من آل عامر بن نصيب
(8) عوض بن حاطيب من آل فروان
(9) معاشر آل سالم من آل سالم
(10) صالح بن حيد آل لبيد من آل لبيد
(11) جابر بن دكان بن يم بن نصيب
ثانياً: آل أم واجد وكثيرهم من نصيب وأكثرهم في حبوبة وهم في حجرة نمالي.
(ثاني) أدمم أو أجميرم وكثيرهم سلطان بن مصطفى وهم في نجران 19 قري كبيرة
(ثالث) قبائل الهم من الشهيرة ونسبة اليامة إلى همام بن زيد
علمت من الكبار من الثقاف أن القبائل العربية التي تقطن جبال اليمن
الواقعية إلى الشمال من صنعاء حتى حدود بلاد ابن سعود ترجع أصلها إلى أصيلين كبيرين ويجدهما من شمالهما قبائل عربية سعودية تتراوح من أصل آخر سأذكره أيضا. أما الأصليان فهما: أولا همدان بن زيد، والثاني: خولان بن عامر، والأصل الذي يتجاوزهما من شمالهما هو قحطان بن عامر (ور بما كان ابن عمرو). أما قبيلة همدان بن زيد فإنها تنقسم إلى قسمين كبيرين (1) حاشد وهو أفر بها إلى صنعاء، (2) بكيل، وتقسم بكيل إلى عدة أقسام أذكرها فيما يلي:

أولا - دهم، وتتألف من فرقتين: ذوي محمد ذو حسن، وهم رأس بكيل.
ثانيا - سفيان أهل الحرف. ثالثا - أرحب. رابعا - وائلة وأهل الفرع.
خامسا - اليامية، وهي أهل يجران وجديدة وأم سوية والعجمان في نجد.
سادسا - وادعة التي تقيم في بلاد ظهوان.

وأما قبيلة خولان بن عامر فإنها تقيم في السوروات إلى جهات الغرب من أقسام وفروع بكيل. وخلولان ثلاثة مركز رئيسي في الإدارة، الأول: مركز رازح، والثاني: مركز ساكين، والثالث: مركز صعدة.

أوهم أم أقسام خولان فإنها كما يأتي:

أولا - قبيلة سحار، وهي في صعدة وأطرافها في بلاد الصعيد المجاور لصعدة.

وهي قرية واحدة منفصلة عن قبيلة سحار بواسطة بني جامعه وهي أقرب القرى البابية إلى حدود الملك ابن سعود واسمها (بيادة) قرية ابن صبحان. ثانيا - قبيلة بني جامعه وهي في بيلة بقام وأطرافها. ثالثا - قبائل رازح والنظر. رابعا - قبائل بني مشيّد وبنى منه خامسا - قبائل فيه وبنى مالك وبنى عبد الله التابعون لابن سعود.

ويتفهم ما ذكرنا أنهما أن اليامية أقارب في نجد في اليمن على السواء.
لفصل الثاني
جغرافية يجران

صفة الوادي — الادى — قرى وادي حبونة — مراكز المكارمة — أسواق يجران
الطرق الوصلة إلى يجران — الآثار القديمة — الخاصلات — المسافات

1 — صفة الوادي

يقع يجران في منبسط من الأرض السهلة المرتفعة التي يحترقها في وسطها مجرى الوادي المعروف بوادي يجران من أعلاه إلى أسفله حيث يغور في رمال الربع الخالي. ويحيط بنجران من الجنوب والشمال سلسلتان من الجبال والهضاب، تفصل السلسلة الجنوبية بينه وبين بلاد الفرع ووالة، وهي متفرعة من جبال السراة المرتفعة متجهة من الغرب إلى الشرق، ويقل ارتفاعها كما أتجهت إلى الشرق إلى أن تنور في رمال الربع الخالي. وأهم جبال هذه السلسلة جبل همدان وهو مرتفع عن سائر أقسام السلسلة التي تسمى باسم جبال يجران. وأكثر مواقع هذه السلسلة صعوبة المرتفع بحيث يكون الاجتياز من يجران بواستنادها مستعماً جدًا إلا في مواقع معينة فيها يجورات تعرف بالمقبات أهمها عقبة (نهوقة) التي تبعد عن بلدة الحصن مسافة تضع ساعات إلى جهة الجنوب. وما السلسلة الشمالية فهي أقل ارتفاعًا من جبال يجران وفي سطوحها مرتفعات منبسطة تصلح لرى المواشي، وذلك سماها أهلها (الصحن) ومع أن طرقاً كثيرة تنتخل هذه السلسلة فإن السافر ما بين حبونة وجران يختارها في مواقع معينة ستأتي على ذكرها حين البحث في الطرق الوصلة إلى يجران و هذه السلسلة تفصل كما ذكرنا بين يجران وحبونة وتغور في الرمال قبل أن ينتهي الواديان في منقرما في الرمال الكثيفة.
أما من جهة الشرق فإن نجران متصل بعض بلاد وئالة وهي قريباً ناقة ووعار، ووادي نشأ دائرة عقبة ومعطية تتعدد منها السبيل المتجمدة من بلاد سحار في الصعيد بقرب صعدة، وتوافر هذه السيل الجمر الأعلى لوادي نجران. ويكون لوادي نجران أسماء أخرى قبل قطره المضيف المعروف باسم مضيق مروان ولعبة المروفة بعبة رفادة، ولكن اسم نجران لا يطلق عليه إلا من بعد اجتيازه للعبة والمضيق.

ويتصل نجران من الشمال الغربي بأعلى وادي حبوبه المسمى بالقرن والخانق. ولأولى القرى السوية في علو وادي نجران بعد تشكيله من مضيق مروان وراعة رفادة قمة تعرف بالمروفية أو قرية ابن الزين، وهي تبعد عن صعدة مسيرة يومين جاملاً الحجل إلى جهة الشرق.

وقد شيدت القرى على أطراف بحر الوداي من بعد الموفية إلى أن يستعرض الوادي وتتبتض الأراض الموجودة على ضفته، وتتبتض الشقة بين سلسلة الجبال الشرقية والجنوبية. وبعد أن يستقر الوادي أربع قرآيا تصبح وضية القرى من بعد ذلك مختلفة، بحيث يمكن حساب أن القرى واقعة على الضفة العليا (الجنوبية) للواي وعلى الضفة اليسرى (الشمالية). والقرآن التي على الضفة العليا أقل من القرى التي على الضفة اليسرى، فالوايد يبلغ عشر قرآيا، ولكنه الثاني تزيد عن العشرين. ويبلغ طول الوادي من علوه عند قرى الموفية إلى المنتهاء وراء قرآيا المذنب المعروفة بلاد ابن منجم أكثر من يوم سائر المستعبدين، ويتم بعد ذلك مسافة يوم آخر في موضع خالية من المياه إلا لأق موضعين أو ثلاثة فيها آبار يستبقي منها الرعاة إلى أن ينتهي بحر الوداي عند عرف مملع اسمه عرف الله، بقرب المقع، أي ما يتبني فيه فضائل سيول الوادي بين الرمال الكثيفة.

أما ارتفاع نجران عن سطح البحر فإن لم أستطع تحقيقه، غير أنني قياساً على ما علمناه من أن بلاد نجران هي بلاد البحر والنخيل وعلى ما استنكره بنفسه من أن بلاد عسير لا يعيش فيها النخيل لشدة البرد أيام الشتاء، ينام هو يعيش بنجاح.
في بلاد خيبر التي ترتفع عن سطح البحر 8000 قدم، فإنني أحسب أن ارتفاع علو نجراى مثل ارتفاع خيبر.

٢ - القرى العاملة

يبلغ عدد القرى الكبيرة والصغيرة في وادي نجراى نحوًا منخم وثلاثين قرية. سائر القرى تأتي مبتدئًا بها حسب ترتيبها من أعلى الوادي متوجًا إلى جهة مصبه. وقبل سردم أسماء القرى هذه أحب أن أبين أن عدد البيوت التي ذكرتها إلى جانب اسم كل قرية يقدره البيوت الكبيرة التي نسما حصنًا، وهي نوع من البناء على أطرافه سور مرتفع لا يمكن الدخول منه إلى وسطه، أو إلى البناء المرتفع إلا من باب صغير محكم، ويقدم البرج عليه فلا يستطيع الدخول إلا من هو مأذون له. وأما البيوت الصغيرة والقليقة فلا تدخل في حسابنا هذا. وأنا أتمنى أن أهل نجراى يلبسوا عليهم نسبية القرى باسم العائلات التي تملكها وتنسبها «وطن» أو «حلة».

أولاً: القرى التي في مجرى الوادي قبل أن يستعرض:
١) قرية الموجهة، وهي حلتان لابن الزين وابن الحزوب، ويبلغ عدد حصولها ٠٠ - ١٢ حصناً.
(٢) زور وادعة ٤٠ - ٥٠ حصناً.
(٣) الخلاف الأعلى، وهو عدد حل لآل فرحان وآل قضيع وآل الحزوب، وتبلغ ٤٠ - ٥٠ حصناً.
(٤) زور آل الحارث، وهي عدد حل لآل عسكر وآل خديش واندومان، وتبلغ ٥٠ - ٦٠ حصناً.

ثانياً: القرى التي يمكن عددها على الضفة اليمنى للجري الوادي «الجنوبية»:
١) الصفا ٨ بيوت.
(٢) ساري ١٠ - ١٠ بيتاً.
(3) قرية آل عقيل، وهي ثلاث حلّ: سهلة، وأم در بين، وأآل عقيل، وعدد بيوتها 20 - 30 بيتاً.

(4) الخضن، وهي قرية كبيرة، وتألف من عدة حلّ آله آلل حيدر وآل عباس، ويتكل إن أكثر أهلها من وائلة، وعدد بيوتها 100 بيت

(5) الجريجة، بلاد آل حسن 100 بيت

(6) القابل 100 بيت (آثار الكنيسة في القابل).

(7) رحلة، بلاد آل منصور. بين قرية القابل ورحلة آل منصور بعيداً عنها وعن جزيرة الوادي إلى جهة الجنوب في طرف النخيل على الطريق الدابهة إلى عقبة نهوة، بقربه آثار خراب كبيرة يسمى بها أهل بحران باسم الخصن، أو حصن الأخدود، وفيه آثار مهدومة. وآثار كنائسة، وكثيراً ما يجدون بين أطلالها عادات قديمة وعلى حجارتها بعض الكتابة القديمة أيضاً. ويدعي أهل بحران أن هذا المكان هو مكان الكنيسة المشهورة التي كانت تابعة لأسقفية بحران، ومن بعد هذا المكان يقل العمران وتكبر المزارع والمياه فقط مثل الحصين والروخة والدريب.

ثالثاً: قرى البضفة البسريّة (الشمالية) :

(1) شعب آل بران 30 بيتاً

(2) الممارة 30 بيتاً

(3) الشبة 20 بيتاً

(4) الخشاء 6 بيوت

(5) المقرأ 10 بيوت

(6) خشيوة وهي بلدة أنشئها حسين المكرمي منذ 35 سنة 3 بيوت

(7) باطن بني سليمان 100 بيت.
(9) الحبصة، وهي بلاد الأشراف فيها أربع خلل 30 - 40 بيتاً
(10) البئرية 4 بيوت
(11) دحشة 40 بيتاً
(12) بوغبار 20 بيتاً
(13) طزة 4 بيوت
(14) غنية 5 بيوت
(15) عكم 40 بيتاً
(16) عوكلة 40 بيتاً
(17) الحامية 4 بيوت
(18) صاجر بلاد ابو ساق 100 بيت
(19) بير الأبلة 5 بيوت
(20) الخلاف الأسفنج 40 بيتاً
(21) الحزم أو المذهب بلاد ابن منجع 15 بيتاً

وبلاد المذهب آخر العمران من جهة الشرق في نجران، و بعدها تأتي آبار وعيون
دامة وأثار خرية منها العربية والخضراء إلى أن ينتهي مجرى الوادي ويغمر في الرمال.
والقرى التي تقع ابن نجيب تهم : زور وادعة وسلوى والصفا والحصن وزوراً للفحر
وسهيب آل بدر والشبان، والقرى التي تقع ابن منجع هم : مسمن والحبصة والجربة.
و بلاد آل بالحمر والقابل ورجلة، وقرى الباطنية تابعة لجابر بن حسين أبو ساق.

- قرى وادي حبونة

(1) الفرن بيوتها 30 ألبنة بيوتها 4
(2) آل قنة بيوتها 20
(3) آل دواب
(4) آل سعد « 20
(5) الشبهاء
(6) ابن جمعه « 10
4 - مراكز المكارمة

المكارمة عدة مراكز في نجران وبلد يام، وقد كان زوال الداعي المكروي الأول حوالي عام 1965 حين قدوه إلى نجران في مكان اسمه الجمة، وهو الآن خراب. والبلدة الدينية للمكارمة والإسمايلية في نجران هي بلدة العان، وكذلك بلدة بدرفانها مركز ديني مهم، ولم علاوة على ذلك ثلاث قرى هي خشوهية، وقد كانت خرية مثيرًا آثارها القديمة للنصوب الحالي حسين بن أحمد عام 1376 هـ، وقرينا هدادة وسهلة للمكارمة أيضًا.

5 - أسواق "نجران"

لكافة القبائل العربية عادات قديمة في إقامة أسواق أسبوعية في مواقع شتى من البلاد المتجاورة، وكثيراً ما يطلق على المكان اسم اليوم الذي يقع فيه السوق، ولذلك فإنه من المعطى جداً أن نجد بلدانًا كثيرة كل واحدة منها اسمه "سوق الجمعة" أو "الجمعة"، أو "يوم آخر من أيام الأسبوع"، والسوق معظم أسبوعي لأن تبادل السلع والحاصلات الصناعية والتجارية، ومع أنه قد توجد مخازن للبيع والشراء الدائم في مواقع مختلفة من القرى الكبيرة، إلا أن الأهمية هي ليومن السوق حيث تقضى الأمور والدعوات وتحل النزاعات وتراجع هيئة الحكومة وتتبع الرسوم الحكومية، وتبلغ الإعلانات العامة على الجلة فإن السوق يوم عام للنظر في جميع حاجات
أصحاب البلاد المجاورة المادية والمتنوعة من مشتري السلع وتبادلها إلى مشتري الحيوانات.

إلى حل القضايا وراجعة الحكومة، إلى عقد الخطب للزواج وغير ذلك.

وعادات أهل السوق أن يكونوا آمنين ما زالوا فيه، ويكون الدخول إليه في وجه زعم من الزعماء الذين قد نسي الموظف بأخيه، مثل سوق خمس ومشيط فإنه يعتقد في بلدة اسمها الدرب من القرى والكثير الواقعة في غورود، وبلدتها تسمى باسم حاكم المكان وزعيمه ابن مشيط، ونظراً لأنه ورد في serializers فقد سمى المكان سوق الخمس.

أما تجارته في عدة أسواق نذكرها كلاً كأنى:

1) سوق الأحد في دحضة بحماية ابن منيف.
2) سوق الاثنين في بنين سلمان.
3) سوق الثلاثاء في بدر بحماية أبو ساق.
4) سوق الأربعاء في قرب البلد بحماية ابن نصير.
5) سوق الخميس في القابل بحماية ابن منيف.
6) سوق الجمعة في صغار بحماية أبو ساق أولا.

6 - الطرق الموصلة إلى "خبران":

الطرق الموصلة إلى تجار من جهات الشمال الغربي والجنوب وشمال شرق. وأما من جهة الشرق فإن الرمال الفضفاض لا能使 سبيل الطرق معلومة مطروفة. هذه أهم الطرق المشتركة إليها:

أولاً: طريق السيارات من خمس مشيط إلى تجار بطريق وادي تلثيث.

وهبونة ثم تجار معينة بالسكلومترات.

كملتر

49 من خمس مشيط إلى وادي طريب.
70 من طريب إلى السبحة (بدر ابن شلال).
59 من السبحة إلى زعوان (في وادي تلثيث).
كيلومتر
41
من نثبت إلى المواء
209
من المواء إلى الحصنية في أسفل وادي حبونة.
47
من الحصنية إلى نجران عند الروضة في أسفل وادي نجران.
[ملاحظة: مسافة السبعة والأربعة الكيلومترات الأخيرة تدل على البعد بين مجرى وادي حبونة ونجران]

ثانيًا: طريق المشاة وجمال الجمل من خمس مشيط إلى نجران، وهو طريق بسيط نوعًا ما، وتقدير السير فيه بحساب المشاة أو سير الجمال الجملة. ونهر المشي المذكور هو مرحلة متوسطة أي من 35 - 50 كيلومترًا بحساب السير المتوسط:

المسافة باليوم
1
من خمس مشيط في اتباع مجرى وادي بيشة إلى جهة علوه إلى جهة الجنوب الشرقي مازاً. بلاد رفيدة "قرية الجوفي" ثم قرية غصير إلى بلاد ابن سالم في قرية يمد فيها السوق يوم الخميس وتمي خمس عبيدة وليست هذا.

المسير صباحًا من خمس عبيدة مازا في قريات وادي الحصنية ثم قرية وادي الفرحة ثم قرية أبو قرة في وادي شربة إلى أن يحين المساء فيننزل في بلدة أبو لعئة "ابن ديم" في أسفل وادي يعرض. المسير صباحًا من بلاد أبو لعئة مازاً في مجمع الفيض إلى بلاد مجمع سمحان.

1
من سمحان إلى بلدة بدر، ولا يوجد بينهما قرآيا.

1
من بدر إلى قريات وادي الخضضة، ومنها إلى الخانق الذي هو أعلى بلد في وادي حبونة.

1
من الخانق إلى بلاد آل سعد في وادي حبونة متجمعا من النوب إلى الشرق إلى قرية آل قلاد، ثم إلى الجلفة، ثم مجرى آل بحراء، ثم بلاد بني هียม والمبيت في الشطين التي هي قريتان قابلان ينفصل من خط الخضرموتية وهي حد العيان في أسفل وادي حبونة من جهة الشرق.
المسافات بالميلوم

المشي صباحًا من شط الخضرة والقليل في ساوير وهي بئر في أسفل وادي حبونة والمسي في جداء وهو ماء في فقرة في أسفل وادي حبونة.

المسي من جداء والمسي في رلام وهو بئر ومن رلام إلى بلاد ابن منجم في أسفل نجران ساعات قصيرة.

ثالثاً: الطريق من خميس مشيط إلى نجران، وهو أقصر من سابقه، والمافة مدونة بالأيام على حسب السير المعتدل.

المسافة بالميلوم

1. من الخميس إلى الفربع.
2. من الفربع إلى قرية آل بسام في وادي الخميسينة.
3. من آل بسام إلى الرفصة في بلاد سنحان.
4. من سنحان إلى بدر «عند الظهر» ومنها إلى المجزعة.
5. من المجزعة إلى الخانق «عند الظهر» ومنها إلى الجفة.
6. من جفة يترك رادي حبونة على يساره ويجتز عقبة حلاحلة التي تفصل وادي حبونة عن نجران والمسي في عش الضحي.
7. من عش الضحي إلى الرلام عند الظهر، ومن الرلام يمسى في الخلف الأسفل في نجران.

رابعاً: الطريق من أبها هي نفس الطريق من خميس مشيط، ما عدا المرحلة الأولى فإن السائر من أبها إما أن يحضر إلى الخميس وإما إلى حجة الواقعة في منتصف المسافة بين أبها والخميس، ومنها إلى بلاد عبيدة، ومن بلاد عبيدة تتحدان.

خامساً: الطريق من صعدة إلى الموهجة في علو نجران تستغرق يومين، وهي تمتد من الموهجة غربًا إلى أن تجتاز عقبة رفادة ثم مضيف مروان، ومنها إلى رهوان إلى القرب من واد وقعة ومن رهوان التي هي أول قرية سمح يصل إلى أول بلاد الصميم المحيط بصعدة.
سادسًا: الطريق من مطرح إلى بلاد الفربع ووائلة يكون من بلدة الخضنة ومنها إلى عقبة نبوهة، والمسافة بضع ساعات أخرى، فالمسافة بين بلاد الفربع ووائلة وطرح لنزيد عن يوم واحد.

7 - الآثار القديمة

أخيري المكرمي أنه حينًا أسر قريته الجديدة خشية منذ 12 سنة اختار لها موعدًا قديمًا خربًا عم أن فيه بقايا آثار دامرة فأصلحها وجعلها غزيرة. ولأني لدى مواقع كثيرة في جيران فيها آثار خراب قديمة وأثار دامرة. وذكرني أن أهل جيران يذكرون أن أحمر القرون من بلادهم يبلغ نصف ما كان في الزمان القديم وأطلق من ذلك بقية. ولهذا مواقع شتى وجدوا فيها آثار خراب وأثار عناية ذهبية وتماثيل صغيرة مدنية كانوا يأخذونها ويبيعونها في صعدة، وتوجد أماكن فيها حجارة عليها كتابة قديمة لا بلون ماهي. أما المواقع المهملة فإنها في بلدة الخضنة وفي المكان الذي يسموها بقصر الأخدود بين القابل ورجلة كما ذكرت آننا وقرب الخلاف الأعلى والأسفل، ولكن لا يمكن أن نزيد على ذلك من المعلومات شيئاً. وهو يؤكد أن خرابات الأخدود تعود إلى آثار قديمة عديمة النظرية وإما تحتاج إلى بحوث ونقضية.

8 - الحاصلات

أمي الحيوانات الداجنة في جيران الفرم والجمال، وبهذا الاعتبار مختلف عن بلاد عسير والدين الجبلية فإن الحال فيها ممدوحة. ولهذا الاعتبار أيضًا يمكن بعد جيران مماثلة في الحيوانات لبجع. وأما النباتات فإن الاعتبار على البر والشجر والقرد والدخيل، وروى الحاصلات بالبياء التي تستخرج من الآثار بالسواك البشري للمستحالة في سائر بلاد العرب.

ذكرت أنه ليس للدعا المكرمي سلطة زمنية على أتباعه، ولذلك فإنه يعيش من الورادات التي يتبرعون له بها، وهي على كل حال ليست كل ما يجي من أهل جيران.
(لأن قضاها كبيرًا يأخذ المشائم والأمراء) وأما الزكاة السنوية التي تجمع عليها المكرمة فهي 1000 رأس من النعم و900 صاع من الذرة وثمانية من الخطة 
(الصاع يعادل وزنه 220 ريال فرنسا) و21 000 من الأندر في كل سنتين مرة .

9 - المسافات

نصف ساعة 
تقريبًا كذلك من قرية الموجة إلى زور واد معدة 
من زور وادعة إلى الخلاف الأعلى 
من الخلاف الأعلى إلى زور آل الحارث 
من زور آل الحارث إلى الصفا 
من الصفا إلى سالى 
نصف ساعة 
من سالى إلى قرية آل عقيل 
نصف ساعة من قرية آل عقيل إلى الحضنة 
ساعة من الحضنة إلى الجربة 
نصف ساعة من الجربة إلى القابل 
ساعتان من القابل إلى رحلة بلاد منصور 
من الموجة من علوى جران بالحجة (إلى الراهم) عشر ساعات 
ثم من رهوان إلى صدة
محتويات الكتاب

القسم الأول - أهل الوديان

الفصل الأول: مقدمة الرحلة
الفصل الثاني: سهل ركبة
الفصل الثالث: ديار البقوم وسبيع
الفصل الرابع: تربة والجزر
الفصل الخامس: وادي رنية
الفصل السادس: وادي بيشة
الفصل السابع: بلاد شيران

القسم الثاني - عسير السراة

الفصل الأول: بلاد عسير
الفصل الثاني: قبيلة عسير
الفصل الثالث: عزان عسير
الفصل الرابع: العادات الاجتماعية في عسير
الفصل الخامس: بلاد وداعة وقحطان
الفصل السادس: بلاد ألم ورجال الحجر

القسم الثالث - نجران

الفصل الأول: نجران
الفصل الثاني: جغرافيا نجران

ملحقات:
خريطة عسير
خريطة نجران